سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الخامس

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضِّياءُ اللامع

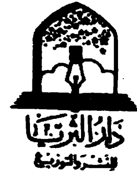
من الخُطَبِ الجَوامع

٥

المملكة العربية السعودية
ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦
www.binothaimeen.net
info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه
طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م



دار الثريا للنشر والتوزيع
فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني
darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الخامس

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم التاسع : السيرة النبوية

القسم العاشر : الأخلاق والآداب

القسم التاسع

السيرة النبوية

★ الفرع الأول : البعثة والدعوة والهجرة والوفاة

★ الفرع الثاني : آيات النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه وأخلاقه

★ الفرع الثالث : غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

★ الفرع الرابع : سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

الفرع الأول

البعثة والدّعوة والهجرة والوفاة

مبدأ حياة النبي ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ الرسل مبشرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكتابَ ليحكمَ بين الناس بالحقِّ المبين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ النبيين، بعثه اللهُ تعالىٰ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهره علىٰ الدين كلِّه ورحمةً للعالمين وقدوةً للعاملين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به علىٰ عباده، حيث أرسل إليهم الرسلَ وأنزل إليهم الكتبَ لنشرِ الحقِّ بين الخلق، فإنَّ العقلَ البشريَّ لا يمكن أنْ يهتديَ إلىٰ معرفةِ الخالق تفصيلاً، ولا يمكنه أنْ يتعبدَ لله تعالىٰ بما لا يدركه علماً وتحصيلاً، ولا يمكنه أنْ يعاملَ عبادَ الله تعالىٰ بالعدل التام إلا بطريق الوحيِ الذي بيّن اللهُ تعالىٰ عن نفسه أسماءً وصفاتٍ وأحكاماً يَهْتَدِي به العبادُ إلىٰ عبادتِه، ويهتدون بها إلىٰ طريقِ المعاملةِ بينهم، فكانت الرسلُ عليهم الصلاة والسلام مبينين لعبادةِ الخَلّاق، داعين إلىٰ مكارم الأخلاق، وكانت حاجةُ الخلق إلىٰ ما جاؤوا به أشدَّ من حاجتهم إلىٰ الهواءِ واللباسِ والأمنِ والطعامِ والشرابِ، وكانت مِنَّةُ الله تعالىٰ علىٰ عباده بإرسالِ الرسل أعظمَ مِنَّةٍ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ

فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولم تزلِ الرسالةُ في الناس منذ بُعِثَ أولُ رسولٍ إليهم وهو نوحٌ إلىٰ أن خُتِمت بآخرِهم محمدٍ عليهم الصلاة والسلام، كان الناسُ علىٰ ملةٍ واحدةٍ، علىٰ دينِ أبيهم آدمَ فلما كثروا تفرقت كلمتُهم واختلفت آراؤهم، فبعثَ اللهُ إليهم رسلَه ليحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه، وليقومَ الناسُ بالقسطِ فكان أولُهم نوحاً عليه الصلاة والسلام، ثم ختم اللهُ الرسالةَ والنبوة بمحمدٍ ﷺ بعثه الله تعالىٰ علىٰ حين فَتْرةٍ من الرسل، حين انقطعت الرسالةُ منذ عهدِ عيسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ فمقت الله أهلَ الأرض عجمَهم وعربَهم إلا بقايا من أهلِ الكتاب، فكان الناسُ في أمسِّ الضرورةِ إلىٰ الرسالة التي تستقيمُ بها الملةُ وتتم بها الأخلاقُ، فكان صاحبها الجدير بها ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب الهاشميَّ القرشيَّ، أنشأه اللهُ تعالىٰ من سلالة إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليهما الصلاة والسلام، فكان أكرمَ الناس نسباً وأطيبَهم مولداً، ولد ﷺ يوم الاثنين في أفضل بقاعِ الأرض في أمِّ القُرىٰ مكةَ في شهرِ ربيعِ الأول قيل في الثامن منه وقيل في التاسعِ وقيل في العاشرِ وقيل في الثاني عشر وقيل في السابع عشر وقيل في الثاني والعشرين هذه ستة أقوالٍ للمؤرخين في تعيينِ اليوم الذي وُلِد فيه وإنما كان هذا الاختلاف لأنه ليس للعرب حين ذاك ديوانٌ تُسَجَّلُ

فيه الأحداثُ وقد حقَّق بعضُ الفلكيين المتأخرين أنَّ ولادته كانت في اليومِ التاسعِ علىٰ خلافِ ما هو مشهورٌ من أنها في اليوم الثاني عشر، وأنه لا يهمنا أن نعرف عين ذلك اليوم الذي وُلِد فيه من الشهر لأنه ليس له خصائصُ شرعيةٌ يتعبدُ الناسُ بها حتىٰ يحتاجوا لمعرفةِ ذلك اليوم علىٰ التعيين.

ولد ﷺ في العام الذي أهلك اللهُ تعالىٰ فيه أصحابَ الفيل، ولدتْه أمُّه آمنةُ من أبيه عبد الله بنِ عبد المطلب، فتوفي أبوه قبلَ ولادتِه وتوفيت أمُّه في الأبواءِ في طريقِ المدينةِ وهو في السابعةِ من عمرِه فكفله جَدُّه عبد المطلب ثم مات عبدُ المطلب ورسولُ الله ﷺ في الثامنةِ من عمرِه، فنشأ رسولُ الله ﷺ يتيماً من الأب والأم والجَدّ قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٦]، فقيَّضَ اللهُ تعالىٰ له عمَّه أبا طالب شقيقَ أبيه فضمه إلىٰ عيالِه وأحسن كفالتَه وأحبَّه حباً شديداً وبارك الله له بسبب كفالته النبيَّ ﷺ في ماله وحاله، قال ابن كثير رحمه الله: وشبَّ رسولُ اللهِ ﷺ مع أبي طالب يكلؤه اللهُ ويحفظُه ويحُوطُه من أمورِ الجاهلية ومعايبها لما يريد من كرامتِه حتىٰ بلغَ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً وأحسنَهم خلقاً وأكرمَهم مخالطةً وأحسنَهم جواراً وأعظمَهم حلماً وأمانة، وأصدَقهم حديثاً، وأبعدَهم عن الفحش والأذىٰ ما رؤي مُلاحياً ولا مُمارياً أحداً، حتىٰ سماه قومُه الأمينَ لما جَمعَ اللهُ فيه من الأمور الصالحة.

ولما بلغ ﷺ الخامسةَ والعشرين من عمره تزوج أمَّ المؤمنين خديجةَ رضي الله عنها، وكانت ذاتَ شرفٍ ومالٍ وعقلٍ وكمالٍ حازمةً لَبيبةً، لمَّا علمت من رسولِ الله ﷺ ما عَلِمَتْ من مكارمِ الأخلاقِ عَرَضَتْ نفسَها عليه، فذكر النبيُّ ﷺ ذلك لأعمامِه فخرج معه عمُّه حمزةُ إلىٰ خُوَيْلِد بنِ أَسَدٍ والدِ خديجةَ فخطبَها إلىٰ رسولِ الله ﷺ فتزوَّجَها ولها أربعون سنة وقد تزوجت قبلَه برجلين فولدت له ابنين وأربعَ بناتٍ فكان أولادُه كلُّهم منها إلا إبراهيمَ فإنه كان من سَرِيَّتِه ماريةَ ولم يتزوجْ ﷺ علىٰ خديجةَ حتىٰ ماتت في السنة العاشرة من البعثة قبلَ الهجرةِ بثلاثِ سنين.

وكان ﷺ مُعظَّماً في قومه محترَماً بينهم يحضُر معهم مهمات الأمور، حضر معهم حِلْفَ الفُضُولِ الذي تعاقدت فيه قريشٌ ألا يَجِدُوا في مكةَ مظلوماً من أهلها وغيرِهم إلا كانوا معه علىٰ مَنْ ظَلمه حتىٰ يردَّ إليه مظلمته. ولما تنازعت قريشٌ أيهم يضعُ الحجرَ الأسودَ في مكانِه حين بنوا الكعبةَ بعد تَهدُّمِها قَيَّضَ اللهُ تعالىٰ رسولَ الله ﷺ فكان الحَكَمَ بينَهم فبَسَط رداءه ووضعَ الحجرَ فيه، ثم قال لأربعةٍ من رؤساءِ قريشٍ: ليأخذْ كلٌّ واحدٍ منكم بجانبٍ من هذا الرداءِ فحملوه حتىٰ إذا أدنَوه من موضعِه أخذه النبيُّ ﷺ بيدِه فوضعَه في مكانِه فكان له بهذا الحُكْمِ العادلِ شَرَفٌ كبيرٌ ونبأٌ عظيمٌ.

ولما بلغ الأربعين من عمره جاء الوحيُ من الله تعالىٰ، فكان أولَ ما بُدِىءَ به من الوحي الرؤيا الصادقةُ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا

جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الانفراد عن ذلك المجتمع الجاهل في عقيدتِه وعبادتِه، فكان ﷺ يخلو بغارِ حراءٍ، وهو الجبلُ الذي عن يمين الداخل إلىٰ مكةَ من طريق الطائفِ الشرائع، فيتعبدُ فيه حتىٰ نزل عليه الوحيُ هناك، فجاءه جبريلُ فقال: اقرأْ، فقال النبيُّ ﷺ: «ما أنا بقارىء»[١]، يعني لا أُحسِنُ القراءة، وفي الثالثة قال جبريل: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ١-٥] فرجع النبيُّ ﷺ إلىٰ أهله يَرجُفُ فؤادُه لِما رأىٰ من الأمرِ الذي لم يكنْ معهوداً له من قبلُ، فقال لخديجة: «لقد خَشِيتُ علىٰ نفسي»، فقالت رضي الله عنها: كلاَّ واللهِ ما يُخْزيك اللهُ أبداً، إنك لتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُكسِبُ المعدومَ وتُعينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ، وبنزولِ هذه الآياتِ صار محمدُ بنُ عبدِ الله نبياً ثم فتر الوحيُ مدةً، ثم أنزلَ اللهُ عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١-٥]، وبذلك صار نبياً رسولاً فدعا إلىٰ اللهِ تعالىٰ وبشَّرَ وأنذر، خصوصاً ثم عموماً، أنذرَ عشيرته الأقربين، ثم بقيةَ الناسِ أجمعين فاستجاب له مَنْ هداه اللهُ واستكبر عن دعوته مَن اتبعَ هواه ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ

---

(١) أخرجه مطولاً البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

اللهم اجعلْنا من المؤمنين بك وبرسولِك وارزقنا اتّباعَه علىٰ الوجهِ الذي يُرضيك عنا إنك جوادٌ كريمٌ وصلّىٰ اللهُ علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حياة النبيِّ ﷺ قبل البعثة

الحمدُ لله الذي أرسلَ الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكتابَ ليحكموا بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه بالحقِّ المبين، وأشهدُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلـهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلىٰ الخلق أجمعين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به علىٰ عبادِه من إرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ ونَشْرِ الحقِّ بين الخَلْقِ، فإنَّ العقلَ البشري لا يمكن أن يهتديَ إلىٰ معرفةِ الخالقِ تفصيلاً، ولا يمكنه أنْ يتعبدَ للهِ بما لا يُدْرِكُه تحصيلاً، ولا يمكنه أن يعاملَ غيرَه بطريق الحق والعدل إلا بالوحي الذي بيّن اللهُ به كيف يعرِفُ العبدُ ربَّه وكيف يُقِيمُ عبادتَه وكيف يعامِلُ غيرَه، فكان الرسلُ عليهم الصلاة والسلام مبينين لعبادةِ الخلاّقِ ومتممين لمكارمِ الأخلاق.

كان الناسُ علىٰ ملةٍ واحدةٍ دينِ أبيهم آدمَ، فلما كثروا تفرقت كلمتُهم واختلفت آراؤُهم، فبعث اللهُ إليهم رُسُلَه ليقومَ الناسُ بالقسط فبدأ اللهُ الرسالةَ بنوحٍ عليه الصلاة والسلام وختمها بمحمدٍ ﷺ، فمحمدٌ ﷺ خاتَمُ النبيين وأفضلُهم، أرسله اللهُ تعالىٰ علىٰ حين فترةٍ من الرسل، فقد انقطعتِ الرسالةُ منذ زمن عيسىٰ حتىٰ زمن محمدٍ ﷺ، أنشأه اللهُ تعالىٰ من سلالة إسماعيلَ بن إبراهيمَ في

صميمِ العرب، فكان أكرمَ الناس نسباً وأطيبَهم مولداً، فوُلِدَ ﷺ بمكة في يوم الاثنين في الثاني من شهر ربيع الأول، وقيل في الثامن وقيل التاسع وقيل في العاشر وقيل في الثاني عشر وقيل في السابع عشر، وقيل في الرابع عشر، وقيل في الثالث عشر، في العام الذي أهلك اللهُ به أصحابَ الفِيلِ الذين أرادوا هدمَ الكعبة، فأنزل اللهُ فيهم سورةً من القرآن. ولدته أمُّه آمنةُ من أبيه عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب، وقد رأت أمُّه قبل ولادته أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قُصورُ الشام، فمات أبوه في المدينةِ قبل أن يُولدَ ﷺ، وماتت أمُّه بالأبْواءِ في طريق المدينةِ وهو في السابعة من عمره، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات ورسول الله ﷺ في الثامنة من عمره، فنشأ ﷺ يتيمَ الأبوين والجَدِّ، ولكن اللهَ تعالىٰ آواه وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير، فيسر اللهُ له عمَّه أبا طالب شقيقَ أبيه فضمه إلىٰ عيالِه وأحسنَ كفالتَه وأحبَّه حباً شديداً وبارك اللهُ بسبب النبيِّ ﷺ في مالِه وحالِه، ولقد اشتغل ﷺ بما اشتغل به الأنبياءُ من قَبْلُ، اشتغل برعيِ الغنمِ، وما من نبيٍّ إلا رعىٰ الغنمَ ليعتاد بذلك حُسْن الرعايةِ والتصريفِ فيما يكونُ راعياً له في المستقبل، ثم اشتغل ﷺ بالتجارةِ فاشتهر عند الناس بالصدقِ والأمانةِ وحُسْن المعاملة، ثم لما بلغ الخامسةَ والعشرين من عمره تزوج خديجةَ رضي الله عنها ولها أربعون سنة، وقد تزوجت قبلَه برجلين، وكانت رضي الله عنها من شريفاتِ نساءِ العرب موصوفةً بالعقل والحزمِ والذكاء، ورزقه اللهُ منها ابنين وبناتٍ أربعاً وكان أولادُه كلُّهم منها، إلا

إبراهيمَ فإنه من أُمٍّ ولدِه من ماريةَ القبطيةِ، وكلهم ماتوا في حياته إلا فاطمةَ، ولم يتزوج عليها ﷺ حتىٰ ماتت رضي الله عنها في السنة العاشرة من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، فتزوج بعدها بعائشةَ ثم سودة بنتَ زَمْعةَ.

وكان ﷺ معظَّماً في قومه محترماً يحضُر معهم في مهماتِ الأمور، فحضر حِلْفَ الفُضُولِ الذي تعاقدوا به علىٰ دَرْءِ المظالمِ ورَدِّ الحقوقِ إلىٰ أهلِها، وكان حَكماً في قريش عند نزاعِها في وضع الحجرِ الأسودِ في مكانه حين هُدِمت الكعبةُ فتنازعوا أيُّهم يضعُ الحجرَ في مكانه، فقيَّضَ اللهُ لهم رسولَ الله ﷺ فحكَّموه بينَهم وانقادوا لقضائِه، فبسط رسولُ الله ﷺ رداءَه ووضعَ الحجرَ فيه، ثم قال لأربعةٍ من رؤساء قُريشٍ: ليأخذ كُلُّ واحد منكم بجانبٍ من هذا الرداء. فحَملُوه حتىٰ إذا أدْنَوْه من موضعِه أخذه ﷺ بيده الكريمةِ فوضعه في مكانِه، فكان له ﷺ بهذا الحُكْمِ العادلِ شرفٌ كبيرٌ ونَبأٌ عظيمٌ، وكان صلواتُ اللهِ وسلامُه محفوظاً من عبادةِ الأوثانِ وشُرْبِ الخُمورِ وعَمَلِ المَيْسرِ، ولما بلغ الأربعين من عمره جاءه الوحيُ من اللهِ تعالىٰ فكان أولَ ما بُدىء به من الوحي الرؤيا الصادقةُ فكان لا يرىٰ رُؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبحِ، ثم حَبَّبَ اللهُ إليه الخَلاء، وهو الانفرادُ عن ذلك المجتمعِ الجاهلي في عقيدتِه، وعبادِته، فكان يخلو بغارِ حِرَاءٍ وهو الجبلُ الذي عن يمينِ الداخل إلىٰ مكةَ من طريقِ الشرائعِ، ويتعبدُ فيه حتىٰ نزلَ عليه الوحيُ هناك، فجاءه جبريلُ، فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىءٍ، أي لا

أُحسِنُ القراءة، وفي الثالثة قال له جبريلُ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]. فرجع النبيُّ ﷺ إلىٰ أهلِه يرجُفُ فؤادُه لأنه رأىٰ أمراً عظيماً لم يكن معهوداً له من قبلُ، فدخل علىٰ خديجة فأخبرها الخبر وقال لها: لقد خَشِيتُ علىٰ نَفْسي، فقالت: كلّاَ واللهِ ما يُخْزِيكَ اللهُ أبداً، إنك لتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحْمِلِ الكَلَّ وتُكْسِبُ المعدوم وتَقْرِي الضيفَ وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحق. فاستدلت رضي اللهُ عنها بأفعالِه الجميلةِ علىٰ أنْ حكمةَ اللهِ تأبىٰ أن يَلْحَقَ العارُ والخزيُ مِثْلَ هذا. وبنزولِ هذه الآياتِ علىٰ محمدٍ ﷺ صار نبياً ثم فتَر الوحيُ، فأنزل اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١-٥]، وبذلك صار نبياً رسولاً إلىٰ جميع الثَّقَلَين، فدعا إلىٰ اللهِ وبشَّرَ وأنذَر، فخَصَّ وعَمَّ، فأنذرَ عشيرتَه الأقربين، ثم بقيةَ الخَلْقِ أجمعين، حتىٰ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتم به النعمةَ علىٰ المؤمنين وأظهرَ دينَه ونصرَه، وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير، وفي هذا يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

مبدأ حياة النبيّ ﷺ بعد البعثة

الحمدُ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإن رسولَ الله ﷺ لما أُنزِلَ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] قام ﷺ مُمْتثِلاً لأمرِ ربِّه؛ متوكلاً عليه؛ واثقاً به؛ فدعا الناسَ إلىٰ عبادةِ الله؛ وكان بدءُ الدعوةِ سراً فآمنَ به رجالٌ من قريشٍ، وكان أولَهم إسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأسلم علىٰ يديه رضي الله عنه خمسةٌ من المبشرين بالجنّة، عثمانُ بنُ عفان وعبدُ الرحمٰن بنُ عوفٍ والزبيرُ بنُ العوامِ وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ وطلحةُ بنُ عُبَيدِ الله، وهؤلاء الخمسةُ مع أبي بكر وعليِّ بنِ أبي طالبٍ وزيدِ بنِ حارثة رضي الله عنه هم الثمانية الموصوفون بالسبق إلىٰ الإسلام وأسلم غيرهم، فكان رسولُ الله ﷺ يجتمعُ بهم سراً ويرشدُهم إلىٰ ما أرشدَه اللهُ إليه من الإسلام في دار الأرْقَمِ بنِ أبي الأرقمِ لمدةِ ثلاثِ سنين حتىٰ أنزل اللهُ عليه قوله ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] فصعد ﷺ علىٰ الصفا فجعل يُنادي يا بني فِهْر، يا بني عَدِيّ، لبطونِ قريش، فاجتمع الناس إليه حتىٰ كان

الرجلُ إذا لم يستطعْ أنْ يأتيَ أرسل رسولاً لينظر الخبرَ، فلما اجتمعوا، قال لهم رسولُ الله ﷺ: «**فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد**»، فقال له عمُّه أبو لهب: تباً لك ألِهذا جَمَعْتنا، وسَخِرَ منه وبما قاله، فأنزل اللهُ فيه سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] [المسد: ١] ثم أنزل اللهُ علىٰ رسوله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] فجمَعهم ﷺ وقال: «**والله لو كذبتُ الناسَ كلَّهم ما كذبتكم، واللهِ إني لرسولُ الله إليكم خاصةً وإلىٰ الناسِ عامةً، والله لتموتنَّ ولتُبْعَثُنَّ ولتحاسَبُنَّ ولتجزَوُنَّ، وإنها لجنةٌ أبداً أو لنارٌ أبداً**»، فتكلم القومُ كلاماً ليناً لكن أبا لهب قال: خُذوا علىٰ يديه قبلَ أن تجتمعَ العربُ عليه، فإن سلمتموه ذَلَلْتُم، وإن منعتموه قُتِلْتُم، فمانَعه أبو طالب وقال: والله لنمنعنه ما بقِينا[2]، ثم انصرفَ الجمعُ بدون طائلٍ.

ولكن رسولَ الله ﷺ ظل يدعو إلىٰ اللهِ تعالىٰ عَلَناً وجَهْراً، وكان الناسُ يسخرون به، يقولون هذا غلامُ عبدِ المطلب يُكلمُ من السماءِ، هذا ابنُ أبي كَبْشةَ، ثم إنه ﷺ جعل يُسَفِّهُ عقولَ المشركين ويبينَ بُطلانَ عبادتِهم للأصنامِ، فكلمت قريشٌ أبا طالب أكثرَ من مرةٍ ليمنعَ رسولَ الله ﷺ من ذلك وهدَّدُوه، فأشار أبو طالب علىٰ رسولِ الله ﷺ أن يُبْقيَ عليه وعلىٰ نفسِه فظن رسولُ الله ﷺ أن عمَّه

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر «السيرة الحلبية» ١/ ٤٥٩.

سيخذلُه فشَقَّ ذلك عليه، وقال: «**يا عمُ واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري، ما تركت هذا الأمرَ حتىٰ يظهرَه اللهُ أو أهْلِكَ دونَه**»(١) ثم بكىٰ وانصرف فناداه عمُّه، وقال: يا ابنَ أخي قُلْ ما أَحْبَبْتَ فواللهِ لا أُسْلِمُكَ إليهم أبداً، فاستمر رسولُ الله ﷺ في الدعوةِ وازداد أذىٰ قومِه له بالقولِ والفعلِ، فكان أبو جهل إذا رآه يُصَلّي نهاه وأغْلَظَ عليه، وقال: ألم أنْهَكَ؟ وكان يوماً يُصَلّي وحولَه ملأٌ من قريش، فقال بعضُهم لبعض: أيكم يَعْمَدُ إلىٰ جَزُورِ آلِ فلانٍ فيأتي بدمِها وسَلاها، فيضعُه بين كتفيه إذا سَجَدَ فانبعث أشْقَىٰ القومِ فأتىٰ به، فلما سجد رسولُ اللهِ ﷺ وضعه بين كتفيه، فثبت رسولُ الله ﷺ ساجداً والقومُ يضحكون ويسخرون حتىٰ جاءت ابنتُه وهي جُويرية صغيرةٌ فألقته عنه، وكانوا يرمون القَذَرَ علىٰ بابِه فيخرجُ رسولُ الله ﷺ فيطرحُه ويقول: أيُّ جوارٍ هذا؟! واشتد أذىٰ قريشٍ لِمَنْ آمنَ برسولِ الله ﷺ فكانوا يعذبونهم بالطعْنِ والضربِ والنارِ، فكان رسولُ الله ﷺ يُقوّي أصحابَه ويُشجعُهم علىٰ الصبْر، قال لعمار بنِ ياسرٍ وأهلِه وهم يعذبون: «**صبراً يا آل ياسرٍ فإنَّ موعدَكم الجنة**»(٢)، ولما رأىٰ اشتدادَ الأمرِ بأصحابه أَذِنَ لهم بالهجرة، وقال: «**تَفرَّقُوا في الأرضِ فإنَّ اللهَ سيجمعُكم**»(٣)، وأشار

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠١.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ٣٨٣.

(٣) «السيرة الحلبية» ٢/ ٣.

إلىٰ الحبشةِ فهاجر في السنة الخامسةِ من البعثة إليها عشرةُ رجالٍ وخمس نساءٍ ثم رجعوا بعدَ ثلاثةِ أشهر، ولكنَّ المشركين ما زال أذاهم يستمر، فأذن رسولُ الله ﷺ لأصحابه بالهجرة مرة ثانيةً إلىٰ الحبشةِ في السنةِ السابعةِ من البعثةِ، فهاجرَ إليها فوقَ الثمانين من الرجال ودونَ العشرين من النساء، فأكرمَهم النجاشيُّ وجعل لهم الحريةَ في دينِهم، أما رسولُ الله ﷺ فبقيَ في مكةَ يلاقي الشدائدَ والبلايا من أذيةِ كفارِ قريشٍ له وهو صابرٌ محتسبٌ مُنفِّذٌ لأمر الله، وقد ماتَ عمُّه أبو طالب وزوجتُه خديجةُ في السنةِ العاشرةِ من البعثة، فاشتد الأمرُ عليه ثم خرج ﷺ إلىٰ الطائفِ يدعو قبائلَ ثقيفٍ إلىٰ الإسلام، فلم يجدْ منهم إلا السخريةَ والأذىٰ، ورَمَوهُ بالحجارةِ حتىٰ أدْمَوْا عقبيه فرجع النبيُّ ﷺ إلىٰ مكة، وفي هذا يقول النبيُّ ﷺ عن نفسِه: «**انطلقتُ وأنا مهمومٌ علىٰ وجهي فلم أستفِقْ إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عليه السلام فناداني، فقال: إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك وما ردُّوا عليك، وقد بَعَثَ لك مَلَكَ الجبال لتأمرَه بما شِئتَ فيهم، ثم ناداني مَلَكُ الجبالِ فسلَّم عليّ ثم قال: يا محمدُ إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك وأنا مَلَكُ الجبال قد بعثني إليك ربُكَ لتأمرَني بما شِئتَ، إنْ شِئتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأخشبين**»، فقال النبيُّ ﷺ: «**بل أرجو أنْ يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبدُ اللهَ وحدَه لا**

يُشرِكُ به شيئاً»[١]. ثم دخل مكةَ ﷺ في جوار المُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ وصار يعرِضُ نفسَه علىٰ القبائل في المواسِم، كُلَّ عامٍ يتتبعُ الناسَ في منازِلِهم يدعوهم إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، فبينما هو عند العقبةِ لَقِيَ رَهْطاً من الخَزْرَجِ أراد اللهُ بهم خَيْراً، فعرَضَ عليهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآنَ، فلما رجعوا إلىٰ قومِهم بالمدينة أخبروهم ودَعَوْهم إلىٰ الإسلامِ حتىٰ فشا فيهم، فلما كان العامُ المقبلُ قَدِمَ علىٰ رسولِ الله ﷺ اثنا عشرَ رجلاً منهم فبايعوه وبعث معهم مُصْعَبَ بنَ عُمَيرٍ يُقرئهم القرآنَ ويعلمُهم الإسلامَ، فكثُر الإسلامُ في المدينةِ، فلما كان العامُ المقبلُ قدِمَ من الأنصار إلىٰ رسولِ الله ﷺ نحوُ سبعين رجلاً وامرأتان فبايعوا رسولَ الله ﷺ علىٰ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءَهم وأبناءَهم إذا هاجر إليهم، فكان في ذلك فاتحةُ خَيْرٍ للإسلام والمسلمين وفَخْرٌ عظيمٌ للأنصار رضي الله عنهم.

عبادَ الله: إنَّ فيما جرىٰ علىٰ رسول الله ﷺ في تبليغ دعوة الإسلام من الأذىٰ والتعب والمشقة لعبرةً لأولي الأبصار، فاتقوا اللهَ أيها المسلمون واعتبروا واصبروا علىٰ ما يصيبكم في الدعوة إلىٰ دين اللهِ وانتظروا، فإنَّ العاقبةَ للمتقين، وإنَّ اللهَ مولاكم نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصيرُ. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حال الناس في الجاهلية وبدء الوحي

الحمدُ للهِ الذي بعثَ في كلِّ أمةٍ رسولاً منهم، أن اعبدوا اللهَ واجتنبوا الطاغوتَ، لئلا يكونَ للناسِ علىٰ الله حجّةٌ بعدَ المرسلين والحمدُ لله الذي ختم جميع الرسالات برسالة محمدٍ ﷺ إلىٰ جميع العالمين، والحمدُ لله الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياتِه، ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، ونوراً للمستضيئين، وحجةً علىٰ العبادِ أجمعين، بعثه اللهُ علىٰ حين فترةٍ من الرسل، وانطماسٍ من السبُل.

فأشرقت برسالتِه الأرضُ بعدَ ظُلُماتِها، وائْتَلَفَتْ به القلوبُ بعد تفرقِها وشَتَاتِها، وانتشر الهُدَىٰ والعلمُ في الأمة، فمزق قِطَعَ ظلالها وجهالاتها. فسبحانَ مَنْ شرحَ له صدرَه، ورفع له ذِكْرَه، ووضعَ عنه وِزْرَه، وجعل الذِّلَّةَ والصَّغَارَ علىٰ مَنْ خالف أمرَه.

كان الناسُ قبلَ البعثة في ضلالٍ مبين، فكانوا يعبدون الأصنامَ والأوثانَ، يعبدون اللاتَ والعُزَّىٰ ومناةَ، ويتقربون إليها بأنواع القُرْبان ولقد بلغ بهم الجهلُ والسّفهُ إلىٰ حالٍ يضحكُ منها صغارُ الصبيان. فكان الواحدُ منهم يصنعُ له إلهاً من التمرِ، فإذا جاع

أكلَه. فتباً لتلك العقولِ والأحلام. وكانوا يطوفون بالبيتِ وهم عُراةٌ وكان يُحَرِّمون ما أحلَّ اللهُ من الطيبات، ويأكلون ما حرَّم اللهُ عليهم من الدمِ المسفوحِ والمَيْتات.

وكانوا يقتلون أولادَهم خشيةً من الفقرِ والإعسارِ، ويدفنون البناتِ وهن أحياءٌ، اتقاءً من الفضيحةِ علىٰ زَعْمِهم والعارِ. وكانوا لا يُوَرِّثون النساءَ ولا الأطفالَ ويقولون لا يَرِثُ إلا مَنْ طاعنَ بالرماح وذاد عن الحَوْزَةِ ونال الأنفالَ، وكانوا يتعاملون في بيعِهم بالغرر والسُّحْتِ والمُراباةِ، فيقولُ الواحدُ منهم إذا حلَّ دَيْنُه: إما أن تُوَفِّي، وإما أن تقلبه عليك بالزيادةِ والربا، فبُعْداً لتلك المعاملات، كان العربُ في مثل هذه الأحوالِ الجاهليةِ يتقلبون، أما اليهودُ وأما النصارىٰ فهم في غَيِّهم وضلالِهم منغمسون، حتىٰ بعث اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ، للعاملين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، يدعوهم إلىٰ مكارمِ الأخلاقِ، ومحاسنِ الأعمالِ، ويأمرُهم بالتدينِ بالدينِ الحنيفِ، والإخلاصِ لذي العظمةِ والجلالِ. يدعو إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، واجتنابِ الطغيان، ويأمرُ بالعدلِ والمعروفِ والإحسانِ، فإنه ﷺ لما بَلَغَ أَشُدَّه، واستكمل عقلَه ورُشْدَه، وبلغَ أربعين سنةً أوحىٰ اللهُ إليه. فكان أولُ ما بُدِىء به من الوحي الرؤيا الصادقةُ، فكان لا يَرَىٰ رُؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يتعبدُ بغار حِرَاء الليالي ذواتِ العددِ، ثم يرجع إلىٰ زوجتِه خديجةَ، فيتزودُ لمثلها.

فنزل عليه في ذلك الغار جبريلُ الروحُ الأمينُ بكلامِ ربِّ العالمين، فكان أولُ ما أنزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]. فتضمنت هذه الآياتُ أصولاً عظيمةً منها الربوبيةُ، ومنها بدءُ الخلق إشارةً إلىٰ بَدْءِ الرسالة، ومنها النصُّ علىٰ التعليم بالقلم، وتعليم الإنسان. لأن اللهَ حفِظَ دينَه بأسبابٍ من أهمِّها الكتابةُ. فكانت رسالةُ النبيِّ ﷺ مبدأ نورٍ وإرشادٍ للعالَم كلِّه، وكانت ينبوعاً صافياً للأخلاقِ الفاضلةِ والآدابِ العاليةِ دواءً مزِيلاً للأمراضِ والأخلاقِ السافلةِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واحمَدُوه علىٰ هذه النعمةِ الكبرىٰ والموهبةِ العظمىٰ واستمسكوا بما بعث به نبيِّكم ﷺ، فإنه هو العروةُ الوُثْقىٰ، وإياكم أن تشتغلوا عن اللُّبِّ بالقشور، وعن الحقِّ بالباطل والزُّور. فلقدْ موهَ الباطلُ بأنواع التَمْويهاتِ، وسَعَىٰ أهلُه إلىٰ محقِ الحقِّ بما استطاعوا من القُوَّات، ولكنَّ اللهَ تعالىٰ تكفَّلَ بحفظ الحق، فقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأنبياء: ١٨].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

نعمةُ الله تعالىٰ علىٰ الأمة ببعثة الرسول ﷺ وبيان بدعة عيد المولد

الحمدُ لله الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، إلـٰهُ الأولين والآخرين، الذي أسبغَ علىٰ عبادِه نِعَمَه ووَسِعَهم برحمتِه، وهو أرحمُ الراحمين، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أرسله اللهُ تعالىٰ ليخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ، ويكملَ لهم به الدينَ فلم يَدَعْ شيئاً يبعدهم عن ربِّهم أو يضرهم إلا بينهُ وحذَّرهم عنه، حتىٰ ترك أمتَه علىٰ المِحَجة البيضاء ليلها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالك، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ أعظمَ مِنَّةٍ وأكبرَ نعمةٍ مَنَّ الله علىٰ عباده أنْ بعث فيهم محمداً ﷺ فهداهم اللهُ به من الضلالة، وألَّفهم به بعد الفُرقة وأغناهم به بعد العَيْلَةِ، فلقد كان العربُ قبل بعثته متفرقين متعادين ضالين معتدين، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، وفي الحقِّ والجهادِ في سبيلِ الله أعواناً، فدانت لهم الأممُ وفُتِحت لهم مشارقُ الأرض ومغاربُها وكانوا غُرةً بيضاءَ في جَبينِ التاريخ، فلم يكن عصرٌ ولن يكونَ عصرٌ أفضلَ من

عصورِهم، فإنهم خيرُ القرونِ بنصِّ محمدٍ ﷺ وهم أرجحُ الناسِ عقولاً، وأسلمُهم قلوباً، وأقومُهم عملاً، وأمضاهم وأسرُعُهم إلىٰ فِعْلِ الخيراتِ وتَرْكِ المنكراتِ، ولما كانت الأمةُ الإسلاميةُ حريصةً علىٰ تنفيذِ شرعِ اللهِ مهتديةً بعباداتِها ومعاملاتِها وسياستِها بهَدْي النبيِّ ﷺ كانت هي الأمةَ الطاهرةَ المنصورةَ الظاهرةَ فلما انحرفوا وغيّروا غيّر اللهُ عليهم، وإن للهُ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتىٰ يُغَيِّرُوا ما بأنفسِهم، فجعل اللهُ بأسَهم بينَهم وسلَّط اللهُ عليهم أعداءهم فكانوا غُثاءً كغثاءِ السيل تَتَداعىٰ عليهم الأممُ الكافرةُ المستمرةُ كما تتداعىٰ الأكلةُ علىٰ قصعتِها ولن يعودَ مجدُ الأمةِ الإسلامية سواء اتسعت رقعتُها أو تقلَّصت، فلن يعودَ لها المجدُ حتىٰ تُطَبِّقَ دينَ اللهِ تعالىٰ في كلِّ دقيقة وجليلةٍ، فإن اللهَ تكفل بإظهارِ هذا الدينِ علىٰ جميع الأديان، فمِنْ ضرورةِ ذلك أنْ يُظهِرَ الأمةَ المتمسكةَ بهذا الدين حقَّ التمسك علىٰ جميع الأمم في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، ألا وإن من تمامِ تطبيقِ الشريعة المحمديةِ أن لا يُشْرَع شيءٌ من العبادات إلا ما شرعَ اللهُ ورسولُه، فإنَّ الناسَ أُمروا أنْ يعبدوا اللهَ مخلصين له الدينَ حُنفاءَ، فمن تعبَّد اللهَ بما لم يشرعْه اللهُ فعملُه مردودٌ عليه كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**»(١) ألا وإن مما

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل (٧٣٥٠، ٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ابتدعه بعضُ المسلمين ما أحدثوه في هذا الشهر من العيدِ الذي يسمونه عيدَ الميلاد، فيحدثون به شعاراتٍ دينيةً مبتدعةً، وينفقون به أموالاً في غيرِ وجهِها، يزعمون أنَّ ذلك تعظيمٌ للنبي ﷺ وحقيقةُ تعظيمِ النبي ﷺ إنما هي بمحبتِه واتباعِ شرعِه ظاهراً وباطناً، وأن يُقدم قولُه علىٰ كُلِّ قول، وهَديُه علىٰ كلِّ هَدْيٍ، وهل هؤلاءِ أشدُّ تعظيماً لرسولِ الله ﷺ من خلفائِه الراشدين وأصحابِه المهتدين؟ حاشا وكَلاّ، إنَّ أعيادَ الميلادِ لم تكنْ معروفةً في عهدِ النبيِّ ﷺ، ولا عهدِ أصحابه ولا في عُهودِ القرون المفضّلة. قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: ما أُحْدِثَ من المواسمِ والأعياد فهو منكَرٌ لدخوله مُسَمَّىٰ البِدَع والمَحْدَثاتِ، فيدخلُ في قولِ النبيِّ ﷺ: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[1] ولما فيه من المفاسد وقال: وما يُحْدِثُه بعضُ الناس إما مضاهاة النصارىٰ في ميلادِ المسيحِ وإما محبةً للنبي ﷺ من اتخاذِ مَوْلِد النبيِّ ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإنَّ هذا لم يفعلْه السلفُ ولو كان خيراً لكانوا أحقَّ به منا. وإنما نبَّهْتُ علىٰ ذلك لأنه قد سُمعَ في بعضِ الإذاعات التنويهُ بهذا العيد، وإذا كان اتخاذ مولِد النبي ﷺ عيداً من البِدَعِ فاتخاذُ مَوْلِدِ غيرِه من الملوك والرؤساء أو توليتِهم زمامَ الحُكْمِ، أو أيام انتصاراتهم، اتخاذ ذلك عيداً أعظمُ بدعةٍ وأشدُّ نُـكْراً.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



بدء الوحي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمٰنِ الرحيم، مالكِ يومِ الدين، والحمدُ لله الذي أرسل الرسلَ برحمته مبشرين ومن عذابه منذِرين، ولعبادِه هَادينَ ومُرْشِدين، والحمدُ للهِ الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، خاتمُ النبيين، وإمام المتقين، أرسله اللهُ بين يَدَيِ الساعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه وسراجاً منيراً، بعثه اللهُ تعالىٰ علىٰ حينِ فترةٍ من الرسل، وانطماسٍ من السبُل. فهدىٰ به من الضلالةِ، وبَصَّرَ به من العَمَىٰ وتَمَّمَ به مكارمَ الأخلاق.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: **«مَثَلي ومثلُ الأنبياء (قَبلي) كمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بنيانُه، تُرِكَ منه مَوضِعُ لَبِنَةٍ، فكنت أنا سَدَدَتُ مَوْضِعَ اللبنة خُتِمَ بي البُنْيَانُ، وخُتِمَ بي الرسلُ»** وفي رواية: **«فأنا اللبنةُ، وأنا خاتمُ النبيين»**[١].

لقد بعثه اللهُ تعالىٰ والناسُ في جَهْلِهم منغمرون، إشراكٌ في العبادات، واعتداءٌ وظلمٌ في المعاملات، قد وقعَت بينهم العداوةُ والبغضاء، وساد بينهم التفرقُ واتباعُ الأهواء، لا رحمةَ عندَهم في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

موضع الرحمةِ، ولا رجاءَ منهم في موضع الرجاءِ. فلقد كانوا يقتلون أولادَهم خشيةَ الفقرِ والإقتارِ، ويدفنون البناتِ في مستقبل حياتِهن خشيةَ العار، فأبدلهم اللهُ ـ وله الحمدُ ـ بهذا النبيِّ الكريم بالجهل عِلْماً وعرفاناً، وبالشرك إخلاصاً وإيماناً، وبالاعتداء علىٰ الخَلْقِ عَدْلاً وإحساناً، وبالغِلْظَةِ والوحشيةِ رحمة وبراً وحناناً، وبالعداوة والبغضاء ولاءً وحُبّاً، فأصبحوا بنعمته إخواناً.

بعثه اللهُ تعالىٰ علىٰ رأس الأربعين من عُمره، فكان أولُ ما بُدىء به من الوحي الرؤيا الصالحةُ، فكان لا يرىٰ رُؤْيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يخلو وحدَه بغار حِراء فيتعبدُ فيه الليالِيَ ذواتِ العددِ، ثم يرجعُ إلىٰ أهلِه فيتزودُ لِمِثْلها. حتىٰ جاءه الحقُّ، وهو الرسالةُ في غار حِراء.

فَنَزَلَ عليه جبريلُ من عند ربِّ العالمين، فقال له: اقرأ. فقال: «**ما أنا بقارىء**»[1] يعني لا أُحْسِنُ القراءة، لأنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فضمَّه المَلَكُ جبريلُ ضَمّاً شديداً، ثم أطلقَه، فقال له: اقرأ. فقال له: «**ما أنا بقارىء**» فضمه فعَلَ ذلك ثلاثَ مراتٍ، ثم قال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

فكانت هذه الآياتُ أولَ ما نزل علىٰ النبيِّ ﷺ من القرآن. ثم تتابعَ الوحيُ عليه ﷺ، بعد أنْ انقطع عنه أياماً، فصار يدعو الناسَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إلىٰ الله سرّاً وجِهاراً. ومَكَثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنة يُوْحَىٰ إليه الوَحْيُ، وفُرِضَتْ عليه الصلاةُ والزكاة.

ثم هاجر إلىٰ المدينةِ ﷺ، ففُرِضَ عليه الصيامُ، والحجُّ، والجهاد، فما زال مجاهداً في اللهِ حقَّ جهادِه، حتىٰ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتمَّ به النعمةَ علىٰ المؤمنين. فصلوات الله وسلامه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعرِفُوا نعمتَه عليكم بهذا النبيِّ، فإنَّ نعمةَ الله به أعظمُ من كُلِّ نعمةٍ، وأكسبُ من كُلِّ غنيمةٍ، فاشكروا ربَّكم بالقيام بحقِّه، وحقِّ رسوله، وذلك بحُبِّ اللهِ وتعظيمِه، والإخلاص له، واتباعِ النبيِّ ﷺ، ظاهراً وباطناً. وأنْ يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليكم مما سِواهُما. وأن يكون قولُ اللهِ ورسولِه مُقدَّماً علىٰ كل قول، وحُكْمُ اللهِ ورسولِه مقدماً علىٰ كل حكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

دعوة النبيّ ﷺ

الحمدُ لله الذي نَصَر نبيَّه بالمهاجرينَ والأنصارِ وأظهر دينه علىٰ أيدي هؤلاء البررة الكرام الأطهار، ونشهدُ انْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الملكُ العزيز الغفار. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، آناءَ الليلِ والنهار، علىٰ التابعين ما توالتِ الأسحارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، واعْرِفُوا ما أنعمَ الله به علىٰ النبي ﷺ، بأصحابِه الكرام، فإنهم أعْلَىٰ الناسِ قَدْراً، وأعظمهم فَخْراً، وأكثرُهم إيثاراً، وأبلغُهم مودةً وإخاءً، اختارهم اللهُ تعالىٰ لصحبةِ دينه، فكانوا خَيْرَ أصحابٍ وخَيْرَ أنصارٍ.

فلقد كان النبيُّ ﷺ يعرض نفسَه علىٰ القبائل في مواسمِ الحج، يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، ويخبرُهم أنه نبيٌّ مُرسَلٌ، ويسألُهم أن يُصَدِّقُوه ويَمْنَعوه، حتىٰ يَبينَ ما بعثه الله به، فكان الناسُ يَرُدُّونَه ولا يُجيبونه وكان ذلك مما ذخَره اللهُ للأنصار وأكرمَهم به.

فبينما رسولُ الله ﷺ في المواسم يعرض نفسَه علىٰ القبائل، إذ لَقِيَ رهطاً من الخزرجِ عندَ العقبةِ فقال: «**مَنْ أنتم؟**» قالوا: نَفَرٌ من الخزرج، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم**» قالوا: بلىٰ، فعرض عليهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآنَ، فقالوا: إنا سَنَقْدُمَ علىٰ قومِنا وندعوهم إلىٰ أمرِك، فعسىٰ اللهُ أنْ يجمعَهم بك، فإنْ يجمعْهم اللهُ عليك فلا رجلَ أعزُّ منك.

فلما رجعوا إلىٰ المدينة، فشا فيهم الإسلامُ، حتىٰ لم يبقَ فيها دارٌ من دُورِ الأنصار، إلا آمن برسول الله ﷺ، فقَدِمَ منهم في العام القابلِ اثنا عشرَ رجلاً، وبايعوه علىٰ أنْ لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يَسْرِقُوا ولا يَزْنُوا، ولا يقتلوا أولادَهم، ولا يأتوا ببُهتانٍ، يفترونه بين أيديهم وأرجلِهم، ولا يعصوا رسولَ الله ﷺ، في معروفٍ، فإنْ وَفَّوا فلهم الجنةُ ولا فأمرُهم إلىٰ الله عز وجل.

ثم بعث معهم رسولُ الله ﷺ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ رضي اللهُ عنه، يُقرئُهُم القرآنَ ويعلمهم الإسلامَ، ويُفَقِّهُهم في الدين، فنزل علىٰ أسعدَ بنَ زرارة رضي اللهُ عنه، وعرض مصعبٌ الإسلامَ علىٰ سعدِ بنِ مُعاذٍ سيدِ الأوس، فأسلم وقال لقومه: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأياً وأيمننا نقيبةً قال: فإنَّ كلامَ رجالِكم ونسائِكم عليَّ حرامٌ حتىٰ تؤمنوا بالله ورسولِه، فما بقيَ منهم رجلٌ ولا امرأةٌ إلا أسْلَمَ.

ثم قَدِمَ علىٰ النبيِّ ﷺ، منهم سبعون رجلاً فواعدوه العقبةَ، ثم بايعوه علىٰ السمعِ والطاعةِ في النشاطِ والكَسَلِ، والعُسْرِ واليُسْرِ، وعلىٰ الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكر، وإنْ لا يخافوا في اللهِ لومةَ لائمٍ، وعلىٰ أنْ ينصروا رسولَ الله، ويمنعوه إذا قَدِمَ عليهم مما يمنعون منه أنفسَهم وأزواجَهم وأبناءَهم ولهم الجنة. فبايعوه علىٰ ذلك رضوانُ الله عليهم.

ولما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، آخَىٰ بينَ المهاجرينَ والأنصار، يعني عقَدَ بينهم عَقْدَ أُخُوَّةٍ، فكان الأنصاريُّ يساوي الواحدَ من

المهاجرين بمالِه، وكان لهم من الإيثار والنصرةِ ما يَجلُّ به قدرُهم، ويَعلُو به ذِكْرُهم، فلقد استضاف رسولُ الله ﷺ رجلاً فلم يجدْ عندَه شيئاً. فانطلقَ به رجلٌ من الأنصارِ إلىٰ امرأتِه، فقال: أكرمي ضيفَ رسولِ الله، فقالت: ما عندَنا إلا قوتُ صِبْيانِي، فقال: هيئي طعامَك، وأصْلِحي سِراجَك، ونَوِّمي صِبيانَك، إذا أرادوا عشاءً. فهيأت طعامَها، وأصلحت سِراجَها، ونوَّمت صِبيانَها، ثم قامت كأنها تُريدُ أن تُصْلِحَ السراجَ فأطفأتْه فجعلا يُرْيانِ الضيفَ أنهما يأكلان، وباتا طاوِيَيْنِ رضي الله عنهما(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بعثة النبيِّ ﷺ وهجرته ووفاته

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحق، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، وكفىٰ بالله شهيداً. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إقراراً به وتوحيداً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومن تبعهم، وسلَّم تسليماً مزيداً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحْمَدُوا ربَّكم علىٰ ما أنعمَ به عليكم من بعثةِ هذا النبيِّ الكريم، الذي أخرجكم به من الظلمات إلىٰ النور، وهداكم به من الضلالة وبصَّرَ به من العمىٰ وأرشدكم به من الغَيِّ، فلله الحمدُ ربِّ العالمين.

لقد بعثه الله تعالىٰ علىٰ حين فترة من الرسل، علىٰ رأس الأربعين من عمره. فجاءه الوحيُ وهو يتعبدُ في غار حراء، وهو الغارُ الذي في أعلىٰ الجبل، المسمىٰ جَبَلَ النورِ، شرقي شمال مكةَ علىٰ يمين الداخل.

فأولُ ما أُنزلَ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

ثم ذهبت به خديجةُ إلىٰ ورقةَ بنِ نَوفَلٍ، وكان قد دخل في دين النصارىٰ، وعرف الكتاب. فأخبره النبيُّ ﷺ بما حصل له من

الوحي، فقال ورقةُ: يا ليتني فيها جَذِعاً، يا ليتني أكون حياً إذ يخرجُك قومُك. فقال النبيُّ ﷺ: «أو مُخْرِجِيَّ هُمْ»(١) استبعدَ ﷺ أن يُخرِجَه قومُه من بلادِه. فقال: نَعَمْ، لم يأتِ رجلٌ قَطُّ بمثلِ ما جئت به، إلا عُودِيَ، وإن يُدْرِكْني يومُك أنصرْك نصراً مُؤَزّراً.

ثم أنزل اللهُ تعالىٰ علىٰ رسولِه، بعد أن فَتَر الوحيُ مُدةً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] فقام النبي ﷺ بأمر ربه، فبشر وأنذر.

وكان أولَ من أجابه من غير أهل بيته: أبو بكرٍ رضي الله عنه، وكان صديقاً له قبل النبوةِ. فلما دعاه النبيُّ ﷺ بادر إلىٰ التصديق به، وقال: بأبي وأمي، أهلُ الصدقِ أنت، أشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وأنك رسولُ الله. وصار من دُعاةِ الإسلام حينئذ فأسلم علىٰ يديه عُثمانُ بنُ عفَّانَ، والزبيرُ بنُ العوام، وعبد الرحمٰن بن عَوْفٍ، وسعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وطلحةُ بن عُبيدِ اللهِ، رضي اللهُ عنهم.

ومكث النبيُّ ﷺ يدعو الناسَ سراً حتىٰ نزل قولُه تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فصَدَعَ بأمرِ الله تعالىٰ، وجهرَ بدعوتِه، فجعلت قريشٌ تسخرُ به، وتستهزىءُ به، ويُؤذونَه بالقولِ وبالفعلِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) (٢٥٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكان من أشد الناس إيذاءً له، وسخرية به عمُه أبو لهبٍ، الذي قال الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] حتىٰ بلغ من إيذائهم له، أن ألقَوا عليه فِرْثَ الناقةِ وسَلاها وهو ساجدٌ، فلم يقدرْ أحدٌ علىٰ رفعِه عنه، فلم يزل ساجداً حتىٰ جاءت ابنته فاطمة، فألقَتْه عنه.

فلما رأىٰ النبيُّ ﷺ، استهانةَ قريش به، وشدةَ إيذائهم له ولأصحابه، خرجَ إلىٰ أهلِ الطائفِ يدعوهم. فقابلَ رؤساءَهم وعرضَ عليهم. فردوا عليه رداً قبيحاً وأرسلوا غِلْمانَهم وسُفهاءَهم يقفون في وجهِه، ويرمونه بالحجارةِ، حتىٰ أدْمَوا عَقِبَه ﷺ. فرجع منهم ومَدَّ يَدَ الافتقار إلىٰ ربِّه، فدعا بدعاءِ الطائفِ المشهور: **«اللهم إني أشكو إليك ضَعْفَ قُوتي، وقِلَّة حِيلتي وهَوانِي علىٰ الناس، يا أرحمَ الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلىٰ من تَكِلُني إلىٰ بعيدٍ يتجهمني، أم إلىٰ عدوٍ مَلَّكْتَه أمري، إن لم يكنْ بك غَضَبٌ عليّ فلا أبالي غيرَ أن عافيتَك أوسعُ لي، أعوذُ بنورِ وجهِك الذي أشرقت له الظلماتُ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، أن يَحلَّ عليَّ غَضَبُك أو أن ينزِلَ بي سَخَطُك، لك العُتبَىٰ حتىٰ تَرْضَىٰ ولا حول ولا قوة إلا بك»**[١].

ثم قيض اللهُ له الأنصار فبايعوه علىٰ عبادةِ الله وحدَه لا شريكَ له، وأن يمنعوه إذا قدمَ عليهم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم،

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٤٧ طبعة دار الخير.

فأذن الله لرسوله بالهجرة إليهم. فهاجر في شهر ربيعِ الأول، بعد ثلاث عشرة سنة من مبعثه.

وكان بصحبته أبو بكر، فاختفيا في غار ثَوْرٍ، ثلاثةَ أيامٍ، والمشركون يطلبونهم من كُلِّ وَجْه، حتىٰ كانوا يقفون علىٰ الغارِ الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بكر، فيقول أبو بكر: يا رسولَ الله، والله لو ينظر أحدُهم إلىٰ قدمِه لأبْصَرنا، فيقول رسولُ الله ﷺ: «**لا تحزن إن اللهَ معنا، ما ظنك باثنين اللهُ ثالثُهما**»[(١)].

فلما سمع بذلك الأنصارُ جعلوا يخرجون كلَّ يوم إلىٰ حرة المدينة، يستقبلون رسولَ الله ﷺ، حتىٰ يَرُدَّهم حَرُّ الظهيرة. فكان اليومُ الذي قدم فيه رسول الله ﷺ، إليهم هو أنورُ يومٍ وأشرفُه. فاجتمعوا إلىٰ رسولِ الله ﷺ، محيطين به متقلدي سيوفهم.

وخرج النساءُ والصبيان وكُلُّ واحدٍ يأخذُ بزمام ناقتِه، يُريدُ أن يكونَ نزولُ رسولِ الله ﷺ عندَه وهو يقول: دَعُوها فإنها مأمورةٌ. حتىٰ إذا أتت مَحَلَّ مسجدِه اليومَ بَرَكَتْ. فيُذْكَرُ أنه ﷺ، لم ينزلْ فقامت فسارت غيرَ بعيدٍ، ثم رَجَعت إلىٰ مَبْرَكِها أول مرة، فبَرَكَتْ فيه، ثم تَحَلْحَلَتْ رزَمَتْ ووضعت جِرَانَها، فنزلَ عنها رسولُ الله ﷺ، وسكنَ دارَ أبي أيوبَ الأنصاري رضي الله عنه حتىٰ بنىٰ مسجدَه، ومساكِنَه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون الجملة الأولى وقد وردت في حديث الهجرة الذي أورده البخاري (٣٦١٥) و(٣٦٥٢) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم بعد ذلك أذِنَ اللهُ له بقتال أعدائه الذين كانوا يصدون عن سبيلِ الله، ويبغونها عِوَجاً، وهم بالآخرة هم كافرون، فأظهرَه اللهُ عليهم، وأيده بنصرِه وبالمؤمنين.

ولما أكملَ اللهُ به الدينَ، وأتمَّ به النعمةَ علىٰ المؤمنين، اختاره اللهُ لجواره، واللحاقِ بالرفيقِ الأعلىٰ من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

فابتدأ به المَرَضُ في آخرِ شهرِ صَفَرٍ وأولِ شهرِ ربيع الأول، فخرج إلىٰ الناس عاصباً رأسَه، فصعد المِنْبَر، وكان أولَ ما تكلم به بعد ذلك أنْ استغفر للشهداء الذين قُتلوا في أحد. ثم قال: «**إنَّ عبداً من عبادِ اللهِ خيَّره اللهُ بينَ الدنيا وبينَ ما عندَ اللهِ، فاختار ما عندَ اللهِ**» ففهمها أبو بكر رضي الله عنه، فبَكىٰ وقال: بأبي وأمي نَفْدِيك، بآبائنا وأمهاتنا وأبنائِنا وأنفسِنا وأموالِنا. فقال النبيُّ ﷺ: «**علىٰ رِسْلِك يا أبا بكرٍ**» ثم قال: «**إنَّ أمَنَّ الناسِ عَلَيَّ في صحبتِه وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غيرَ ربي لاتخذت أبا بكر، ولكنْ خلةُ الإسلام ومودتُه**»[١]. وأمر أبا بكر رضي الله عنه أنْ يُصَلِّيَ بالناس.

ولما كان يومُ الاثنين الثاني عشرَ أو الثالث عشرَ من ربيعِ الأول من السنة الحادية عشرةَ من الهجرة، اختاره اللهُ تعالىٰ لجوارِه. فلما نزل به جعل يُدْخِلُ يدَه في ماءٍ عندَه ويمسحُ بها وجهَه، ويقول:

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

«لا إلـهَ إلا اللهُ، إنَّ للموتِ سَكَرات». ثم شخَصَ بصَرُه نحو السماء، وقال: «اللهم في الرفيقِ الأعلىٰ»(١).

فتُوفِّي يومَ الاثنين فاضطرب الناسُ عند ذلك وحُقَّ لهم أنْ يضطربوا. حتىٰ جاء أبو بكر رضي الله عنه، فصعد المنبَر، فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ: فإنَّ مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ، فإنَّ الله حيٌّ لا يموتُ. ثم قرأ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

فاشتدَّ بكاءُ الناس، وعرفوا أنه قد مات فغُسِّلَ ﷺ في ثيابِه تكريماً له، ثم كُفِّن، وصلَّىٰ الناسُ عليه أرسالاً بدون إمامٍ، ثم دُفِنَ ليلةَ الأربعاء، صلوات اللهُ وسلامُه عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤-١٤٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بعثة الرسول ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين، لئلا يكون للناسِ علىٰ اللهِ حجةٌ بعدَ المرسلين. والحمدُ للهِ الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بَعَثَ فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ. وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الذي عمت رحمتُه جميعَ العالمين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقين، وخاتَمُ النبيين، وحجةُ اللهِ علىٰ العبادِ أجمعين، أرسله اللهُ تعالىٰ بين يَدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً.

بعثه اللهُ علىٰ حين فترةٍ من الرسل، وانطماسٍ من السبُل، والناسُ في ذلك الوقت أحوج إلىٰ رسالتِه من الطعامِ والشرابِ والهواء، بعثه اللهُ تعالىٰ والناسُ في جَهْلِهم مُنْغَمِرونَ، وفي عباداتهم مشركون، وفي معاملاتِهم مُعْتَدُون ظالِمون، وفي أغراضِهم الشخصيةِ وحَميَّتِهم الجاهلية متفرقون متشتتون، قد وقعت بينهم العداوةُ والبغضاءُ، وساد بينهم التفرقُ واتباعُ الأهواء، قد نُزِعَتِ الرحمةُ من قلوبهم لأولادِهم، ولم يكن عندَهم أملٌ ولا رجاءٌ بحصولِ رِزْقِهم ومعاشِهم، يقتلون الأولادَ خشيةَ الفقرِ والإقتار. ويدفنون البناتِ وهن أحياءٌ خشيةَ العار.

فأبدلهم اللهُ وله الحمدُ بهذا النبيِّ الكريمِ بالجهل عِلْماً وعرفاناً، وبالشرك إخلاصاً وإيماناً، وبالاعتداء والظلمِ عدلاً

وإحساناً. وأبدلَهم بالغلظة والوحشيةِ رحمةً وبراً وحناناً، وبالبغضاءِ والعداوةِ محبةً ووُدّاً، فأصبحوا بنعمته إخواناً، ولقد ذَكَّرَ النبيُّ ﷺ الأنصارَ بهذه النعمةِ حيث قال لهم: «**يا معشرَ الأنصار، ألم أجدْكم ضُلاّلاً فهداكم اللهُ بي وكنتم متفرقين فألَّفكم اللهُ بي، وعالةً فأغناكم اللهُ بي**»[(١)].

ولقد بعثه اللهُ علىٰ رأسِ الأربعينَ من عمرِه الشريف فكان أولُ ما بُدِىء به من الوحي الرؤيا الصالحة، في النوم لا يرىٰ رُؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يخلو بغارِ حِراء، فيتعبد حتىٰ جاءه جبريلُ في ذلك الغار فقال له: اقرأْ. قال: ما أنا بقارىء، أي لا أُحسِنُ القراءة، فأخذه فغطه أي ضَمّهُ بشدةٍ يقول ذلك ثلاثَ مراتٍ، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥] فكان هذا أولَ ما نزل من القرآن.

ثم أُمِرَ ﷺ بالإنذارِ في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]، وأُمِرَ ﷺ بإنذارِ عشيرتِه الأقربين، فقام رسولُ الله ﷺ وقال: «**يا فاطمةُ بنتُ محمد، يا صفيةُ بنتُ عبدِ المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملِكُ لكم من اللهِ شيئاً**»[(٢)]، يا بني عبد

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

المطلب، يا بني فهر، يا بني لُؤيٍّ، أرأيتم لو أخبرتُكم أنَّ خَيْلاً بسَفْحِ هذا الجبلِ تريدُ أنْ تُغيرَ عليكم صدقتموني؟» قالوا: نَعَمْ. قال: «إني لكم نَذِيرٌ بين يَدَيْ عذابٍ شديد» فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ما دعوتَنا إلا لهذا(١). أتدرون مَن أبو لهب؟ هو عمُّ النبيِّ ﷺ، فهو مِنْ أقربِ الناس إليه، لكنَّ قربَه لم ينفعْه، فإنَّ الهدايةَ بيدِ الله تعالىٰ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بعثة النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا مِن قبلُ لفي ضلالٍ مبين. ونشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الأمينُ. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا النبيِّ الكريم الذي بعثَه اللهُ في الأميين لجميعِ العالمين يتلو عليهم آياتِه ويُزكيهم ويعلمهم الكتابَ الحكمةَ. بعثه اللهُ تعالىٰ علىٰ حين فترةٍ من الرسل وانطماسٍ من السبُل، فهدىٰ به من الضلالةِ، وبَصَّرَ به من العَمَىٰ، وأغنىٰ به بعدَ الفقر، وجمع به بعدَ التفرق، وألَّفَ به بعدَ العداوة. بعثه اللهُ تعالىٰ في العرب لجميع الناس.

وكان العربُ في ذلك الوقت أمةً ذليلةً متفرقةً جاهلةً. فكوَّنها ﷺ بإذنِ الله وقوتِه، كوَّنها أمةً إسلاميةً لا تتعصبُ لقوميةٍ ولا لجنسيةٍ، بل هي أمةٌ إسلاميةٌ وأخوةٌ إيمانيةٌ، دينُها الإسلامُ، وقانونُها الكتابُ والسنةُ، وقائدُها وإمامُها محمدٌ ﷺ، الذي يأتيه وَحْيُ الله تعالىٰ، صباحاً ومساءً ليُرْشِدَ العبادَ ويُقيمَ مصالحَهم الدينيةَ والدنيوية، فاجتمعَ المسلمون تحتَ الرايةِ الإسلاميةِ، وانضمَّ تحتَ هذه الرايةِ كُلُّ دُعاةِ الخيرِ والإسلامِ والصلاحِ من عربٍ وغيرِهم.

فأعزّهم اللهُ بدينِهم، وأعزَّ دينَهم بهم. أعزَّهم اللهُ بالدينِ والإيمان، لأن اللهَ تعالىٰ إنما تكفَّلَ بإظهار دينِه وإعلائِه، فمَنْ تمسَّكَ به فهو العالي الظاهرُ علىٰ غيرِه من الأمم. أعزَّهم بالإيمان، لأن اللهَ تعالىٰ إنما جعل العزةَ له ولرسولِه وللمؤمنين، لم يُعِزَّهم اللهُ تعالىٰ بمجردِ عُرُوبتهم، وإنما أعزَّهم بدينِهم، ولن يكونَ آخِرُ هذه الأمة أعزة ولن يكونوا غالبين حتىٰ يرجعوا إلىٰ دينِهم، ويتحدوا تحت لوائه كما فعلَ ذلك سلفُ الأمة، ولن يُصْلِحَ آخِرَ هذه الأمةِ إلا ما أصْلَحَ أوّلها.

أيها المسلمون: وإنَّ مِن الخطأ الواضحِ وإنكارِ حقائق التاريخ أن تُنْسَبَ الانتصاراتُ الإسلاميةُ في اليرموكِ والقادسيةِ وغيرِها إلىٰ مجردِ انتصاراتٍ عربيةٍ. فإنَّ هذا هضمٌ للإسلام وإنكارٌ للحقائق، فالانتصاراتُ المذكورةُ انتصاراتٌ إسلاميةٌ، وما كان العربُ قبلَ الإسلام يفكرون أو يدورُ في أفلاكِ أخيلَتِهم أنْ يَغْلِبوا دَوْلَتي الفرسِ والروم ويمحوهما من الوجود أبداً. ولكنَّ الإسلامَ هو الذي مَحَا دينَ الرومانِ والفُرسِ. والمسلمون هم الذين أبادوا دولتي الرومانِ والفرسِ بالإسلام. نَعَمْ صحيحٌ أن القُوادَ في أغلبِ هذه المعارك كانوا عَرَباً، ولكنَّ النصرَ إنما كُتبَ لهم لإيمانِهم لا لعُرُوبَتِهم. ولقد جاء في التاريخ أنَّ المسلمين يحاصرون بلدَ الكفارِ فيُكبرون اللهَ عليه، فتُزلزلُ البلدُ ويتصدعُ حيطانُها.

أيها الناسُ: بُعِثَ النبيُّ ﷺ في هذا الشهر، فكان أولَ ما ابتدىء به من الوحي الرؤيا الصالحةُ، فكان لا يَرَىٰ رُؤْيا إلا جاءت

مثلَ فَلَقِ الصُّبح. ثم أنزل اللهُ عليه القرآنَ في رمضان، بعد أنْ تم له أربعون سنة، فدعا الناسَ إلىٰ الحقِّ وإلىٰ عبادةِ اللهِ تعالىٰ وحدَه، وإفرادِه بالحُبِّ المطلقِ والتعظيمِ المطلقِ والقيام بطاعتِه وتقديمِها علىٰ هوىٰ النَفْس، ولكنَّ رؤساءَ قومِه من العرب وخاصةً قريشاً تابذوه وعادَوْه، وأنكروا دعوتَه وكذَّبوه، فهاجر إلىٰ المدينةِ بأمر اللهِ.

ثم أذِنَ اللهُ بالقتال، بعد أنْ تَقَوَّىٰ المسلمون وصار عندَهم ما يُمكِنُ أنْ يقابلوا به الأعداءَ، فنصره اللهُ تعالىٰ نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً، ففتح مكةَ وأزال عنها الشركَ والأصنامَ، ثم أنزل اللهُ عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣]. فكان ذلك إيذاناً باقتراب أجلِه، وحصولِ المقصودِ، فمَرِضَ رسولُ الله ﷺ، ثم توفّاه اللهُ تعالىٰ في هذا الشهرِ، فكان هذا الشهرُ شهرُ ربيعِ الأول، هو شَهْر بعثتِه، وشهرَ هجرتِه، وشهرَ وفاتِه ﷺ.

نسأل اللهُ تعالىٰ أنْ يجعلَنا جميعاً من أُمَّتِه الذين استجابوا للهِ وللرسول، ظاهراً وباطناً. وأن يُهيِّيء للأمة الإسلاميةِ مَنْ يقومُ بدينها علىٰ الوجهِ الذي ينبغي، وأن يجمعَ كلمتَها علىٰ الحقِّ، وأن ينصرَها علىٰ أعدائِها أياً كانوا، إنه سميعٌ قريبٌ، اللهم صلِّ وسلم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

شيء من سيرة النبيّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياتِه ويُزكيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلٰهُ الأولين والآخِرين، الباعثُ في كلِّ أمةٍ رسولاً يأمرُهم بعبادةِ اللهِ، وينهاهم أن يُشركوا به أحداً من المخلوقين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، أتَمَّ به النعمةَ، المبعوثُ رحمةً للعالمين، وقُدوةً للسالكين. اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين، وسلِّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا النبيِّ الكريمِ، فلقد بعثَه اللهُ علىٰ حينِ فترةٍ من الرسل، وكان الناسُ في اعتقاداتهم ضالين، وفي أعمالِهم مُعْتدِين ظالمين، كانوا في جاهليةٍ جهلاءَ وطوائفَ أعداءٍ، فهداهم اللهُ بالإسلام، وجمَعهم بعد التفرقِ إلىٰ الالتئامِ فأصبحوا بنعمتهِ إخوانا، واكتسبوا بهذا الدينِ أخلاقاً وآداباً وإيماناً.

وقد اختار اللهُ هذا النبيَّ من خَيْرِ سُلالةِ بني آدَمَ، فقد اصطفاه اللهُ من بَنِي هاشِمٍ، واصطفىٰ بني هاشِمٍ من قُرَيْشٍ، واصطفىٰ قُرَيْشاً من كِنانةَ من ولَدِ إسماعيلَ.

وِلد ﷺ في هذا الشهرِ في مكةَ، وكَفَلَه جَدُّه عبدُ المطلبِ، لأن أباه مات وهو حَمْلٌ. وماتت أُمُّه وله نحو سَبْع سنين، فنشأ ﷺ يتيماً علىٰ أكرمِ الأخلاقِ وأحْسَنِ الآدابِ.

ولما بلغَ الخامسةَ والعشرين من عُمرِه تزوج خديجةَ بنتَ خُوَيْلدٍ أمَّ أولادِه، ما عدا إبراهيمَ. ثم حَبَّبَ اللهُ إليه الخلوةَ بربِّه والتعبدَّ له، فكان يأخذُ زاداً ويخرجُ إلىٰ غارِ حِرَاءٍ، يتعبدُ فيه أياماً، ثم يرجعُ إلىٰ أهلِه فيتزودُ لمثلِها.

فلما كمل له الأربعونَ من عمرِه، نزل الوحيُ عليه هنالك، فجاءه جِبرِيلُ فقال: اقرأ، فقال: «ما أُحْسِنُ أنْ أقرأ» فضمَّه جبريلُ حتىٰ أَجْهَدَه، ثم فعلَ مثلَ ذلك مرتين، وفي الثالثةِ قال له: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ١-٣].

فرجَع بها رسولُ اللهِ ﷺ، يَرْجُفُ فؤادُه فدخل علىٰ خديجة فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني. فزملوه حتىٰ ذهبَ عنه الروعُ، فأخبرَ خديجةَ بما جَرَىٰ، وقال: «لقد خشيتُ علىٰ نفسي» فقلت: كَلاَّ واللهِ ما يُخْزِيك اللهُ أبداً، إنك لَتَصِلُ الرحمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المعدومَ، وتَقْرِي الضيفَ، وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ[١].

ثم انطلقتْ به إلىٰ ورقةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وكان قد تَنَصَّرَ وكَتَبَ من الإنجيل ما شاء. فأخبره النبيُّ ﷺ، بما رأىٰ، فقال ورقةُ: هذا هو الذي نَزَّلَه اللهُ

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

علىٰ موسىٰ، يعني جبريلَ، ثم قال ورقةُ: يا ليتني فيها جَذِعاً ليتني أكون حياً إذْ يُخرِجُك قومُك. فقال النبيُّ ﷺ: «أومُخْرِجِيَّ هُمْ». قال: نَعَمْ، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلا عُودِيَ.

ثم فَتَر الوحيُ بعدَ ذلك، فلما اشتد اشتياقُ النبيِّ ﷺ إليه، إذا جبريلُ علىٰ كُرْسِيٍّ بينَ السماءِ والأرضِ، فأنزلَ اللهُ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥]. فقام النبيُّ ﷺ، بأعباءِ الرسالةِ بصِدْقٍ ويقِينٍ، يدعو الناسَ مُسْتَخْفِياً، حتىٰ نزل قولُه تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. فأعلن ﷺ، دعوتَه إلىٰ اللهِ وعندَ ذلك عاداه قومُه وجاهروا بأذاه. فَسَعَوْا بكلِّ وسيلةٍ إلىٰ إطفاءِ نُورِه، وإخمادِ دعوتِه، وكادوا ومكروا ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فحصروه وأهلَ بيتِهِ في شِعْبِ أبي طالب نحواً من ثلاثِ سنينَ.

وبعدَ ذلك مات عمُّه أبو طالب، ثم زوجتُه خديجةُ، فاشتد الأمرُ عليه، فخرج إلىٰ الطائفِ يدعوهم إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ولكنهم ردُّوا دعوتَه وسَخِروا به وأخرجوه، وأغْرَوْا به عبيدَهم وسفهاءهم ورجموه بالحجارةِ حتىٰ أدْمَوْا كَعْبَيه، ومع ذلك فهو صابرٌ علىٰ أمرِ اللهِ، مثابرٌ علىٰ الدعوةِ إلىٰ اللهِ. فرجعَ إلىٰ مكةَ من الطائفِ يشكو إلىٰ ربِّه ضَعْفَ قوتِه، وقلةَ حيلتِه، وهَوَانِه علىٰ الناسِ.

وفي طريقِه أرسلَ اللهُ إلىٰ ملكِ الجبالِ وأمرَه بطاعتِه، فقال: إنَّ اللهَ أرسلني إليك، فإنْ أردتَ أنْ أُطْبِقَ علىٰ قومِك الأَخْشَبَيْنِ، وهما

جبَلا مكةَ. فقال النبيُّ ﷺ: «**لا بل أرجو الله أنْ يُخْرِجَ من أصلابِهم مَنْ يعبدُه ولا يشركُ به شيئاً**»(١) فلم ينتقمْ لنفسِه ﷺ، مع قدرتِه علىٰ ذلك. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وفقني اللهُ وإياكم لمحبةِ هذا النبيِّ الكريمِ وجعلنا من أتباعِه ظاهراً وباطناً. إنه هو السميع العليم، الرؤوف الرحيم.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.



---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

شيءٌ من سيرة النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحِكمةَ وإن كانوا مِن قبلُ لفي ضلالٍ مُبين. والحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ المؤمنين فعَرَفُوا نعمةَ اللهِ عليهم بهذا النبيِّ الكريمِ، ثم شكروا هذه النعمةَ فكانوا بما أخبر به موقنين، وبهديه وسنته متبعين. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الحقُّ المبينُ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ النبيين، وخليلُ ربِّ العالمين، وسيدُ الأوّلين والآخرين. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعرفوا نعمته عليكم بهذا النبيِّ الكريم، الرسول الصادق الأمين. بعثه اللهُ رحمةً بعباده، فهَدَىٰ به من الضلالةِ، وبَصَّرَ به من العمىٰ وأَرْشَدَ به من الغَيِّ، وعلَّم به من الجَهْلِ، وأنْقذَ به من الهلاكِ. فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

أيها الناسُ: إنَّ النعمةَ لا تُعرَفُ تَمامَ المعرفةِ إلا بضدِّها، ولا يُقَدِّرها حقَّ قَدْرِها إلا مَنِ ابْتُلِيَ بفَقْدِها. فمَنْ عَرفَ حالةَ العربِ قبلَ الإسلام ثم حالتَهم بعدَ الإسلامِ، عَرفَ بذلك قَدْرَ نعمةِ اللهِ علينا بهذا الدينِ الكاملِ القويمِ. فلقد كان العربُ قبلَ الإسلام يعبدون الأصنامَ والأوثانَ، ويُحبونها ويعظمونها كما يعظمون اللهَ. وكان البعضُ منهم يَئِدُون بناتِهم ـ أي يدفنونهن ـ وهن أحياء خوفاً من

العار، وكان بعضٌ آخرُ يقتلون أولادَهم خوفاً من الفقرِ والإقتارِ، وكانوا أمةً أُميةً لا يقرؤون ولا يكتبون. فلما جاء الإسلامُ هذَّب أخلاقَهم، وقوَّمَ أديانَهم، فأخلصوا العبادةَ وامتلأت قلوبُهم رحمةً بعد أن كانت مملوءةً غِلْظةً، وألَّفهم اللهُ بعدَ الفرقةِ، وأغناهم بعد العَيْلةِ، وصاروا إخواناً كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً.

ولقد بعث اللهُ رسولَه ﷺ، حين بلغ أشُدَّه واستوىٰ، حين بلغ أربعين سنة. فكان أولُ ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقةُ. لا يَرَىٰ رؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبحِ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، أي الانفرادُ، فكان يخلو بغار حِرَاءٍ فيتعبدُ فيه الليالي العديدةَ، ثم يرجعُ إلىٰ أهلِه، فيتزودُ لمِثْلِه.

حتىٰ جاءه الحق، فنزل عليه جبريلُ بالوحيِ في ذلك الغارِ، فقال له جبريلُ اقرأ، فقال: «ما أنا بقارىء» أي: لا أعرفُ القراءةَ، فضَمَّه جبريلُ ضماً شديداً، حتىٰ بلَغَ منه الجَهدُ، ثم أَطْلَقَه، فعل ذلك ثلاثَ مرات. ثم قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]. فكان هذا أول ما أنزل عليه من القرآن. ثم فترَ الوحيُ حتىٰ نزلَ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥].

فأنذر الناسَ ودعاهم عليه الصلاة والسلام، ولقي مِن الناس عامةً، ومن قومِه خاصةً من الأذىٰ بالقولِ والفعلِ، وهو في ذلك صابرٌ لله وباللهِ، فكان يعرِضُ نفسَه علىٰ القبائل في الموسم.

ويقول: «من يُؤْويني ومن ينصرني حتىٰ أُبلِغَ رسالةَ ربّي وله الجنةُ»[١]. فلا يَجِدُ أحداً ينصرُه ولا يُؤْوِيهِ، حتىٰ قيَّض اللهُ تعالىٰ له الأنصارَ فبايعوه علىٰ السمعِ والطاعةِ، وعلىٰ أنْ ينصروه إذا قَدِم إليهم، ويمنعوه مما يمنعونَ منه أنفسَهم وأبناءَهم ونساءَهم.

ثم أذِنَ اللهُ لنبيِه بالهجرةِ إلىٰ المدينة، فهاجر إليها بصُحْبةِ أبي بكرٍفي شهرِ ربيعِ الأول، في السنةِ الثالثة عشر من مَبْعثهِ ﷺ، فأعزَّ اللهُ الإسلامَ ونصرَ أولياءَه، وأظهره علىٰ الدين كلِّه، وللهِ الحمدُ. ولما أكمل اللهُ به الدينَ وأتم به النعمةَ علىٰ المؤمنين، اختاره اللهُ لجوارِه فلحق بربِّه في شهر ربيعِ الأولِ بعدَ عَشْرِ سنينَ من هجرتِه ﷺ، بعد أنْ تركَ أمتَه علىٰ المحجّة البيضاءِ، ليلُها كنهارِها، لا يَزِيغُ عنها إلا هالكٌ. فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.



---

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٢٢، وابن حبان (٦٢٧٤)، والحاكم ٢/٦٢٥ من حديث جابر رضي الله عنه.

حالُ النبيِّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

الحمدُ للهِ الذي خلَقَ الإنسانَ من ترابٍ، وفارق بينَهم في الصفاتِ الظاهرةِ والباطنةِ، والأخلاقِ والأرزاقِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضلِ العظيمِ والخيرِ العميمِ، والإحسانِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أعظمُ الناس شكراً عند الرخاء، وأعظمُهم صبراً عند البلاءِ، وإنه لعلىٰ خلق عظيم. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسَ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا حكمته البالغة في التفاوتِ بينَ العبادِ. فمنهم مؤمنٌ ومنهم كافرٌ، فيهم العالِمُ وفيهم الجاهلُ، وفيهم الحليمُ وفيهم السفيهُ، وفيهم المحسنُ وفيهم المسيءُ، وفيهم البرُّ وفيهم الفاجرُ، وفيهم مَنْ يَعْتَنِقُ مكارمَ الأخلاقِ ومنهم مَنْ يَتَّبعُ مساوىءَ الأخلاقِ. وإذا تأملتَ في سُنةِ الله في خَلْقِه وجدتَ هذا التفاوت في جميع الصفاتِ الغريزيةِ والمكتسبةِ. فتبارك اللهُ ربُّ العالمين، وهذا التفاوتُ الذي أجراه اللهُ بينَ العبادِ له حِكَمٌ بالغةٌ ومَصَالِحُ عظيمةٌ، فمِنَ الحِكَمِ في ذلك معرفةُ اللهِ تعالىٰ، وأنه وحدَه هو الذي بيده مقاليدُ السمٰواتِ والأرض. يُعْطِي ويمنعُ لا مانعَ لما أَعْطَىٰ ولا مُعْطِيَ لما منَعَ، ومن الحِكَمِ في ذلك معرفةُ الإنسان قَدْرَ نعمةِ اللهِ عليه بما فضَّلَه به علىٰ غيرِه. فإنَّ النعَمَ لا

تُتَبينُ إلا بضدِّها. ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**انظروا إلىٰ مَنْ هو أسفلَ منكم، ولا تنظروا إلىٰ مَنْ هو فوقَكم. فهو أجدرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللهِ عليكم**»[١]. ومن ذلك أنَّ في هذا التفاوتِ ابتلاءً وامتحاناً ليُعلمَ بذلك مَنْ يكونُ عالِيَ الهمةِ، متطلعاً إلىٰ الفضائلِ والمعالي، ومَنْ يكونُ سافلَ الهمةِ مُخْلِدَاً إلىٰ الأرضِ تابعاً للرذائلِ.

وكما فضَّلَ اللهُ الناسَ بعضَهم علىٰ بعضٍ في الأخلاقِ والأعمالِ والصفاتِ، فقد فضَّل اللهُ بعضَهم علىٰ بعضٍ في جميع ميادينِ الحياةِ. فضَّل اللهُ بعضَهم علىٰ بعضٍ في المالِ، فبعضُهم الغنيُّ الكبيرُ، وبعضُهم المتوسطُ، وبعضُهم الفقيرُ. ذلك تقديرُ اللطيفِ الخبيرِ. وفي صحيح مسلمٍ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: خرج النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعُمَرَ رضي اللهُ عنهما، فقال: «**ما أخرجَكُما من بيوتِكما هذه الساعةَ؟**» قالا: الجُوعُ يا رسول اللهِ. قال: «**وأنا والذي نفسِي بيده لأَخْرَجِنِي الذي أخرجَكما قوما**» فقاما معه، فأتىٰ رجلاً من الأنصارِ، فإذا هو ليس في بيتِه، فلما رأته المرأةُ قالت: مَرْحَباً وأهلاً، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**أين فُلاَنٌ؟**» قالت: ذهب يستعذِبُ لنا الماءَ، إذ جاء الأنصاريُّ فنظر إلىٰ رسولِ الله ﷺ وصحابيه، ثم قال: الحمدُ للهِ ما أحدٌ اليوم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أكرمَ أضيافاً مني. فانطلق فجاءَهم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ، فقال: كُلُوا، وأخذَ المدية فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«إياك والحَلُوبَ»**، فذبحَ لهم فأكلوا من الشاةِ، ومن ذلك العِذْق وشَرِبُوا، فلما أن شَبِعَوا وَرُوُوْا ، قال النبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ وعُمَرَ: **«والذي نفسِي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النعيمَ يومَ القيامةِ، أخرجَكم مِنْ بيوتِكم الجوعُ، ثم لم تَرْجِعُوا حتىٰ أصابكم هذا النعيمُ»**[1].

وكان أبو هريرةَ رضي اللهُ عنه، يشدُّ الحَجَرَ علىٰ بطنِه من الجُوعِ، قال: فقعدْتُ يوماً علىٰ طريقِهم فمر أبو بكرٍ فسألته عن آيةٍ من كتابِ الله ما سألتُه إلا لِيُشْبِعَنِي، فمرّ ولم يفعلْ، ثم مرَّ بي عمرُ فسألته عن آية من كتابِ الله ما سألته إلا لِيُشْبِعَنِي، فمرّ ولم يفعلْ، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسَّمَ حين رآني، وعَرَفَ ما في نفسِي وما في وجهِي، ثم قال: **«أبا هريرةَ»**. قلت: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ. قال: **«إلحق»** فدخل فوجدَ لبَناً في قدحٍ، فقال: **«أُدْعُ لي أهلَ الصُّفةِ»**، وهم أضيافُ الإسلام لا يأوون علىٰ أهلٍ ولا مالٍ إذا أتت النبيَّ ﷺ، صدقةٌ بعث بها إليهم ولم يتناولْ منها شيئاً لأنه لا يأكلُ الصدقةَ، وإذا أتته هديةٌ أصابَ منها وأشركهم فيها. فقلت في نفسِي: وما هذا اللبنُ في أهلِ الصفةِ كنت أنا أحقُّ أنْ أَصِيبُ من هذا اللبن شَرَبْةً، أَتَقَوىٰ بها، ولكن لم يكنْ من طاعةِ الله وطاعة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٨)، والترمذي (٢٣٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسوله بُدٌّ فدعوت أهلَ الصفةِ، فلما أخذوا مجالسَهم من البيتِ قال: «**يا أبا هريرةَ**» قلت: لبيّكَ يا رسولَ اللهِ. قال: «**خُذْ فأعطهم**». فشربوا واحداً واحداً، حتىٰ رَوُوا فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ القَدَحَ فوضعَه علىٰ يدِه فنظرَ إليَّ فتبسَّمَ، فقال: «**أبا هِر**» قلت: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ. قال: «**بقيت أنا وأنت**». قلت: صدقتَ يا رسولَ الله، قال: «**اقعد فاشربْ**»، فشربت فما زالَ يقول: اشربْ، حتىٰ قلت، والذي بعثك بالحقِ ما أَجِدُ له مَسْلَكاً فأعطيته القَدَحَ. فحمِدَ اللهَ وسمَّىٰ وشرِبَ الفضلةَ[1]. رواه البخاري.

عبادَ الله: هذه حالُ النبيِّ ﷺ، وبعضِ أصحابِه، ويقابلُ هذه الحالَ حالُ بعضِ الصحابةِ رضي الله عنهم مثل حالِ عثمانَ بْنِ عفانَ، أميرِ المؤمنين رضي اللهُ عنه، كان غنياً جواداً في جَيْشِ العُسْرةِ في غَزْوةِ تبوك حمَلَ علىٰ أَلْفِ بعيرٍ، وسبعين فرساً، وجاء بألفِ دينارٍ أي جنيه فصَبَّها في حِجْرِ النبيِّ ﷺ، مساعدةً علىٰ تلك الغزواتِ. وكان عبدُ الرحمٰنِ بْنُ عوفٍ غنياً مُثْرياً، لما مات صَالَحُوا إحدىٰ زوجاتِه عن رُبْعِ الثُّمُن بثلاثةٍ وثمانين ألفاً هذه حالُ النبيِّ ﷺ وأصحابِه رضي الله عنهم، وقد قام كلٌّ منهما بما عليه من صبرٍ وشُكْرٍ. فأقرَّ النبيُّ ﷺ كلاًّ منهم علىٰ حاله، الغنيَّ علىٰ غِناه، والفقيرَ علىٰ فقرِه. فالغنيُّ وظيفتُه شُكرُ اللهِ علىٰ المالِ بأداءِ ما

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أوجبَ فيه من زكاةٍ ونفقاتٍ. والفقيرُ وظيفتُه الصبرُ وانتظارُ الفَرَجِ والسعيُ في الاكتسابِ النافعِ، ثم أمرُه إلىٰ اللهِ تعالىٰ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.



مُجمل سيرة النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه وكفىٰ باللهِ شهيداً. ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إقراراً به وتوحيداً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ أصحابِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ اختارَ من خَلْقِه محمداً ﷺ، من أشرفِ قبائلِ العربِ بني هاشمٍ، وهم من قُرَيشٍ، وقُرَيشٌ من ذريةِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ الخليلِ، عليهما الصلاةُ والسلامُ، فهو خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ. وقد جَبَلَهُ اللهُ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ منذ شبابِه. فكان معروفاً بالصدقِ والأمانةِ، والخصالِ الحميدةِ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه. فكان ﷺ أهلاً لها نسباً وشرفاً وأخلاقاً، ثم بعثه اللهُ تعالىٰ حين بلغ أَشُدَّه واستوىٰ وتمَّ له أربعون سنة، فدعا عبادَ اللهِ تعالىٰ إلىٰ توحيدِ اللهِ والقيامِ بما خُلِقُوا له من عبادتِه، فلَقيَ من الناس أَشَدَّ الأذىٰ بالقولِ والفعلِ، ولكنه ثابرَ وصَابَرَ. قال لقومه: «**لقد بلغتكم رسالاتِ ربِّي ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتُكم به، فهو حَظُّكم في الدنيا والآخرة، وإنْ تردُّوهُ عليَّ أَصْبِرُ لأمرِ اللهِ حتّىٰ يحكمَ اللهُ بيني وبينكم**»[1].

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» ٨/١٤٩-١٥١ (٢٢٧١٩) [الإسراء: ٩٣].

ولما رأىٰ ﷺ استهانةَ قومِه من أهلِ مكةَ توجّه إلىٰ ثَقِيفٍ بالطائفِ يُرِيدُ منهم النصرةَ وقبولَ دعوتِه، ولكنهم قابلوه بضد ذلك، فأرسلوا سفاءهم وغِلْمانَهم يقفون في وجهِه في الطريق ويرمونه بالحجارةِ حتىٰ أدْمَوْا عَقِبَه، فخرجَ من الطائفِ مهموماً ولم يَسْتَفِقْ إلا بقَرنِ الثعالب، وفي رجوعِه من الطائفِ دعا بدعائه المشهور «اللهم إني أشكو إليك ضعفَ قوتي، وقلةَ حيلتي وهَوَانِي علىٰ الناس، أنت أرحمُ الراحمين، وربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي إلىٰ مَنْ تكِلُني إلىٰ عدوٍّ بعيدٍ يتَجهَّمُني أو إلىٰ قريبٍ ملّكته أمْرِي، إنْ لم يكنْ بك غَضَبٌ عليَّ فلا أُبالِي، غيرَ أن عافيتَك أوْسَعُ لي، أعوذُ بنوُرِ وجهِك الذي أشْرَقَتْ له الظلماتُ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة أن ينزلَ بي غَضَبُك، أو يَحِلَّ بي سخطُك، لك العُتْبَىٰ حتىٰ تَرْضَىٰ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك»[1]. وجاء جبريلُ في الطريق، فقال: إن اللهَ قد بعثَ إليك مَلَكَ الجبالِ لتأمرَه بما شِئْتَ. فناداه ملكُ الجبالِ وسلَّم عليه، وقال: إنّ اللهَ بعثني إليك لتأمرَني بما شئت، إن شِئْتَ أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ. فقال النبيُّ ﷺ: «أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبدُه لا يُشْرِكُ به شيئاً»[2].

(١) انظر السيرة النبوية ٢/٢٦٨.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثم أذِنَ له بالهجرةِ إلىٰ المدينة بعدَ أنْ انتشر الإسلامُ فيها وكَثُرَ. فهاجرَ ﷺ في أوائل هذا الشهرِ إلىٰ المدينةِ ومعه صاحبُه أبو بكر الصديقُ. فنزلا في غار ثَوْرٍ ثلاثَ ليالٍ للاختفاء، فَسَعَتْ قُرَيْشٌ في طَلَبِهما حين عَلِمَت بخروجِهما، ولكنَّ اللهَ منعهما منهم، حتىٰ كانوا يقفون علىٰ الغارِ الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر. فيقولُ أبو بكر: يا رسولَ اللهِ، واللهِ لو نظر أحدُهم تحت قدميه لأبصرَنا. فيقولُ له رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما، لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا**»[١]. ثم خرجا من الغار بعد أن خَفَّ الطَّلَبُ وعينُ اللهِ تَكْلَؤُهما وعنايته تحرسُهما.

فلَحِقَهما سُرَاقةُ بْنُ مالكٍ علىٰ فَرَسٍ له، فقلت: يا رسولَ اللهِ هذا الطَّلَبُ لَحِقَنا. فقال: «**لا تحزنْ إن اللهَ معنا**» فارتطمت فرسُه في الأرض إلىٰ ركبتيها، أو إلىٰ بَطْنِها، فلما عَرَفَ أنهما قد مُنِعَا منه، قال: ادْعُوَا اللهَ لي، ولكما عليَّ أن أرُدَّ الطَّلَبَ عنكما فكان لا يَلْقَىٰ أحداً يُرِيدُ جهتَهما إلا قال: قد كُفِيتُمْ ههنا، ورَدَّه[٢].

ولما بلغ المسلمين في المدينة خروجُ النبيِّ ﷺ، جعلوا يخرجون كُلَّ صباحٍ إلىٰ الحَرَّةِ يستقبلون رسولَ اللهِ ﷺ، حتىٰ يردَّهم حَرُّ الظهيرةِ. فلما كان ذاتَ يومٍ أقبلَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، دون الجملة الثانية.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

آخرِ الضُّحَىٰ في اليوم الثاني عشر من شهرِ ربيعِ الأولِ، وكان ذلك يوم الاثنين فتلقاه المسلمون يُكَبِّرُون ويُحَيُّونَه بتحيةِ النبوةِ، وأَحْدَقُوا به مُطِيفينَ حولَه. فنزل بقُبَاءٍ وأَسَّسَ فيها المسجدَ، وبَقِيَ فيها لياليَ ثم ركب ناقتَه إلىٰ المدينةِ، وقد أَرْخَىٰ لها الزمامَ لا يحركها، فلا يمرُّ بحيٍّ من الأنصارِ إلا أخذوا بزمام راحلتِه، ورَغَّبُوه في النزول إليهم، فيقول: «دَعُوها فإنها مأمورةٌ»[١]. فلم تزل سائرةً تنظرُ يميناً وشمالاً، حتىٰ أتت مَوْضِعَ مسجدِه اليوم. فبرَكَتْ فلم ينزلْ عنها حتىٰ قامت فمشت قليلاً، ثم التفتت فرجَعَتْ إلىٰ مَوْضِعِها الأولِ فبرَكَتْ، فقال النبيُّ ﷺ: «هذا المنزلُ إنْ شاء اللهُ تعالىٰ»[٢]، ثم بنىٰ مسجدَه ﷺ فيه وبنىٰ بجنبه بيتاً لعائشة وجعل لسَوْدَةَ بيتاً آخر.

ثم آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، فجعل كُلَّ واحدٍ أخاً للآخر، فكان الأنصارُ رضي اللهُ عنهم يُؤْثِرُون علىٰ أنفسِهم، وجرىٰ التوارثُ بينَهم بهذه الأخوة، حتىٰ أنزل اللهُ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]. فكانت المواريثُ في القراباتِ، ولما قَوِيَ الإسلامُ في المدينة وتوطدت أركانُه، وتلاحقَ المسلمون إليها، كَثُرَتْ عداوةُ العربِ لهم وتَأَلَّبُوا عليهم، فأَذِنَ اللهُ تعالىٰ لرسولِه بالقتالِ، ووَعَدهم النصرَ. فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. وبدأت

---

(١) انظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٥٣.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

الغزواتُ، فكان النبيُّ ﷺ يغزو بنفسِه أحياناً ويبعثُ السرايا أحياناً بحَسَبِ ما تقتضيه المصلحةُ وتتطلبه الحاجةُ حتىٰ لَحِقَ بربِّه تعالىٰ، جاهداً مجاهداً، صابراً منصوراً، ولله الحمدُ.

فخطب الناسَ في آخرِ حياتِه، وقال: «**إنَّ عبداً من عبادِ الله خَيَّرَهُ اللهُ بين الدنيا وبين ما عندَ اللهِ، فاختارَ ما عندَ الله**». فبكىٰ أبو بكر رضي اللهُ عنه، وقال: نَفْدِيك يا رسولَ اللهِ بأنفسِنا وآبائنا وأمهاتِنا. فقال رسولُ ﷺ: «**أمنَّ الناسِ عليَّ في صُحْبَتِه ومالِه أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكنْ أخوةُ الإسلام وَمَودَّتُه، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر**»[1]. ثم خَلَّفَ أبا بكر يُصَلِّي بالناس، ثم اشتد المرضُ برسولِ الله ﷺ، فلما كان يومُ الاثنين والناسُ في صلاة الفجرِ لم يَفْجَأْهم إلا رسولُ الله ﷺ، يكشف سِتْرَ حُجْرةِ عائشةَ فنظرَ إليهم وهم في صفوفِ الصلاةِ، ثم تبسَّمَ يَضْحَكُ، فكاد الناسُ يَفْتَتِنون في صلاتِهم فَرَحاً برسولِ اللهِ ﷺ، فأشار إليهم بيدِه أن أتِمُّوا صلاتكم، ثم أرخىٰ الستْرَ وانصرف الناسُ من صلاتِهم وهُم يَرَوْنَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أفاق من وَجَعِهِ، ولكنه ﷺ كان ذلك اليومُ آخِر عهدِه في الدنيا، فلما نزل به جعل يُدْخِلُ يدَه في ماءٍ عنده ويمسحُ به وجهَه، ويقول: «**لا إلٰهَ إلا اللهُ إنَّ للموتِ سَكَراتٍ**». ثم شَخَصَ بَصَرُه نَحْوَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

السماءِ وقال: «اللهم في الرفيقِ الأعلىٰ»[1]. حتىٰ قُبِضَ ﷺ، وهو في حِجْرِ عائشةَ رضي اللهُ عنها.

فاضطرب الناسُ لذلك، وحُقَّ لهم أنْ يضطربُوا حتىٰ جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبرَ فحمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ: فمَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، ثم قرأ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فاشتد بُكَاءُ الناسِ وعَرَفُوا أنه مات، فَغَسَّلُوهُ ﷺ بثيابِه تكريماً له، ثم كَفَّنُوهُ وصَلُّوا عليه أرسالاً بِدُونِ إمامٍ، ثم دَفَنُوه بمكانِه في حُجْرةِ عائشة رَضي اللهُ عنها. فصلواتُ اللهِ وسلامُه ورحمتُه عليه وعلىٰ إخوانِه من النبيين والمرسلين.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مجمل سيرة النبيّ ﷺ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمده ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئات أعمالنا من يهدِه الله فلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتعلموا من سيرة النبيِّ ﷺ ما يكون به عبرةً لكم، واطلاع علىٰ حكمة ربكم في تقديره وتشريعه. فلقد بعث الله نبيه ﷺ وهو خاتم النبيين وإمامهم وأفضلهم في أشرف بقاع الأرض، في أم القرىٰ ومقصد العالمين فدعا إلىٰ توحيد الله تعالىٰ ثلاث عشرة سنة كلها في مكة وحدث له في تلك المدة تلك الآية الكبرىٰ أنْ أسرىٰ اللهُ به ليلاً من المسجد الحرامِ إلىٰ المسجد الأقصىٰ، ثم عُرج به في تلك الليلة من الأرض إلىٰ السمٰوات العلىٰ بصحبة جبريل الروح الأمين، فارتقىٰ به سماءً سماءً حتىٰ بلغ سدرةَ المنتهىٰ ووصل إلىٰ مستوىٰ سمع فيه صريفَ أقلامِ القضاء والتدبير، وفي تلك الليلة فُرض عليه الصلوات الخمس فصلاهن فريضةً علىٰ ركعتين ركعتين إلا المغرب فثلاثُ ركعاتٍ لتوتر صلاة النهار وبقي علىٰ ذلك ثلاث سنوات قبل الهجرة ولما هاجر زيدت الظهرُ والعصرُ والعشاءُ فصارت أربعاً أربعاً

للمقيمين وبقيت ركعتين للمسافرين وفي السنة الأولىٰ من الهجرة شَرَع اللهُ للمسلمين الأذان والإقامة وفي السنة الثانية فرضت مقادير الزكاة وبينت الأنصباء وفرض الله صيامَ رمضان وفي السنة التاسعة فرضَ اللهُ علىٰ الناس حجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً.

ولقد أذن الله تعالىٰ لرسوله ﷺ بالقتال بعد الهجرة حيث كان للإسلام دولة وللمسلمين قوة، ففي رمضان من السنة الثانية كانت غزوةُ بدرٍ الكبرىٰ حين خرج النبيُّ ﷺ بثلثمائة وبضعةَ عشرَ رجلاً من أصحابه لأخذ عير قريش الذي توجَّه به أبو سفيان من الشام إلىٰ مكة، فبعث أبو سفيان إلىٰ أهل مكة يستصرخهم لإنقاذ عيرهم، فخرجوا بصناديدهم وكبرائهم ما بين تسعمائةٍ وألف رجل فجمع الله بين رسولِه ﷺ وبينهم علىٰ غيرِ ميعادٍ في بدر فنصرَه اللهُ عليهم، وقتل منهم سبعينَ رجلاً من بينهم الكبراء والرؤساء وأسرَ سبعين وكان في ذلك عِزٌّ للمسلمين وكسرٌ لشوكة أعدائهم، وفي شوال من السنة الثالثة كانت غزوة أحد حين تجهز مشركو قريش بنحو ثلاثة آلاف رجل ليأخذوا بالثأر من النبيِّ ﷺ فلما عَلِم النبيُّ ﷺ بهم خرج إليهم فقاتلهم بنحو سبعمائة من أصحابه وكان النصرُ لهم حتىٰ ولىٰ المشركون الأدبارَ إلا أنَّ الرماةَ الذين جعلهم النبيُّ ﷺ في ثنية الجبل يحمون ظهورَ المسلمين ولا يبرحون عن مكانهم تركوه حين ظنوا أنَّ المعركةَ انتهت بظهورِ هزيمةِ المشركين، ولكن الفرسان من المشركين كروا علىٰ المسلمين حين رأوا الثنيةَ خاليةً

فانتكس الأمر وصار كما قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وفي ربيع الأول من السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير وهم إحدىٰ قبائل اليهود الثلاث الذين كانوا في المدينةِ وعاهدوا النبيَّ ﷺ حين قدمها مهاجراً فنقضوا العهدَ فخرج إليهم النبيُّ ﷺ فتحصنوا بحصونهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]، وخرجوا منها أذلةً فنزل بعضُهم في خيبرَ وبعضهم في الشام.

وفي شوال من السنة الخامسة كانت غزوةُ الأحزاب الذين تحزبوا علىٰ رسولِ الله ﷺ من مشركي قريش وغيرهم بتحريضٍ من اليهود من بني النضير، الذين أرادوا أنْ يأخذوا بالثأر من النبيِّ ﷺ حين أجلاهم من المدينة فعكسروا حولَ المدينةَ بنحو عشرةَ آلافِ مقاتل فضرب النبيُّ ﷺ الخندق علىٰ المدينة من الناحية الشمالية فحماها الله تعالىٰ من الأعداء فأرسل الله عليهم ريحاً شرقيةَ عظيمة باردة ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وفي ذي القعدة من هذه

السنة حاصر النبيُّ ﷺ بني قريظة آخر قبائل اليهود في المدينة فقتل رجالَهم وسبىٰ ذريتهم ونساءهم لنقضهم العهدَ الذي بينهم وبين النبيِّ ﷺ فأورث الله نبيَّه والمؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم.

وفي ذي القعدة من السنة السادسة كانت غزوةُ الحديبية التي كانت فيها بيعة الرضوان حين خرج النبيُّ ﷺ بنحو ألفِ وثلثمائةِ رجلٍ من أصحابه يريد العمرة فصدَّه المشركون عن ذلك مع أنَّ عادتهم أنْ لا يصدّ أحدٌ عن البيتِ، فأرسل إليهم عثمانَ بن عفانَ ليفاوضهم فأشيعَ أنه قد قَتل فبايعَ النبيُّ ﷺ أصحابَه لقتالِ قريش وفي ذلك أنزل الله تعالىٰ ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨].

وفي محرَّم من السنةِ السابعة كانت غزوة خيبر، وهي حصون اليهـود ومزارعهم في الحجاز فغزاهـم النبيُّ ﷺ فيها لنقضهم العهـد وتحريضهم كفارَ قريشٍ وغيرِهم علىٰ قتال النبيِّ ﷺ فحاصرهم حتىٰ فتحَ اللهُ عليه، فغنم النبيُّ ﷺ أرضَهم وقسمها بين المسلمين.

وفي رمضان من السنة الثامنة كانت غزوة فتح مكةَ حين نقضت قريش العهدَ الذي كان بينها وبين النبيِّ ﷺ في الحديبية فخرج إليهم في نحو عشرة آلافٍ من أصحابه ففتح الله عليهم وطهَّر أمَّ القرىٰ من الشرك وأهله ودخلَ الناسُ به في دين الله أفواجاً.

غير أنَّ هوزان وثقيف ظنوا أنَّ النبي ﷺ قد فرغ من قتال قريش ولا ناهية له فاجتمعوا له في حنين فخرج إليهم في شوال من السنة الثامنة لقتالهم في نحو اثني عشر ألفاً وأُعجب بعضُ الناس بكثرتهم وقالوا: لن نُغلبَ اليومَ من قلة فأراهم الله تعالىٰ أنَّ النصرَ من عنده لا بسبب الكثرة وأنزل في ذلك ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

وفي السنة التاسعة من شهر رجب كانت غزوة تبوك حين بلغ النبيَّ ﷺ أنَّ الرومَ قد جمعوا له يريدون غزوه فخرج ﷺ إليهم في زمن عسرة وفي أيام شدّة الحر وطيب الثمار وقت الرطب، والمسافةُ بعيدةٌ فنزل في تبوك نحو عشرين يوماً ولم يكن قتالٌ ثم رجع إلىٰ المدينة وأقام فيها وكاتَب من حوله من زعماء الكفار يدعوهم إلىٰ الإسلام وصارت الوفود تأتي إليه من كلِّ وجهٍ يُعلنون إسلامَهم ويتعلمون منه دينهم.

هكذا كانت حياةُ النبيِّ ﷺ حياةَ جهادٍ وعملٍ ودعوةٍ إلىٰ الله ودفاعٍ عن دينه، حتىٰ توفاه الله عزَّ وجل بعدَ أنْ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتم به النعمة علىٰ المؤمنين وكانت وفاتُه يوم الاثنين في الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول. فصلوات الله وسلامُه عليه وعلىٰ آله وأصحابُه وأتباعهم إلىٰ يوم الدين.

الهجرة

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه. والحمدُ للهِ علىٰ ما أولانا من واسعِ كرمِه وفضلِه. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في مُلْكِه وتدبيرِه وفعلِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذى اصطفاه علىٰ الخَلْقِ إنسِه وجِنِّه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه وجُنْدِه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ للهِ تعالىٰ الحكمةَ البالغةَ، فيما يُجْرِيه علىٰ خلقِه من الأمور، وأنَّ العاقبةَ دائماً للمتقين، فإنهم أولياءُ الله وحِزْبُه. ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورسولَه والذين آمنوا، فإنَّ حزبَ اللهِ هم الغالبون، وإنَّ اللهَ ليُقَيِّضُ لحزبه أسبابَ النصرِ والغلبةِ ما لا يخطرُ ببالِ أحدٍ. فقد عانىٰ رسولُ اللهِ ﷺ من الأذىٰ من قومِه حتّىٰ قَيَّضَ اللهُ له الأنصارَ. لقد بعث اللهُ نبيَّنا محمداً ﷺ، فريداً في قوله بيْنَ قومِه، فدعا إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له. فنابذه جمهورُ قومِه وآذَوْه وعادَوْه، واستجابَ له طائفةٌ منهم ممن شرحَ اللهُ صدرَه للإسلام، فحصل لهم من الإيذاءِ والمكروهِ من قومِه ما كانت عاقبتُه لهم زيادةَ الإيمانِ، وكثرةَ الأجورِ، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: «**تفَرَّقُوا في أرضِ الله، فإنَّ اللهَ سيجمعُكم**»[١]. فَسألوه: إلىٰ أينَ؟ فأشار إلىٰ الحبشةِ مملكةِ النجاشيِّ، فهاجر منهم

(١) انظر «السيرة الحلبية» ٢/٣.

عَشْرَةَ رجالٍ وخمسُ نساءٍ، منهم عثمانُ بْنُ عفانَ رضي اللهُ عنه وزوجتُه رقيةُ بِنْتُ رسولِ الله ﷺ، وهذه أولُ هجرةٍ من المسلمين إلىٰ الحبشة وكانت سنة خَمْسٍ من البعثة.

وهاجروا مرةً ثانيةً بعد أنْ حاصرَ أهلُ مكةَ بني هاشمٍ وبني المُطَّلِبِ في شِعْبِ أبي طالبٍ، وكانوا في هذه المرة ثلاثةً وثمانين رجلاً، وثماني عشرة امرأةً منهم جعفرُ بْنُ أبي طالبٍ، وذلك سنة سَبعٍ من البعثة. أما الهجرةُ الثالثةُ فهي هجرةُ المسلمينَ إلىٰ المدينةِ وكان من مقدماتِها بيعةُ الأنصارِ لرسولِ اللهِ ﷺ، حينَ وافَوْهُ في موسمِ الحجِّ عند العقبةِ. فبايعوه علىٰ التوحيدِ، وعلىٰ أنْ يمنعوه ممن يمنعون منه أبناءَهم ونساءَهم، وأنْ يبذلوا مُهَجَهم دونَ رسولِ اللهِ ﷺ رضي اللهُ عنهم وأرضاهم.

ولقد وفّوا رضي اللهُ عنهم بالبيعة، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. ولما كثُرُ الإسلامُ في المدينة، أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إليها، وقال: «**لقد أُرِيتُ دارَ هِجْرتِكم، أُرِيتُ سَبخةً ذاتَ نَخْلٍ بين لابتين**»(١). فصار المسلمون يتسللون إليها أَرْسَالاً. وأراد أبو بكرٍ الهجرةَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**علىٰ رِسْلِكَ لا تَعْجَلْ، لعل اللهَ لك صاحباً، إني أرجو أن يُؤْذَنَ لي**»(٢). ولما علمت قريشٌ بما

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥) و(٥٨٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حصلَ للنبيِّ ﷺ من مبايعةِ الأنصار، وهجرةِ بعضِ أصحابه إلىٰ المدينة، اجتمعت في دار الندوةِ، أي دارِ التشاورِ بينَهم، ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبيِّ ﷺ. فأبدىٰ أبو جهلٍ عليه لعنةُ اللهِ رأيَه، بأن يُجمعَ عشرةُ شُبَّانٍ من قبائلَ مختلفةٍ، فيضربوا النبيَّ ﷺ ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فيتفرقَ دمُه في القبائلِ، فلا تقدرُ قبيلةُ النبيِّ ﷺ علىٰ حَرْبِ جميعِ تلك القبائل.

فأعلَمَ اللهُ نبيَه ﷺ بما دبَّر هؤلاءِ المشركونَ من المَكْرِ، فذهب إلى صاحبِه أبي بكر، فأخبره أنْ اللهَ تعالىٰ أَذِنَ له في الهجرةِ، فقال أبو بَكْرٍ رضي الله عنه: الصُحبةَ يا رسولَ اللهِ. قال: نَعَمْ. فهاجرا علىٰ راحلتين، أعدَّهما أبو بكر حين قال له النبيُّ ﷺ: **«لا تعجلْ لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحباً»**. وأمر النبيُّ ﷺ عليَّ بْنَ أبي طالبٍ أنْ يتأخرَ حتىٰ يُؤَدِّيَ الودائعَ التي كانت عند النبيِّ ﷺ للناس. وقد مكَث النبيُّ وصاحبُه في غارِ ثَوْرٍ ثلاثَ ليالٍ، واشتد طلبُ قُرَيْشٍ لهما، وبذلوا الجوائزَ الكبيرةَ لَمَنْ يأتي بالنبيِّ ﷺ، أو يدلُّ عليه. ولكن اللهَ حَرَسَه وصاحبَه بعنايتِه، وكفَّ عنهما بقدرتِه، حتىٰ كانت قريشٌ يقفون علىٰ الغارِ الذي هما فيه، لا يَرَوْن أحداً. يقول أبو بكر رضي الله عنه: واللهِ يا رسولَ اللهِ، لو نظرَ أحدُهم إلىٰ موضعِ قدمِه لأبصرَنا. فقال النبيُّ ﷺ: **«لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما»**[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون الجملة الأولىٰ.

وخرج النبيُّ ﷺ من الغار بعدَ ثلاثِ ليالٍ علىٰ طريق ساحل البحر، فلحقهما سراقةُ بْنُ مالكٍ علىٰ فَرَسٍ له، فلما قَرُبَ منهما بحيث كان يسمعُ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ، يتلو القرآنَ ساخَتْ يَدَا فَرَسِهِ في الأرضِ، فنَهَرها حتىٰ خرجت، ثم ساخَتْ (أي غَاصَتْ) ثلاثَ مراتٍ، فعرَفَ بذلك أنه لن يُدْرِكَهما، فناداهما بالأمانِ، فوقف النبيُّ ﷺ ومن معه، فأخبرهم سراقةُ بما يُريد الناسُ، وعرض عليهما الزادَ والمتاعَ، فلم يَرُدَّه النبيُّ ﷺ، ولم يسألْه إلا أنه قال: أخْفِ عنا. فرجع سراقةُ وجعل لا يلقىٰ أحداً من الطَّلَبِ إلا ردَّه، وقال: كُفِيتُم هذه الجهةَ[1].

ولما علِمَ أهلُ المدينةِ بهجرةِ رسولِ اللهِ ﷺ إليهم، صاروا يخرجون كُلَّ يومٍ من صلاةِ الصبحِ حتىٰ يطردَهم حرُّ الشمسِ. فلما كان اليومُ الذي قَدِمَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ، وتَعالىٰ النهارُ، واشتدَّ الحرُّ ورَجَعُوا إلىٰ بيوتِهم، إذا برسولِ اللهِ ﷺ، وأصحابِه قد أقبلوا يزولُ بهم السرابُ. فخرج الناسُ إليهم يتَلَقَّوْنَهم في الطرق. قال أنَسٌ رضي الله نه: إني لأسعىٰ بين الغِلْمانِ وهو يومئذٍ غلامٌ. يقولون: جاء محمدٌ، فأَسْعَىٰ ولا أَرىٰ شيئاً، فيقولون: جاء محمدٌ، حتّىٰ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، وصاحبَه. وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: خرج الناسُ حين قَدِمْنا المدينةَ في الطُّرُقِ، وعلىٰ البيوتِ، والغلمانُ والخدمُ يقولون: اللهُ أكبرُ، جاء رسولُ اللهِ، اللهُ أكبرُ، جاء محمدٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

يُرَدِّدُون ذلك فَرَحاً برسولِ اللهِ ﷺ، الذي كان أحبَّ الناسِ إليهم. فأقام رسولُ اللهِ ﷺ بقُبَاء عِدَّةَ أيامٍ، وأسس فيه المسجدَ. ثم تَحَوّلَ إلىٰ المدينةِ، والأنصارُ محيطون به من كلِّ جانبٍ متقلدو سُيُوفِهم كعادةِ الناس في أيامِ الأفراحِ بقدومِ الغائبِ. يتنازعون زمامَ ناقتِه، كُلٌّ يقولُ: النزولُ عندَنا يا رسولَ اللهِ، في العددِ والعدةِ والمَنْعةِ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «**دَعُوها فإنها مأمورةٌ**». فمرَّ برجالٍ من بني النجارِ فقالوا: يا رسولَ اللهِ هَلُمَّ إلىٰ أَخْوَالِك، إلىٰ العَدَدِ والعُدةِ والمَنْعَةِ، فيقول: «**دَعُوها فإنها مأمورةٌ، وإنما أنزل حيثُ أَنْزَلَنِي اللهُ**»(١). فلما وصلت بعيرُه إلىٰ مكانِ مسجدِه بَرَكَتْ، فلم ينزلْ عنها رسولُ اللهِ ﷺ حتىٰ وَثَبَتْ ورسولُ الله ﷺ قد أطلق زِمَامَها، فسارت غيرَ بعيدٍ، ثم التفتت خلفَها فعادت إلىٰ مَبْرَكِها الأول، فبركَتْ فيه، ثم تَحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ ووضَعَت جِرانَها علىٰ الأرض، فعرف النبيُّ ﷺ أنَّ هذا هو المنزلُ. فنزلَ فاحتملَ أبو أيوبَ رحلَه ووضعَه في بيتِه، حتىٰ بنىٰ رسولُ الله ﷺ مسجدَه ومساكنَه.

وكان مَقْدِمُ رسولِ الله ﷺ المدينةَ في يوم الاثنين الثاني عشرَ من شهر ربيعِ الأولِ، بعد أنْ أمضىٰ ثلاثَ عشرةَ سنةً من البعثةِ في مكةَ. وبذلكَ صار للمسلمين بلدٌ يُؤْوِيهم مُكَرَّمين مُعَزَّزين حتىٰ بلَغَ من إكرامِ الأنصارِ للمهاجرين أنَّ الواحد من المهاجرين يتنافسه

---

(١) انظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٥٣.

الرجلانِ والثلاثةُ، فما ينزلُ علىٰ أحدِهم إلا بقرعةٍ، وصاروا يؤثرونهم علىٰ أنفسِهم، رضي اللهُ عنهم أجمعين.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.



هجرة النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والشكرُ له علىٰ ما أولانا من واسعِ كرمِه وفضلِه. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في مُلْكِه وتدبيرِه وفعلِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ الخلق كلِّه، إنسِه وجنِّه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنِ اهتدىٰ بهديه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: ففي هذا الشهرِ شهرِ ربيعِ الأولِ من العامِ الثالث عشرَ للبعثة وصل النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةِ مُهاجراً من مكةَ مَهْبِطِ الوحيِ، وأحبِّ البلادِ إلىٰ اللهِ ورسولِه. هاجر بإذْنِ اللهِ تعالىٰ بعد أنْ آذىٰ المشركون مَنْ آمنَ به أشدَّ الإيذاءِ، ومكروا بالنبيِّ ﷺ أعظمَ المكْرِ حيث اجتمعوا في دارِ الندوةِ وتشاوروا ماذا يفعلون برسولِ الله ﷺ حين رَأوْا أصحابَه يهاجرون إلىٰ المدينةِ، وأنه لا محالةَ لاحقٌ بهم.

تشاوروا ماذا يفعلون به؟ فقال عدوُّ اللهِ أبو جهلٍ: الرأيُ أن نجمعَ عَشَرَةِ شُبَّانٍ من قبائلَ مختلفةٍ، فيضربوا محمداً ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فيتفرقَ دمُه في القبائل، فتعجِزَ بنو هاشمٍ عن حَرْبِ هذه القبائلِ. ولكنهم يمكرون ويمكرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين. فأعلمَ اللهُ نبيَّه ﷺ بما أراد المشركون من المكرِ والكيد، وأَذِنَ له في الهجرة، فذهب إلىٰ صاحبِه أبي بكر رضي الله عنه، فأخبره بأن اللهَ أَذِنَ له.

فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسولَ الله، قال: نَعَمْ.

فهاجرا علىٰ راحلتين أَعَدَّهما أبو بكر رضي اللهُ عنه لذلك، وأمرَ النبيُّ ﷺ علياً أنْ يتأخرَ في مكةَ ليُؤدِيَ الودائعَ التي كانت عند النبيِّ ﷺ للناسِ. فخرج النبيُّ ﷺ وأبو بكر، ومكثا في غار ثَوْرٍ، وهو جبلٌ بأسفلِ مكةَ ثلاثةَ أيامٍ، حتىٰ يَسْكُنَ الطَّلَبُ عنهما، فإنَّ قريشاً لما فقدوهما بمكةَ ذهبوا كُلَّ مذهبٍ وسلكوا كُلَّ طريقٍ، ليدركوهما وجعلوا لمن رَدَّهما أو أحدَهما دِيةً مِئَةٍ من الإبل. ولكن اللهَ حفظهما بعنايته، ورعاهما برعايته، ومَنْ ينصرُه اللهُ فلا غالبَ له، فكانت قريشٌ يقفون علىٰ باب الغار، ولا يَرَوْنَهما.

قال أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبيِّ ﷺ ونحن في الغارِ لو أنَّ أحدَهم نظرَ إلىٰ قدميه لأبصرَنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا، ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثُهما**»[1]. حتىٰ إذا سَكَنَ الطَّلَبُ عنهما قليلاً خرجا من الغارِ بعد ثلاثٍ متجهين إلىٰ المدينةِ علىٰ طريق الساحلِ، فلَحِقَهما سُرَاقَةُ بْنُ مالِكٍ علىٰ فَرَسٍ له. فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ، هذا الطَّلَبُ قد لَحِقَنا. فقال النبيُ ﷺ: «**لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا**». فلما دنا منهما مقدارَ رُمْحٍ أو رُمْحَيْنِ، ساخت قدما فَرَسِه في الأرض، وكانت أرضاً صَلْبَةً، فنزل عنها ونادىٰ رسولَ اللهِ ﷺ بالأمانِ فوقف النبيُّ ﷺ ومَنْ معه وأخبره سُرَاقَةُ بما أراد وما يُرِيدُ الناسُ بهم، وعَرَضَ عليهم الزادَ والمتاعَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون الجملة الأولىٰ.

فلم يردَّه النبيُّ ﷺ، ولم يسألْه إلا أنه قال: «**أَخْفِ عنا**». فرجع سراقةُ وجعل لا يَلْقَىٰ أحداً من الطَّلَبِ إلا ردَّه، وقال: كُفِيتُمْ هذه الجهةَ(١).

ولما سمع المسلمون في المدينة بخروجِ رسولِ الله ﷺ من مكة. صاروا يخرجون إلىٰ الحَرَّةِ كُلَّ يومٍ ينتظرونه، حتىٰ يطردَهم حَرُّ الشمس. فلما كان اليومُ الذي قَدِمَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ، وتعالىٰ النهارُ، واشتد الحرُّ، ورجعوا إلىٰ بيوتِهم. إذا برسولِ الله ﷺ ومَنْ معَه قد أقبلوا يزولُ بهم السرابُ. فخرج الناسُ إليهم يَتلقَوْنَهم في الطرقاتِ. قال أنسُ بْنُ مالكٍ رضي الله عنه: إني لأسعىٰ بينَ الغِلمان وأنا يومئذٍ غلامٌ، والناسُ يقولون: جاء محمدٌ، جاء محمدٌ.

وقال أبو بكر رضي الله عنه: خرج الناسُ حين قدِمْنا المدينةَ في الطرق وعلىٰ البيوت، والغلمانُ والخدمُ يقولون: اللهُ أكبرُ جاء رسولُ اللهِ، اللهُ أكبرُ جاء رسولُ اللهِ، جاء محمدُ. يُرَدِّدون ذلك فَرَحاً برسولِ الله ﷺ، الذي كان أحبَّ الناسِ إليهم.

فيا له من مَقْدمٍ يملأ القلب سروراً والآفاق نوراً، إنه ليومٌ عظيمٌ، إنه اليومُ الذي أُسِسَتْ فيه دولةُ الإسلام وكان للمسلمين فيه

(١) قصة سُراقة وملاحقته لرسول الله ﷺ أخرجها البخاري (٣٦١٥) و(٣٩٠٦)، وانظر «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد ١/ ٢٣٢.

بلدٌ ومأوىً يُظهرون فيه دِينَهم ويُقيمون شعائرَهم، فلبِثَ رسولُ الله ﷺ في بني عَمرو بْنِ عوفٍ بضعَ عشرة ليلة في قُبَاءٍ، وأسَسَّ المسجدَ الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ. من أولِ يومٍ، وصلّىٰ فيه رسولُ الله ﷺ، ثم ركب راحلتَه إلى المدينة، والمسلمون محيطون به من كلِّ جانبٍ، متقلدي سيوفِهم يتنازع كُلُّ قبيلةٍ من الأنصارِ زِمامَ ناقتهِ، النزولُ عندنا يا رسولَ اللهِ، في العَددِ والعُدَّةِ والمنعةِ. ورسولُ اللهِ ﷺ يقول: «**دَعُوها فإنها مأمورةٌ، وإنما أَنزِلُ حيثُ أنزلني اللهُ عزَّ وجل**»[١]، فلما انتهت به بعيرُه إلىٰ مكان مسجدِه اليومَ بَرَكَتْ فلم ينزلْ عنها رسولُ الله ﷺ، حتىٰ وَثَبَتْ ورسول الله ﷺ قد أطلقَ لها الزمامَ، فسارت غيرَ بعيدٍ، ثم التَفَتَتْ خلفَها فعادت إلىٰ مكانِها الأولِ، فبرَكَتْ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ حين برَكَت به: «**هذا المنزلُ إنْ شاء اللهُ**»[٢]. وكان لغلامينِ يتيمينِ، فدعاهما رسولُ الله ﷺ، فساوَمَهما به ليتخذَه مسجداً فقالا: بل نَهَبُه لك يا رسولَ اللهِ، فأبىٰ أنْ يقبلَه هِبةً، حتىٰ ابتاعَه منهما، وبناه مَسْجِداً. وبنىٰ مساكنَه حولَه، ﷺ.

أيها الناسُ: إنَّ في اهتمام النبيِّ ﷺ بالمساجدِ وتخطيطها من أولِ يوم قَدِمَ فيه لدليلاً علىٰ أهميتِها ووجوبِ الاعتناءِ بها. وإن

---

(١) انظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٥٣.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

المسلمين لا ينبغي أن يُخَطِّطوا أرضاً حتىٰ تحتلَّ المساجدُ أماكنها وتُوضَعَ في الأماكنِ المناسبةِ، وتُبْنَىٰ وتُقَامَ فيها الصلاةُ. فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واهتموا بِما اهتم به نبيُّكم، فإنَّ خيرَ الهدي هديُه، وأقومَ السُّبُلِ سبيلُه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

هجرة النبي ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والشكرُ له علىٰ ما أولانا من واسعِ كرمِه وفضلِه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، هدىٰ مَنْ هَدىٰ بفضلِه، وأضَلَّ مَنْ أضَلَّ بحكمتِه وعدلِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ من جميع خلقِه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأتباعِه وصحبِه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: ففي هذا الشهرِ، شهرِ ربيعِ الأولِ من العام الثالث عشرَ من البعثة وصلَ النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةِ مهاجراً من مكةَ البلدِ الأولِ للوحي، وأحبِّ البلادِ إلىٰ اللهِ ورسولِه، خرَجَ من مكةَ مهاجراً بإذنِ ربِّه بعد أنْ أقامَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يُبلِّغُ رسالةَ ربِّه ويدعو إليه علىٰ بصيرةٍ، فلم يَجِدْ من أكثرِ قريشٍ وأكابرهم سوىٰ الرفض لدعوتِه والإعراضِ عنها والإيذاءِ الشديدِ للرسول ﷺ ومن آمن به حتّىٰ آل الأمرُ بهم إلىٰ تنفيذِ خطةِ المكرِ والخداعِ لقتلِ النبيِّ ﷺ، حيث اجتمع كبراؤُهم في دارِ الندوةِ وتشاوروا ماذا يفعلون برسولِ الله ﷺ حين رأوْا أصحابَه يهاجرون إلىٰ المدينة، وأنه لا بُدَّ أن يَلْحَقَ بهم ويجدَ النصرةَ والعونَ من الأنصارِ الذين بايعوه علىٰ أنْ يمنعوه مما يمنعون منه أبناءَهم ونساءَهم وحينئذ تكونُ له الدولةُ علىٰ قريشٍ، فقال عدوُّ اللهِ أبو جهل: الرأيُ أنْ نأخذَ مِن كلِّ قبيلةٍ

فَتىً شاباً جَلْداً ثم نعطي كلَّ واحدٍ سيفاً صارماً، ثم يَعْمَدُوا إلىٰ محمدٍ فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيقتلوه ونستريحَ منه، فيتفرقَ دمُه في القبائل فلا يستطيعَ بنو عبد منافٍ يعني عشيرةَ النبيِّ ﷺ أنْ يحاربوا قومَهم جميعاً، فيرضَوْنَ بالدية فنُعْطِيهم إياها. اللهُ أكبرُ هكذا يُخططُ أعداءُ اللهِ للقضاء علىٰ رسولِ الله، بهذا القدرِ من المكـرِ والخديعةِ، ولكنهم يمكرون ويمكرُ اللهُ، ولكنهم كما قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فأعلمَ اللهُ نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأَذِنَ له بالهجرةِ وكان أبو بكر رضي الله عنه قد تجهّز من قبل الهجرة إلىٰ المدينة، فقال له النبيُّ ﷺ «**علىٰ رِسْلِك فإني أرجو أنْ يُؤْذَنَ لي**»[(١)] فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحبَ النبيَّ ﷺ، قالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: فبينما نحن في بيتِ أبي بكر في نَحْرِ الظهيرةِ في وسط النهار إذا برسولِ الله ﷺ علىٰ الباب متقنعاً، فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي واللهِ ما جاء به في هذه الساعةِ إلا أمرٌ، فدخل النبيُّ ﷺ وقال لأبي بكر: «**أَخْرِجْ مَنْ عندك**»، فقال: إنما هُمْ أهلُك بأبي أنت وأمي، فقال النبيُّ ﷺ: «**قد أُذِنَ لي في الخروجِ**»، فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسولَ الله، قال: «**نَعَمْ**»، فقال: يا رسولَ اللهِ فخُذْ إحدىٰ رَاحِلَتَيَّ هاتين، فقال النبيُّ:

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥) و(٥٨٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

«بالثمنِ»، ثم خرج رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر فأقاما في غار ثَوْرٍ ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندَهما عبدُ الله بْنُ أبي بكرٍ غلاماً شاباً ذكياً واعياً، فينطلقُ في آخرِ الليل إلىٰ مكةَ، فيصبحُ مع قريشٍ فلا يسمعُ بخبرٍ حولَ النبيِّ ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتىٰ يأتيَ به إليهما حينَ يختلطُ الظلامُ[١]، فجعلت قريشٌ تطلبُ النبيَّ ﷺ من كلِّ وجهٍ، وتسعىٰ بكلِّ وسيلةٍ ليدركوا النبيَّ ﷺ حتىٰ جعلوا لِمَنْ يأتي بهم أو بأحدِهما ديته مِئةً من الإبل، ولكن اللهَ كان معهما يحفظُهما بعنايته ويرعاهما برعايتِه، حتىٰ إنْ قريشاً ليقفون علىٰ بابِ الغارِ فلا يرونهما، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبيِّ ﷺ ونحن في الغار: لو أنَّ أحدَهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرَنا، فقال: **«لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا، ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثُهما»**[٢]، حتىٰ إذا سَكَنَ الطَّلَبُ عنهما قليلاً خرجا من الغار بعد ثلاثٍ متجهين إلىٰ المدينة علىٰ طريقِ الساحلِ فلحقهما سُرَاقةُ ابْنُ مالكٍ المُدْلَجيُّ علىٰ فَرَسٍ له فالتفت أبو بكر، فقال: يا رسولَ الله هذا الطَّلَب لحِقنا، فقال النبيُّ ﷺ: **«لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا»**، فدنا سراقةُ منهما حتىٰ سمع قراءةَ رسولِ الله ﷺ غاصت يَدَا فرسِه في الأرض حتىٰ مَسَّ بطنُها الأرضَ وكانت أرضاً صلبةً فنزل سراقةُ وزجرها فنهضت فلما خرجت صار لأثرهما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون قوله: لا تحزن إن الله معنا.

غبار ساطعٌ في السماء مِثْل الدخان، قال: فوقع في نفسي أنْ سيظهرُ أمرُ رسولِ اللهِ ﷺ فناديتهم بالأمان فوقف رسولُ الله ﷺ ومَنْ معه، فركبتُ فرسي حتىٰ جئتُهم وأخبرتُهم بما يُريدُ الناسُ بهم وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاعَ، وقال للنبيِّ ﷺ: إنك تَمرُّ علىٰ إبلي وغَنَمِي بِمكان كذا فخُذْ منها حاجتك، فقال: «**لا حاجةَ لي في ذلك**»، وقال: «**أخْفِ عنا**»[1] فرجع سراقةُ وجعل لا يَلْقَىٰ أحداً من الطَلَبِ إلا ردَّه وقال: كُفِيتُم هذه الجهةَ، فسبحانَ اللهِ والحمد للهِ ولا إلٰهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، رجلٌ ينطلق علىٰ فَرَسِه طالباً للنبيِّ ﷺ وصاحبِه ليظفرَ بهما فيفخرَ بتسليمها إلىٰ اعدائهما من الكفار، فلم ينقلبْ حتىٰ عاد ناصراً معيناً مدافعاً يعرض عليهما الزادَ والمتاعَ وما يُريدانِ من إبله وغنَمِه ويردُّ عن جهتِهما كُلَّ مَنْ أقبلَ نحوها، وهكذا كُلُّ مَنْ كان اللهُ معه فلن يضره أحدٌ، وتكون العاقبةُ له.

ولما سَمِعَ أهلُ المدينة من المهاجرين والأنصار بخروجِ رسولِ الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون صباح كُلِّ يومٍ إلىٰ الحَرَّةِ ينتظرونَ قُدومَ رسولِ الله ﷺ وصحبِه حتىٰ يطردهم حَرُّ الشمسِ، فلما كان اليومُ الذي قَدِمَ فيه رسولُ الله ﷺ وتعالىٰ النهارُ واشتد الحرُّ رجعوا إلىٰ بيوتِهم وإذا رجلٌ من اليهودِ علىٰ أُطُمٍ من آطامِ المدينة ينظرُ لحاجةٍ له فأبصرَ رسولَ الله وأصحابَه مقبلين، يزولُ بهم السرابُ،

---

(١) قصة سراقة أخرجها البخاري (٣٦١٥) و(٣٩٠٦) وانظر «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد ١/ ٢٣٢.

فلم يَمْلِكْ أنْ نادىٰ بأعلىٰ صوتِه: يا معشرَ العربِ هذا جدُّكم يعني هذا حظُّكم وعِزُّكم الذي تنتظرون، فهبَّ المسلمون للقاءِ رسولِ الله ﷺ معهم السلاحُ تعظيماً وإجلالاً لرسولِ الله ﷺ وإيذاناً باستعدادِهم للجهادِ والدفاعِ دونَه رضي اللهُ عنهم، فتَلَقَّوْهُ ﷺ بظاهر الحَرَّةِ فعدل بهم ذاتَ اليمين ونزل في بني عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ في قُبَاءٍ، وأقام فيهم بضعَ ليالٍ، وأسس المسجدَ ثم ارتحل إلىٰ المدينةِ والناسُ معه، وآخرون يتلقونه في الطرُقاتِ قال أبو بكر رضي الله عنه: خرج الناسُ حين قدمنا المدينة في الطرق وعلىٰ البيوتِ، والغِلمانُ والخَدَمُ يقولون: اللهُ أكبرُ، جاء رسولُ الله، اللهُ أكبرُ جاء محمدٌ، وقال أنسُ ابْنُ مالكٍ رضي الله عنه: إني لأَسْعَىٰ بينَ الغِلمَانِ وأنا يومئذٍ غُلامٌ والناسُ يقولون: جاء محمدٌ، هكذا يردّد الناسُ هذه الكلمات فَرَحاً بقدوم رسولِ الله ﷺ الذي هو أحبُّ الناس إليهم، فيا له من مَقْدمٍ ملأ القلوب فَرَحاً وسُروراً، وملأ الآفاقَ بهجةً ونُوراً، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وكُلُّ قبيلةٍ من الأنصارِ تُنَازِعُ الأخرىٰ زمامَ ناقتِه، النزولَ عندنا يا رسولَ الله، في العددِ والعُدةِ والمنعةِ، ورسولُ الله ﷺ يقول: **«دعوها فإنها مأمورةٌ، وإنما أنزل حيث أنزلني اللهُ عزَّ وجل»**[1]، فلما انتهت به إلىٰ مكانِ مسجدِه بركت فلم ينزلْ عنها رسولُ الله ﷺ حتىٰ وثبتْ ورسولُ الله ﷺ قد أطلق لها الزمامَ فسارت غيرَ بعيدٍ ثم التفتت خلْفَها فعادت إلىٰ مكانِها الأولِ

---

(١) انظر «زاد المعاد» ٣/ ٥٣.

فبرَكَتْ فقال النبيُّ ﷺ: «هذا إنْ شاء اللهُ المنزلُ»(١) وكان هذا المكانُ لغلامين يتيمين فدعاهما رسولُ الله ﷺ فساوَمهما ليشتريَه منهما فيتخذَه مسجداً فقالا: بل نَهَبُهُ لك يا رسولَ اللهِ فأَبىٰ أنْ يقبلَه منهما هِبةً، حتىٰ اشتراه منهما وقال: أيُّ بيوتنا أقربُ، قال أبو أيوبَ: أنا يا رسولَ اللهِ هذه دارِي وهذا بابي قال: فانطلق فهيِّىء لنا مَقِيلاً، ففعل ثم جاء فقال: قوما علىٰ بركةِ اللهِ، ثم جاء عبدُ الله بْنُ سَلَامٍ وكان حَبْراً من أحبارِ اليهودِ فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله وأنك جِئْتَ بحقٍّ، وقد علمت يهودُ أني سيدُهم وابْنُ سيدهم وأعلمُهم وابن أعلمهم فادْعُهم فاسألْهم عنِّي قبلَ أن يَعْلَمُوا أني أسلمتُ فإنهم إن علموا به قالوا فيّ ما ليس فيّ. فأرسل النبيُّ ﷺ إلىٰ اليهودِ فأَتَوْا إليه فقال النبيُّ ﷺ: «يا معشرَ يهودٍ وَيْلَكُم اتقوا اللهَ، فواللهِ الذي لا إلٰهَ إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ اللهِ حقاً، وإني جئْتُكم بحقٍّ» قالوا: ما نعلمُ ذلك قال: «فأيُّ رجلٍ فيكم عبدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ» فقالوا: سيدُنا وابْنُ سيدِنا وأعلمُنا وابْنُ أعلمِنا قال: «أرأيتم إن أَسْلَمَ»، قالوا: حاشَ للهِ ما كان ليُسْلِمَ، فأعاد عليهم فأعادوا وكان عبدُ الله بْنُ سَلَامٍ قد اختبأ لينظرَ ما يقولون فقال النبيُّ ﷺ: «يا ابن سَلَامٍ أُخْرُجْ عليهم» فخرجَ فقال: يا معشرَ اليهودِ اتقوا اللهَ فواللهِ الذي لا إلٰهَ إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله وأنه جاء بحقّ

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

فقالوا له: كَذَبْتُ فأخرجهم النبيُّ ﷺ فقال عبدُ الله للنبيِّ ﷺ: ألم أخبرْك يا رسولَ الله أنهم قومٌ بُهْتٌ أهلُ غَدْرٍ وكَذِبٍ وفُجُورٍ[١].

هذه أيها المسلمون هجرةُ رسولِ الله ﷺ خرج من بلدِه ليقيمَ دعوةَ اللهِ ويُصْلِحَ بها عبادَ اللهِ، وكان من جملةِ إصلاحاته إقامةُ المساجدِ قبلَ المساكنِ، فقد بنىٰ مسجدَه ﷺ قبل أن يَبْنِيَ بُيوتَ أهلِه. فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين. فاتقوا الله عبادَ اللهِ واتخذوا من هذه الهجرة عبرة، واصبروا علىٰ دينكم واثبتوا عليه، فإنَّ العاقبةَ للمتقين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٣٢٩)، وأحمد ٣/١٠٨ من حديث أنس رضي الله عنه.

وفاةُ الرسول ﷺ

الحمدُ للهِ الذي جعل الموتَ غايةَ كلِّ حيٍّ في هذه الدارِ، وجعلَه للمؤمنين راحةً ورحمةً، وانتقالاً من دارِ الهُمُومِ والغُمُومِ والأكدارِ، إلىٰ دارِ الفرحِ والسرورِ والأنوارِ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الحيُّ الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنسُ يموتون، وكُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ، ذلك تقديرُ الواحدِ القهارِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، الذي خيَّره اللهُ بينَ أن يعيشَ في هذهِ الدنيا ما شاء اللهُ أن يعيشَ، وبين لقاءِ ربِّه. فاختار لقاءَ ربِّه فنعْمَ ما اختار، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررةِ الأطهارِ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ لما أكملَ برسالةِ محمدٍ ﷺ الدين، وأتم به النعمةَ علىٰ المؤمنين، فبلغ أمتَه البلاغَ المبينَ، اختاره لجواره في دار كرامتِه، فنقلَه من هذه الدارِ الدنيا، إلىٰ الدارِ الأخرىٰ التي هي خيرٌ له وأولىٰ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٤-٥]. ولقد قدَّم اللهُ بينَ يَدَيْ وَفَاتِه ﷺ آياتٍ تدلُّ علىٰ قُرْبِ مماتِه، فمنها قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]. نزلت عليه يومَ الجمعةِ في عرفةَ يومِ حجةِ الوداعِ، ومنها توديعُه الناسَ في تلك الحجةِ. وقوله: «لعلي لا ألقاكم بعد

عامي هذا»[١]. ومنها أنَّ جبريلَ كان يُعارِضُ النبيَّ ﷺ علىٰ القرآن مرةً في رمضانَ فعارضه في العام الذي مات فيه مرتين، فقال النبيُّ ﷺ: «ما أرىٰ ذلك إلا اقترابَ أَجلِي». ومنها أنه كان يعتكِفُ في رمضانَ عشرةَ أيامٍ كُلَّ عامٍ، وفي العام الذي مات فيه اعتكف عِشْرِينَ يوماً.

ولما رجعَ ﷺ من حجةِ الوداعِ بقِيَ في المدينة بقيةَ شَهْرِ ذي الحجةِ والمُحَرَّمِ وصَفَرٍ. وابتدأ به وَجَعُه إما في آخرِ صَفَرٍ أو في أولِ ربيعِ الأولِ، وذلك أنه خرجَ إلىٰ البقيعِ وهو مَقْبَرَةُ أهلِ المدينةِ، فاستغفرَ لهم كالمُوَدِّعِ لهم، ثم رجع إلىٰ أهلِه. قالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: فوجدني أَجِدُ صُدَاعاً في رأسِي وأقولُ: وارَأْسَاهُ، فقال: «بَلْ أنا واللهِ يا عائشةُ وَارَأْسَاهُ»[٢]. ثم استمرَّ به المرضُ وكان يدورُ علىٰ نسائِه كُلَّ واحدة في يومِها مع المشقةِ لإقامةِ العدل بينهن. وكان يقولُ: «أَيْنَ أنا غداً؟»[٣]. يريد يومَ عائشةَ رضي اللهُ عنها، فعَرفَ زوجاتُه رضي اللهُ عنهن ذلك فأَذِنَّ له أنْ يكونَ حيثُ شاء. فخرج بينَ عَلِيٍّ والعباسِ رضي اللهُ عنهما، عَاصِباً رأسَه تَخُطُّ رِجْلاه

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٠١٦)، والبيهقي ٥/ ١٥ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٦)، وأصله عند مسلم (٢٣٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بالأرضِ، حتىٰ دخلَ بيتَ عائشةَ، فكان عندَها حتىٰ توفي. ولما كانت ذاتَ يومٍ أمرَهم أنْ يَصُبُّوا عليه من سَبْعِ قِرَبٍ لِيَنْشَطَ علىٰ الخروج إلىٰ الناسِ. فخرج عَاصِباً رأسَه فجلس علىٰ المنبرِ فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، وذكر أهلَ أُحُدٍ فاستغفرَ لهم، ودعا لهم، وقال: «**أيها الناسَ: إنَّ عبداً من عبادِ اللهِ خيّره اللهُ بينَ أنْ يعيشَ في الدنيا ما شاءَ اللهُ أنْ يعيشَ، وبين لقاءِ ربِّه، فاختار لقاءَ ربِّه**». ففهمها أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه فبكَىٰ وقال: بل نحن نَفْدِيك بأنفسِنا وأبنائنا وأموالِنا. فقال النبيُّ ﷺ: «**علىٰ رِسْلِك يا أبا بكر**». ثم قال: «**انظروا إلىٰ هذه الأبوابِ الشارعةِ في المسجدِ، فَسُدُّوها إلا بابَ أبي بكر، فإني لا أَجِدُ أحداً عندي أفضلَ في الصُّحْبةِ منه**»، وقال: «**إن أَمَنَّ الناسِ عليّ في مالِه وصحبتِه أبو بكر**»(١).

ولما كان الناسُ في صلاةِ الفجر من يوم الاثنين الثاني عشرَ من هذا الشهرِ، في السنة الحادية عشرة من الهجرة كشف سترة الحجرة ينظر إلىٰ أصحابه يصلون، كأن وجهه ورقة مصحف. فجعل يبتسم يضحك، فما رأىٰ الصحابة منظراً أعجب إليهم من وجه نبيهم ﷺ، ثم أرخىٰ الستر وتوفي من يومه ﷺ.

ولما حضرته الوفاةُ كان عندَه قَدَحٌ فيه ماء فيُدخِلُ يدَه في القَدَحِ ثم يمسحُ وجهَه بالماء، ويقول: «**لا إلَهَ إلا اللهُ، إنَّ للموتِ سَكَراتٍ،**

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٩٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

اللهم أعني علىٰ سَكَراتِ الموت»[١]. وكان له خميصة يطرحُها علىٰ وَجْهِهِ، فإذا اغْتَمَّ بها كشفَها، فقال وهو كذلك: «لعنةُ اللهِ علىٰ اليهودِ والنصارىٰ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجِدَ»[٢] يُحَذِّرُ مما صنعوا، وكان آخرَ ما أوصىٰ به «الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكت إيمانُكم»[٣].

ودخل عليه عبدُ الرحمٰنِ بْنُ أبي بكر، ومعه سِواك يَسْتَنُّ به، وعائشةُ مُسنِدَتُه إلىٰ صَدْرِها، فجعل النبيُّ ﷺ ينظرُ إليه، فعرفت أنه يُحِبُّ السواكَ. فقالت: آخُذُهُ لك؟ فأشارَ برأسِه أنْ نَعَمْ فأخذته وقَضَمْتُه ولَيَّنْتُه ثم دفعتُه إلىٰ النبيِّ ﷺ، فَاسْتَنَّ. قالت: فما رأيت النبيَّ ﷺ، اسْتَنَّ أَسْتِنَاناً أَحْسَنَ منه، ثم رفع أُصْبُعَهُ، وجعل يقول: «في الرفيقِ الأعلىٰ، في الرفيقِ الأعلىٰ». حتىٰ قُبِضَ ومَالَتْ يدُه[٤].

فلما خرجتْ نفسُه لم أَجِدْ رِيحاً قَطُّ أَحْسَنَ منها. قال أَنسٌ: فلما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ، أَظْلَمَ من المدينةِ كُلُّ شَيْءٍ حتىٰ لم ينظرْ بعضُنا إلىٰ بعضٍ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧١٠١)، وأحمد ٦/ ٦٤، والترمذي (٩٧٨)، والحاكم ٣/ ٥٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٢٩٠، وابن ماجة (١٦٢٥)، والنسائي في الكبرىٰ (٧٠٩٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٤٤٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أيها المسلمون: لقد قُبِضَ نبيكم ﷺ، وخَلَّفَ لكم شيئين إن تمسكتم بهما اهتديتم ولَحِقْتُمْ به، وإن تركتموهما ضَلَلْتُم وتَخَلَفْتُم. تَرَكَ فيكم كتابَ اللهِ وسُنةَ رسولِ الله. فمن أخذَ بهما عِلْماً وعَمَلاً، فقد وَرِثَ نبيَّه ﷺ حقيقةَ الإرْثِ، ومَنْ زَهَد فيهما وَلّاه اللهُ ما تَولَّىٰ، وأصْلاَه جَهَنَّمَ وساءت مصيراً.

اللهم إنا نسألُك بأسمائك الحُسْنىٰ وصفاتِك الكاملةِ العليا، أن تَرْزُقَنا اتباعَ نبيِّك ظاهراً وباطناً.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.



وفاة رسول الله ﷺ

الحمدُ للهِ الذي بَعَثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، ليُظهرَه علىٰ الدينِ كلِّه، وكفىٰ باللهِ ولياً، وكفىٰ باللهِ نصيراً. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وما اتخذ اللهُ من وَلَدٍ ولا صاحبةٍ ولا وزيرٍ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بَيْنَ يَدَيِ الساعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه وسراجاً منيراً، فأدىٰ الأمانةَ وبلغ الرسالةَ، ونصح الأمةَ، وما زال مجاهداً في سبيل الله ذائداً عن دينِ اللهِ، حتىٰ شَمِلَ الدينُ جميعَ جزيرةِ العرب واليمن، وبعضَ أطرافِ الشامِ، فإنه ﷺ لما اشتد أذَىٰ قومِه له قيّض اللهُ له الأنصارَ، الأوسَ والخزرجَ ـ فبايعوه في العقبةِ علىٰ السمعِ والطاعةِ، وأنْ يمنعوه مما يمنعون به نساءَهم وأبناءَهم وأنفسَهم.

فهاجر إليهم ﷺ، ومعه صاحبُه أبو بكر الصديقُ، فوجد هنالك مَقَرّاً طيباً، ومَهْجَراً صافياً، ولما تقوَّىٰ المسلمون أذنَ اللهُ له بالجهادِ، لتطهيرِ الأرضِ من الكفرِ والزَّيْغِ والإلحادِ، فامتثل أمرَ ربِّه وسَلَّ سيفَه علىٰ المشركين، فما زال اللهُ يُوَالِي له النصرَ، حتىٰ فتح مكةَ في السنة الثامنةِ من الهجرةِ، ودخل الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً فعند ذلك نَعَىٰ اللهُ إليه نفسه في سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣].

واختاره اللهُ تعالىٰ لجوارِه في هذا الشهر. فجلس علىٰ المنبرِ مرةً فخطب الناسَ، وقال: «**إنَّ عبداً من عبادِ اللهِ خيرَّه اللهُ بينَ أنْ يُؤْتيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدنيا ما شاء، وبيْنَ ما عندَه فاختار ما عندَه**» فبكىٰ أبو بكر رضي اللهُ عنه، وقال: نَفْدِيك بأنفسِنا وآبائِنا وأمهاتِنا. عَلِمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ هو المُخَيَّر، ثم قال: «**إنَّ أمَنَّ الناسِ عليّ في مالِه وصحبتِه أبو بكر، فلو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقىٰ في المسجد بابٌ إلا تسد إلا بابَ أبي بكرٍ**»(١)، وخرج ذاتَ يوم متوكئاً علىٰ عليٍّ والفضلِ بْنِ العباسِ والعباسُ أمامَهم. ورسولُ اللهِ ﷺ معصوبُ الرأسِ تَخُطُّ رجلاه في الأرض فخطب الناسَ وأوصاهم بالأنصارِ خيراً، ولما اشتد به الوجعُ أمرَ أبا بكر أنْ يُصَلِّيَ بالناس، فبينما هم في صلاةِ الصبحِ من يوم الاثنين الثاني عشرَ من هذا الشهرِ، إذ كشَفَ السِّتْرَ فكاد الناسُ يُفْتَتَنُونَ في صلاتهم فَرَحاً به حين رَأَوْهُ، وتفرجوا عنه، فأشار إليهم أنْ اثْبُتُوا علىٰ صلاتِكم، وتَبَسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ، سُرُوراً لِمَا رأَىٰ من هيئتِهم حينَ الصلاةِ، وما رُؤي أحسنَ هيئةً منه تلك الساعةِ. ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يَرَوْنَ نَبيَّهم قد أفاقَ من وجعِه، ولكنه ﷺ توفي في ذلك اليوم، وهو اليوم الثاني عشر من ربيعِ الأولِ في السنة الحاديةَ عشرة من الهجرة، وهو ابْنُ ثلاثٍ وستين سنةً.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ولما نزل به ﷺ، طَفِقَ يطرحُ خميصةً له علىٰ وجهِه، فإذا اغتمَّ بها كشفَها، فقال وهو كذلك: **«لعنةُ اللهِ علىٰ اليهودِ والنصارىٰ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ»**(١) يُحَذِّرُ ما صنعوا وكان بيْنَ يديهِ إناءٌ فيه مـاءٌ فجعل يُدْخِل يديه في الماءِ فيمسحُ بهما وجهَه، ويقول: **«لا إلٰـهَ إلا اللهُ إنَّ للموتِ سَكَراتٍ»**، ثم نَصَبَ يده فجعل يقول: **«في الرفيقِ الأعلىٰ، في الرفيقِ الأعلىٰ، في الرفيقِ الأعلىٰ»**(٢)، حتىٰ قُبض ومالت يدُه وذلك في السنة الحادية عشرةَ من هجرتِه ﷺ، وعند تلك الحادثةِ العظيمةِ اغتم المسلمون وحَزِنوا واضطربوا لما أصابهم وتَوَعَّدَ عُمَرُ رضي اللهُ عنـه مَنْ قـال: إنَّ النبيَّ ﷺ مات، حتىٰ جاء أبو بكر فدخل علىٰ النبيِّ ﷺ، وهو مُغطىً ببُرْدٍ حَبِرَة، فكشف عن وجهه ثم قبله وبكَىٰ، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللهِ ما أطيبك حياً وميتاً والله لا يجمعُ اللهُ عليك موتتين أبداً أما الموتة التي كُتِبَتْ عليك فقد مِتَّها ثم لن تُصِيبكَ بعدَها موتة أبداً.

ثم خـرجَ إلىٰ النـاسِ فتلا عليهم قولَ اللهِ تعالـىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال عمرُ: فواللهِ ما سمعتُها من أبي بكر حتىٰ عقرْتُ فما تُقِلُّني رجلاي وحتىٰ أَهْوَيْتُ علىٰ الأرضِ. فدخل الناسُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

علىٰ رسولِ الله ﷺ أرسالاً يصلّون عليه بلا إمامٍ، حتىٰ دُفِنَ ليلةَ الأربعاء في بيتِ عائشةَ رضي اللهُ عنها، وجَسَدُه باقٍ في قبرِه لا تأكلُه الأرضُ، لأنَّ اللهَ تعالىٰ حَرَّمَ علىٰ الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ.

فاتقو اللهَ تعالىٰ عبادَ اللهِ، واستعدوا لما دَرَج عليه نبيُّكم ﷺ، فإنَّ الموتَ مآلُ كلِّ حيٍّ والله المستعان.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

بيان بدعة عيد المولد

الحمدُ لله الذي منَّ علىٰ المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبين، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له إلٰهُ الأولين والآخرين الذي أسبغَ علىٰ عبادِه نعمَه ووسعهم برحمتِه وهو أرحمُ الراحمين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أرسله ليُخرج الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ ويكمل لهم به الدين فلم يترك شيئاً يقرّب إلىٰ الله وينفع الخلق إلا بيّنه وأمرَ به ولا شيئاً يبعدهم عن ربِّهم أو يضرّهم إلا حذَّر عنه، حتىٰ ترك أُمته علىٰ ملةٍ بيضاءَ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالِكٌ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ أعظمَ مِنةٍ وأكبر نعمةٍ من اللهِ علىٰ عبادِه أنْ بعثَ فيهم الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين وأنزلَ معهم الكتابَ ليحكمَ بين الناسِ فيما اختلفوا فيه، وكان من أعظمهم قدراً وأبلغهم أثراً وأعمهم رسالة محمد ﷺ الذي بعثه الله تعالىٰ لهداية الخلق أجمعين وختمَ به النبيين، بعثَه اللهُ علىٰ حين فترةٍ من الرسلِ والناس أشد ما يكونون حاجةً إلىٰ نورِ الرسالةِ، فهدىٰ اللهُ به من الضلالةِ وألَّف به بعد الفرقةِ وأغنىٰ به بعدَ العَيلة

فأصبح الناسُ بنعمةِ الله إخواناً وفي دينِ الله أعواناً، فدانت الأممُ لهذا الدين وكان المتمسكون به غرة بيضاءَ في جبينِ التاريخ.

فلما كانت الأمةُ الإسلاميةُ حريصةً علىٰ تنفيذِ شرعِ الله متمشيةً في عباداتها ومعاملاتها وسياستها الداخلية والخارجية علىٰ ما كان عليه قائدها وهاديها محمد ﷺ، لما كانت الأمةُ الإسلاميةُ علىٰ هذا الوصفِ كانت هي الأمةَ الظاهرةَ الظافرةَ المنصورةَ، ولما حصلَ فيها ما حصلَ من الانحرافِ عن هذا السبيل تغيَّر الوضعُ، فجعل بأسهم بينَهم وسلَّط عليهم الأعداءَ وكانوا غُثاءً كغثاءِ السيلِ، فتداعت عليهم الأممُ وفرَّقتهم الأهواءُ ولن يعودَ لهذه الأمةِ مجدُها الثابت وعزُّها المستقر حتىٰ تعودَ أفراداً وشعوباً إلىٰ دينها الذي به عزتها، وتطبق هذا الدين قولاً وعملاً وعقيدةً وهدفاً علىٰ ما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

وإن من تمامِ تطبيقهِ أنْ لا يشرّع شيءٌ من العبادات والمواسم الدينية إلا ما كان ثابتاً عن رسول الله ﷺ فإنَّ الناس إنما أُمروا أن يعبدوا اللهَ مخلصين له الدين حُنفاء، فمن تعبَّد ﷺ بما لم يشرعه الله فعملُه مردودٌ عليه لقول النبي ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رد»**[1] وهو في نظر الشارعِ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالة.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل الحديث (٧٣٥٠، ٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وإن من جملةِ البدع ما ابتدعه بعضُ الناس في شهرِ ربيع الأول من بدعةِ عيد المولد النبويِّ، يجتمعون في الليلة الثانية عشرة منه في المساجد أو البيوت فيصلّون علىٰ النبيِّ ﷺ بصلواتٍ مبتدعةٍ ويقرؤون مدائحَ للنبيِّ ﷺ تخرج بهم إلىٰ حدِّ الغلوِّ الذي نهىٰ عنه ﷺ، وربما صنعوا مع ذلك طعاماً يسهرون عليه، فأضاعوا المالَ والزمانَ وأتعبوا الأبدانَ فيما لم يشرعه اللهُ ولا رسولُه ولا عمله الخلفاءُ الراشدون ولا الصحابةُ ولا المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة ولا التابعون بإحسان، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولو كان خيراً ما حرَمَه الله تعالىٰ سلف هذه الأمة وفيهم الخلفاء الراشدون والأئمة، وما كان الله تعالىٰ ليحرم سلفَ هذه الأمة ذلك الخير لو كان خيراً ثم يأتي أناس من القرن الرابع الهجري فيحدثون تلك البدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم): ما يحدثه بعضُ الناس إما مضاهاة للنصارىٰ في ميلاد عيسىٰ وإما محبة للنبيِّ ﷺ وتعظيماً له من اتخاذ مولد النبيِّ ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده فإنَّ هذا لم يفعله السلفُ مع قيام المقتضىٰ له وعدم المانع ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً كان السلفُ أحقُّ به منا فإنهم كانوا أشدَّ محبةً للنبيِّ ﷺ وتعظيماً له منا، وهم علىٰ الخيرِ أحرص وإنما كانت محبتُه وتعظيمُه في متابعتِه وطاعتِه واتباع أمرِه وإحياءِ سُنته ظاهراً وباطناً، ونشر ما بُعث به، والجهاد علىٰ ذلك بالقلب واليد واللسان، وأكثر هؤلاء الذين

تجدهم حرصاء علىٰ هذه البدع تجدهم فاترين في أمرِ الرسول ﷺ مما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلةِ من يُحلي المصحفَ ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه اهـ كلامه رحمه الله تعالىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ بدعةَ عيد المولد التي تُقام في شهر ربيع الأول في الليلة الثانية عشرة منه ليس لها أساسٌ من التاريخِ، لأنه لم يثبتْ أنَّ ولادة النبيِّ ﷺ كانت تلك الليلة، وقد اضطربت أقوالُ المؤرخين في ذلك، فبعضُهم زعَمَ أنَّ ولادتَه في اليومِ الثاني من الشهر وبعضُهم في الثامِن، وبعضُهم في التاسع، وبعضهم في العاشر، وبعضُهم في الثاني عشر، وبعضُهم في السابع عشر، وبعضُهم في الثاني والعشرين، فهذه أقوالٌ سبعةٌ ليس لبعضِها ما يدلُّ علىٰ رجحانِه علىٰ الآخر فيبقىٰ تعيينُ مولدِه ﷺ من الشهرِ مجهولاً إلا أنَّ بعضَ المُعاصرين حقق أنه كان في اليوم التاسع.

وإذا لم يكن لبدعةِ عيد مولد النبيِّ ﷺ أساسٌ من التاريخ فليس لها أساسٌ من الدين أيضاً، فإن النبيَّ ﷺ لم يفعلها ولم يأمرْ بها ولم يفعلها أحدٌ من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ، وقد قال النبيُّ ﷺ: **«عليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسَّكوا بها وعُضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلَّ بدعةٍ ضلالة»**[١]. وكان يقول في خطبة الجمعة: **«أما بعدُ فإنَّ**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/١٢٦، ١٢٧ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدي هدي محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها وكلَّ بدعةٍ ضلالة وكلَّ ضلالة في النار»[١]. والأعيادُ والمواسم الدينية التي يقصد بها التقرّب إلىٰ الله تعالىٰ بتعظيمه وتعظيم نبيه ﷺ هي من العبادات فلا يشرع منها إلا ما شرَعَه اللهُ تعالىٰ ورسولُه ولا يتعبَّد أحدٌ بشيءٍ منها إلا ما جاءَ عن اللهِ ورسولِه. وفيما شرَعَه اللهُ تعالىٰ من تعظيمِ رسولِه ﷺ ووسائل محبته ما يُغني عن كلِّ وسيلةٍ تبتدع وتُحدث. فاتقوا الله عبادَ الله واستغنوا بما شرَعَه عما لم يشرعه وبما سنَّهُ رسولُ الله ﷺ عما لم يسنَّه.

أيها المسلمون: إننا لم نتكلم عن هذه البدعةِ لأنها موجودةٌ في بلادنا، فإنها ولله الحمد لم تعرفها ولا تعمل بها اقتداءً برسولِ الله ﷺ وأصحابِه، ولكن لما كان الكثيرُ قد يسمع عنها في الإذاعات أردنا أن نبيِّن أصلَها وحكمَها حتىٰ يكونَ المسلمونُ علىٰ بصيرةٍ منها وأن يأخذوا من دينِهم باللُّب دونَ القشور التي لا أصلَ لها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧)، وابن ماجه (٤٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

الفرع الثاني

آيات النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه وأخلاقه

من آيات النبيّ ﷺ وخصائصه

الحمدُ للهِ الذي أيّد رسولَه محمداً ﷺ بالمعجزاتِ والآياتِ البينات، واختصه بالفضائل الكثيرة والكراماتِ. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له في الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ المخلوقات، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وقُدوةً للسالكين، إلىٰ ربِّ الأرض والسمٰوات. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، في الأقوال والأعمال والاعتقادت، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما أيَّد به نبيَّكم ﷺ من الآياتِ والمعجزات، فإنَّ اللهَ أعطاه من الآياتِ ما يُؤمنُ علىٰ مثلِه البشرُ، وأبلغُ ما أُوتيه ﷺ هذا القرآنُ العظيمُ، ففيه عِبْرةٌ لمن اعتبرَ، فيه خَبَرُ ما قبلَكم، ونبأُ ما بعدَكم، وفَصْلُ ما بينَـكم، اشتمل علىٰ النافعِ من أخبارِ الأولين والآخرين، وعلىٰ الفصاحةِ والبلاغةِ اللتين عَجَزَت عنهما مداركُ الجن والإنس السابقين منهم واللاحقين ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ألا وإن من أعظم آياتِه سيرتَه في عبادتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه، كان ﷺ أجودَ الناس، وأشجعَهم وأصبرَهم وأحسنَهم مجالسةً وألطفهم مكالمةً، وألينَهم جانباً، وأبلغَهم في جميعِ صفات الكمال.

ألا وإن من آياته ﷺ انشقاقَ هذا القمرِ فِرْقَتين كلٌّ فرقة منهما علىٰ جبل، حين طلبَ أهلُ مكةَ من النبيِّ ﷺ آيةً[١]. ألا وإن من آياته ﷺ إجابةَ استسقائه واستصحابِه، ففي صحيح البخاريِّ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: بينما النبيُّ ﷺ يخطبُ في يومِ الجُمُعة، قام أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله هلَك المالُ، وجاعَ العِيالُ، فادْعُ اللهَ لنا. فرفَعَ يديه وما نرىٰ في السماء قزعةً، يعني قِطعةَ غَيْمٍ، فوالذي نفسي بيدِه ما وضعَها حتىٰ ثارَ السحابُ أمثالَ الجبال، ثم لم ينزلْ عن منبرِه حتىٰ رأيتُ المطرَ يتَحادَرُ علىٰ لحيته حتىٰ الجمعةِ الأخرىٰ، فقام ذلك الأعرابيُّ، أو قال غيرُه، فقال: يا رسولَ اللهِ تهدَّمَ البناءُ وغرقَ المالُ فادْعُ اللهَ لنا، فرفع يديه فقال: «**حَوَالَيْنا ولا علينا**» فما يُشيرُ إلىٰ ناحيةٍ من السماءِ إلا انفرجت وصارت المدينةُ في مثل الجَوْبة[٢] يعني أن ما فوقَها صَحْوٌ وما علىٰ جوانبها ليس بصَحْوٍ، وإنما يُمْطِرُ.

ومن آياتِه ﷺ أنه حضرت الصلاةُ ذاتَ يوم وهو في أصحابِه، وليس عندَهم ما يتوضؤون به فجِيءَ بقَدَحٍ فيه ماءٌ يَسِيرٌ، فأخذه نبيّ اللهِ ﷺ فتوضأ منه ثم مدَّ أصابعَه الأربعَ علىٰ القَدَح، فجعل الماءُ

---

(١) انظر أحاديث انشقاق القمر في «صحيح البخاري» (٣٦٣٦-٣٦٣٨)، وفي «صحيح مسلم» (٢٨٠٠-٢٨٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣) و(١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

ينبعُ من بين أصابعِه حتىٰ توضأ القومُ أجمعون وكانوا ثلاثمائة رجلاً[١] وأتي بإناء فيه ماءٌ يَسِيرٌ لا يغطي أصابعَه فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القومُ أجمعون، وكانوا ثلاثمائة رجلٍ[٢]. ومن آياتِه ﷺ، أنه أراد ذاتَ يوم أنْ يَقْضِيَ حاجتَه، فنظر فلم يَرَ شيئاً يَسْتَتِرُ به، فإذا بشجرتين بشاطىء الوادي، فانطلق إلىٰ إحداهما فأخذ بغُصْنٍ من أغصانِها، فقال: «انْقَادِي عليّ بإذن الله» فانقادت عليه كالبعير الذي يُصانِعُ قائدَه، ثم فعل بالأخرىٰ مثل ذلك ثم جمعهما فقال: «التئما عليّ بإذن الله» فالتَأَمَتا عليه، فلما فرغَ رسولُ الله ﷺ، افترقتا وقامت كُلُّ واحدةٍ منهما علىٰ ساقٍ[٣]، وقال له جبريلُ: أتُحِبُّ أن أُرِيَكَ آيةً قال: «نَعَمْ» قال: فنظرَ إلىٰ شجرةٍ من وراءِ الوادي، فقال: ادعُ تلك الشجرة، فدعاها، فجاءت تَمْشِي حتىٰ وقفت بين يديه، فقال جبريلُ: مُرْها فلترجِعْ. فأمرها فرجَعت إلىٰ مكانِها[٤].

وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ بمكةَ، فخرجنا في بعضِ نواحِيها فما استقبله جبلٌ ولا شجرٌ إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: ثم مدَّ أصابعه علىٰ القدح ثم قال: قوموا فتوضؤوا، فتوضأ القوم حتىٰ بلغوا فيما يريدون من الوضوء، وكانوا سبعين أو نحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠١٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ١١٣ من حديث أنس رضي الله عنه.

قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله[١]. وجاء قومٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله إنَّ لنا بعيراً قد نَدَّ في حائطٍ، فجاء رسولُ الله ﷺ، إلىٰ البعير فقال: تعال، فجاء البعيرُ مطأطئاً رأسه حتىٰ خطَمَه وأعطاه أصحابَه، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله كأنه عَلِمَ أنك نبيٌّ. فقال رسولُ الله ﷺ: **«ما بين لابتَيْها أحدٌ إلا يعلمُ أني نبيُّ اللهِ إلا كفرة الجنِّ والإنس»**[٢].

وآياتُه الدالةُ علىٰ أنه رسولُ اللهِ كثيرةٌ جداً، فسبحانَ مَنْ أيَّدَ هذا النبيَّ بأنواعِ المعجزاتِ والبينات، ورفعَ له ذكرَه بينَ جميع المخلوقات اللهم فأحينا علىٰ سنته وتوفَّنا علىٰ ملتِه وأوْرِدْنا حوضَه واسْقِنا منه إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٢٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢/ ١٥٥ (١٢٧٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٤ إلىٰ الطبراني وقال: ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف. وانظر «مسند أحمد» ٣/ ١١٠ حديث جابر رضي الله عنه بنحو حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

من آيات النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي له مُلْكُ السمٰواتِ والأرضِ وما فيهن، وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المعاد والمصير، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ له تمامُ المُلْكِ، وكمالُ الحَمْدِ. فمِنْ تمام مُلْكِه وكمالِه، أنه لا يُعْجِزُه شيءٌ في السمٰواتِ ولا في الأرضِ، وأنه ما من شيءٍ في السمٰواتِ ولا في الأرضِ، إلا وهو خالقُه ومَالِكُه ومدبرُه، ومن تمام حَمْدِه وكمالِه، أنه لم يُقَدِّرْ شيئاً، ولم يَشْرَعْ مشروعاً إلا لحكمةٍ، وعلىٰ وَفْقِ الحكمةِ. ومن ذلك ما يقدره اللهُ تعالىٰ من الآياتِ الدالةِ علىٰ صدقِ ما جاءت به الرسلُ تأييداً لهم وإقامةً للحجة علىٰ أممهم.

فهذه النارُ الحارةُ المُهلكةُ، كانت بَرْداً وسلاماً علىٰ نبيِّ اللهِ وخليلِه إبراهيمَ عليه السلام. قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: لولا أنَّ اللهَ قال: وسلاماً. لآذىٰ إبراهيمَ بَرْدُها. وهذا نبيُّ اللهِ موسىٰ ﷺ ضربَ بعصاه البحرَ، فانفلق اثنيْ عشرَ طريقاً، حتىٰ ظهرت أرضُ البحرِ يَبَساً، وكان الماءُ السائلُ من بين هذه الطرقِ كالجبالِ راكداً لا يسيلُ ولما استسقىٰ لقومه أُمِرَ أن يضربَ بعصاه الحجر فتفجَّرَ الحجرُ عُيوناً اثنتي عشرةَ عَيناً وكان يضعُ عصاه فينقلبُ حيةً تَسْعىٰ، فإذا أخذها رجعت علىٰ حاله

الأولىٰ. وهذا عيسىٰ ابن مريم ﷺ، كان يُحيي الموتىٰ بإذن الله، فيأتي إلىٰ القبرِ فيدعو صاحبَه فيخرجُ بإذن الله. وكان يخلقُ من الطين علىٰ صورةِ الطيرِ فينفخُ فيه فيكون طيراً يَطِيرُ بإذنِ الله.

وهذا رسولُ الله وخليلُه محمدٌ ﷺ، جرىٰ له من الآياتِ الدالةِ علىٰ صدقِه شيءٌ كثيرٌ، فمن ذلك أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ الله ﷺ، أنْ يُريَهم آيةً فأراهم القمرَ شِقَّين، حتىٰ رأوا حِرَاءً بينهما، ثبت ذلك بطُرُقٍ متواترةٍ قطعيةٍ، واتفق عليه العلماءُ والأئمةُ. وكان إذا قحط المطرُ يستسقي فما ينزل حتىٰ يجيش كل مِيزابٍ. قال أنسٌ رضي الله عنه: رفع النبيُّ ﷺ يديه يستسقي وما رأينا في السماء قزعةً، فوالذي نفسي بيده، ما وضعَها حتىٰ ثارَ سحابٌ أمثالَ الجبال، ثم لم ينزلْ عن منبرِه حتىٰ رأيت المطرَ يتحادَرُ علىٰ لِحيتِه، فمُطِرْنا إلىٰ الجمعة الأخرىٰ، فقام ذلك الأعرابيُّ أو غيرُه، فقال: يا رسولَ الله تهدَّم البناءُ، وغرق المالُ، فادْعُ اللهَ لنا فرفع رسولُ الله ﷺ يديه وقال: «**اللهم حَوَالَيْنا ولا علينا**»(١) فما يشيرُ بيدِه إلىٰ ناحيةٍ من السماء إلا انفرجت، حتىٰ صارت المدينةُ في مثل الإكليل، والمطرُ حَوْلَها يميناً وشمالاً. وعَطِشَ الناسُ يومَ الحديبية، وبين يدي النبيِّ ﷺ رَكْوةٌ يتوضأ منها، والرَكْوَةُ: إناءٌ من جلدٍ يُشْرَبُ فيه الماءُ، فجَهِشَ الناسُ نحوه، فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندنا ماءٌ نتوضأ ولا نشربُ إلا ما بين

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣) و(١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

يديك، فوضع يدَه في الركوةِ فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابعه كأمثالِ العيون، فشَرِبْنا وتوضأنا. قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا، كنا ألفاً وخمسمائة، أو قال: ألفاً وأربعمائة(١).

وكان المسلمون في سَفَرٍ مع نبيِّهم ﷺ، فاحتاجوا إلىٰ الطعام، فدعا ببقايا طعامٍ كانت معهم، فدعا اللهَ فيها بالبركةِ، ثم أمرَهم أنْ يأتُوا بأوعيتِهم، فجاءوا بها، فملأها وفضلَ فضلاً كثيراً، فقال رسولُ الله ﷺ عند ذلك: «**أشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وأشهدُ أني عبدُ اللهِ ورسولُه، ومَنْ لقِيَ اللهَ عَزَّ وجل بهما غيرَ شاكٍّ، دخلَ الجنة**»(٢).

وكان له ﷺ جذعُ نخلةٍ يُسْنِدُ ظهرَه إليه يومَ الجُمُعة، فلما صُنِعَ له المنبرُ وخطَب عليه، جعلَ الجذعُ يَئِنُّ كما يَئِنُّ الصبيُّ، حتىٰ نزل النبيُّ ﷺ، فسكَّنَه كما يُسَكَّنَ الصبي حتىٰ يَسْكُنَ(٣). ولله تعالىٰ من الآيات وخوارقِ العادات ما يشهدُ بتمام مُلْكِه وقُدْرتِه، وما هو أعظمُ برهانٍ علىٰ عِلْمِه وحِكْمتِه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ **سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت: ٥٣].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٤).

بعضُ آيات النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسلَه رحمةً للعباد، وجعل علىٰ أيديهم من الآياتِ ما يشهدُ لهم بالحقِّ والصدقِ ويَدْحضُ العِنادَ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ولا نِدَّ ولا مُضَادَّ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه شفيعُ الخلق يومَ التنادِ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ في الأقوالِ والأفعالِ والاعتقادِ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ بحكمتِه ورحمتِه لم يُرسلْ رسولاً إلا أيّده بآياتٍ بيناتٍ يؤمنُ علىٰ مثلِها البشرُ، وذلك لئلا يعبثَ الكذابون بالخلقِ فيدَّعُوا الرسالةَ بلا آيةٍ ولا برهان، ولئلا يكونَ حجةً لمن كذبوا الرسلَ وجاهروا بالعنادِ، فآيةُ الرسل تحميهم من التكذيب، وتكون حُجَّةً علىٰ المعاندِ المُريب، ولقد أيّد اللهُ نبيَّنا محمداً ﷺ بأعظم الآيات ألا وهو القرآنُ الكريمُ، الذي فيه نبأُ ما قبلَكم وخبرُ ما بعدَكم وحُكْمُ ما بينكم فهو حبلُ الله المتين وصراطُه المستقيمُ، شفاءٌ للقلوبِ والأبدان، بركةٌ في الثواب والأعمال، مَن تمسك به نَجا، ومن اقتدىٰ به اهتدىٰ، ومَنْ أعرضَ عنه لَقِيَ الهلاكَ والرَّدىٰ، فأصبح من الخاسرين، وأيد اللهُ نبيَّنا ﷺ بآياتٍ حسيةٍ معلومةٍ، منها ما شاهدَه الصحابةُ رضي اللهُ عنهم، ومنها ما وقع بعدَهم، ومنها ما وقع في عصرِنا، ومنها ما

يقع بعد ذلك، فمما شاهده الصحابةُ رضي الله عنهم انشقاقِ القمر فِرْقَتين حين سأله أهلُ مكةَ آيةً، قال النبيُّ ﷺ: «اشهدوا»[(١)]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عَطِشَ الناسُ يومَ الحديبية والنبيُّ ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ يتوضأُ فجَهِشَ الناسُ نحوه، فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندَنا ماءٌ نشربُ ولا نتوضأُ إلا ما بين يديك فوضع يدَه في الرَّكْوَة فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابعه كأمثالِ العُيونِ فشرِبنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا، كنا ألف وخمسمائة أو ألفاً وأربعمائة[(٢)]، ومنها تكثيرُ الطعامِ والشرابِ، قال أبو طلحةَ رضي الله عنه: سمعت صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً أَعْرِفُ فيه الجوعَ فهل عندَكِ من شيء، يعني زوجتَه أمَّ سليم، فقالت: نعم، فخبزت قرصاً من شعير، فأمر أبو طلحةَ أنسَ بنَ مالكٍ أنْ يدعوَ رسولَ الله ﷺ فذهب فأقبل النبيُّ ﷺ بأصحابه فاستقبلهم أبو طلحة، فقال: يا رسولَ الله إنما هو قُرْصٌ، فقال: إنَّ اللهَ سيبارك فيه، فدعا ﷺ بسَمْنٍ فصبَّه عليه ثم دعا أصحابَه عشرةً عشرةً حتىٰ شَبِعُوا وكانوا ثمانين وبقيت في القرص بقية أكلَها أبو طلحةَ وأهلُه وأطعموا جيرانَهم[(٣)]، ومنها أنه كان يُسندُ ظهرَه إلىٰ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

جِذْعٍ منصوبٍ في المسجدِ في خطبةِ الجُمُعةِ فلما اتخذَ المِنْبرَ وقام عليه سَمِعَ الصحابةُ لهذا الجذعِ صوتاً كصوتِ العِشار، خارَ الجذعُ كخُوارِ الثَوْرِ حزناً علىٰ رسول الله، فنزل النبيُّ ﷺ فسكَّنَه حتىٰ سَكَنَ، وقال: «**لو لمْ أحتَضِنْه لَحَنَّ إلىٰ يوم القيامة**»[١]. ومنها تسبيحُ الحصىٰ بين يديه بصوتٍ يُسمعُ[٢]، وقال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: لقد كنا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكلُ[٣]، ومنها أن بعيراً قد استعصىٰ علىٰ أهلِه فوقف النبيُّ ﷺ عليه وقال: تعال، فجاء الجملُ مطأطاً رأسَه حتىٰ خطَمَه وأعطاه أهلَه، فقال أبو بكر: كأنه عَلِمَ يا رسولَ الله إنك نبيٌّ فقال: «**ما بين لابتَيْها أحدٌ إلا يعلمُ أني نبيٌّ إلا كفرةُ الجنِّ والإنس**»[٤] وتحدث عندَه رجلان في حاجةٍ وكان ذلك في ليلةٍ شديدةِ الظلمةِ ثم خرجا من عندِه، وبيد كُلِّ واحدٍ منهما عُصَيَّة فأضاءت عصا أحدِهما لهما حتىٰ مَشَيَا في

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٤٩، وابن ماجه (١٤١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» ٢/ ٥٩ (١٢٤٤) و٤/ ٢٤٥ (٤٠٩٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) والترمذي (٣٦٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٥٥ (١٢٧٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «مجمع الزوائد» ٩/ ٤.

ضوئِها فلما افترقا أضاءت للآخر عصاه حتىٰ بلغ أهلَه[١]، ومنها إبراؤه ﷺ المرضىٰ علىٰ الفور فقد مسَحَ علىٰ رِجْلِ جابرٍ رضي اللهُ عنه وقد انكسرت ساقه فبرىء من ساعته[٢]، ونفثَ في عينَيْ أعمىٰ فأبصرَ في الحال[٣]، وأُصيبَ أحدُ أصحابه بضربة في يده فانخلعت حتىٰ تعلقت فألزمها النبي ﷺ فالتأمت وبرأت[٤]، ومنها إجابة الدعوة وقد دعا لأنس بن مالكٍ رضي الله عنه، فقال: «**اللهم أكثِرْ مالَه وولدَه وأدخلْه الجنة**»[٥] فكثر مالُه وولدُه حتىٰ بلغ ولدُه لصلبه أكثرَ من مئة ولدٍ، قال أنسٌ: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة، وآياته بينةٌ ظاهرة متنوعةٌ يزدادُ المرءُ بمعرفتها إيماناً وحباً لرسولِ الله ﷺ وإيقاناً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر ما ورد في في «تهذيب الكمال» ٢٨/ ١٧٠-١٧١ أن ساق علي بن الحكم انكسرت فمسح عليها النبي ﷺ فبرىء مكانه، وذكر ذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٧٢ في ترجمة معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) انظر «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٩٨، وكتاب «الشفا» للقاضي عياض، ص٣٩٥ (٨٤٥) فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات.

(٤) انظر «الشفا» للقاضي عياض، فصل في إبراء المرضى، ص٣٩٦ (٨٥٣) و«الاستيعاب» لابن عبد البر، ص١٦١، ترجمة حبيب بن فديك (٥٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٧٨)، ومسلم (٦٦٠) و(٢٤٨٠) من حديث أنس وأم سُليم رضي الله عنهما.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

آياتُ النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أرسل رسلَه رحمةً بالعباد وأيَّدهم بالآياتِ البينات، ليدحضَ أهلَ التكذيبِ والعنادِ، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ذو الفضلِ العظيم الذي لا حَصْرَ له ولا نفاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه شفيعُ الخلق يوم التناد، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ في الأقوال والأفعال والاعتقاد وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ بحكمتِه ورحمتِه لم يرسلْ رسولاً إلىٰ خَلْقِه إلا أعطاه من الآياتِ ما يؤمنُ علىٰ مثله البشرُ، حجةً علىٰ المعاندين، وتأييداً للرسل الصادقين ودَحْضاً لقول مَنْ يدعي الرسالةَ من الكاذبين.

ولقد كان نبيُّنا ﷺ خاتَمَ الأنبياء والمرسلين، وكانت رسالتُه إلىٰ جميع العالمين، فكانت آياتُه ﷺ مستمرةً إلىٰ أنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها لتقومَ الحجةُ علىٰ الناس أجمعين وكان أعظمَ آياتِه هذا القرآنُ العظيمُ، الذي تكلم به ربُّ العالمين وألقاه إلىٰ جبريلَ الأمين، فنزل به علىٰ قلبِ النبيِّ ﷺ ليكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ تحدَّىٰ به العربَ، وهم أمراءُ البلاغة وأساطين البيان مع حِرْصِهم الشديد علىٰ معارضتِه، ولكنهم باؤوا بالعجز والخذلان، ذلك لأنه كلامُ ربِّ العالمين لا يمكنُ أن يُشْبَه شيءٌ من كلام

المخلوقين، فهو حبل الله المتين وصراطُه المستقيمُ، فيه خبرُ ما قبلَكم، ونبأُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، شفاء للقلوبِ والأبدان، بركةٌ في الثواب وبركةٌ في الأعمال، مَنْ تمسكَ به نجا، ومَنْ طلَب الهُدىٰ منه اهتدىٰ، ومَنْ أعرض عنه لَقِي الهلاكَ والردَىٰ فأصبحَ من الخاسرين.

ولقد أيد اللهُ نبيَّنا بآياتٍ حسيةٍ مشهودةٍ وآياتٍ غيبيةٍ موعودةٍ، فمن آياتِه ﷺ انشقاقُ القمرِ فِرْقَتَين حينما طَلَبَ منه كفارُ مكةَ آيةً، فأراهم إياه منشقاً، وقال: «**اشهدوا**»[1]، وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: عَطِشَ الناسُ يومَ الحديبية وبين يَدَيْ رسولِ الله رَكْوةٌ يتوضأُ منها، فجَهِشَ الناسُ نحوه فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندَنا ماءٌ نشربُ ولا نتوضأُ إلا ما بين يديك، فوضع يدَه في الرَّكْوَة فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابعه كأمثالِ العُيونِ فشرِبنا وتوضأنا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا، كنا ألفاً وخمسمائة أو ألفاً وأربعمائة[2]، وقال أبو طلحةَ رضي الله عنه سمعت صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً أَعْرِفُ فيه الجوعَ، فقلت لأم سليم: يعني زوجته هل عندَكِ شيء؟، فقالت: نعم، فخبزت قرصاً من شعير، فأمر أبو طلحةَ أنسَ بنَ مالكٍ أنْ يدعوَ رسولَ الله ﷺ فأقبل بأصحابِه فاستقبلهم أبو طلحة، فقال: يا رسولَ الله إنما هو قُرْصٌ، فقال: إنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

اللهَ سيبارك فيه، فدعا ﷺ بسَمْنٍ فصبَّه عليه، ثم دعا أصحابَه عشرةً عشرةً حتىٰ شَبِعُوا وكانوا ثمانين، وبقيت في القرص بقيةٌ أكلَها أبو طلحةَ وأهلُه وأطعموا جيرانَهم(١)، وكان ﷺ يدعو للمرضىٰ فيُشْفَوْنَ علىٰ الفَوْرِ(٢)، فنفثَ في عينَيْ أعمىٰ فأبصرَ(٣)، ومسَحَ علىٰ رِجْلِ جابرٍ رضي اللهُ عنه وقد انكسرت فبرأ من ساعته(٤)، ودعا لأنس ابن مالك أنْ يكثرَ اللهُ مالَه وولدَه ويدخلَه الجنة(٥)، فكثُرَ مالُه وولدُه حتىٰ بلغ أولادُه لصلبه أكثرَ من مئة، وكل هذه آياتٌ محسوسةٌ ومشهودةٌ، منها ما وقع في حياته، ومنها ما وقع في زَمنِ الصحابةِ رضي الله عنه، وجاءت آياتٌ أخرىٰ بعدَهم كان أخبرَ بها ﷺ، فمن ذلك ما ثبت في صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «لا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر مثلاً حديث أم جميل بنت المجلل رضي الله عنها، الذي أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٤١٨، وابن حبان في «صحيحه» ٧/ ٢٤٢ (٢٩٧٧).

(٣) انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر، ترجمة حبيب بن فديك، ص١٦١، الترجمة (٥٠٢).

(٤) ومثله ما ورد في «الاستيعاب» في ترجمة معاوية بن الحكم ص٦٧٢ أن أخاه علي بن الحكم كسرت ساقه فمسح عليها النبي ﷺ فبرىء مكانه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٧٨)، ومسلم (٦٦٠) و(٢٤٨٠) من حديث أنس وأم سُليم رضي الله عنهما.

تقوم الساعةُ حتىٰ تخرج نارٌ من أرضِ الحجاز تُضيءُ لها أعناقُ الإبل ببُصْرَىٰ»[١] وهي بلَدٌ بالشام، وقد وقع ذلك في سنة أربعٍ وخمسين وستمائة حيث خرجت نارٌ عظيمةٌ شرقي المدينة أضاءت لها أعناقُ الإبل ببُصْرَىٰ كانت تشتعلُ بالحجارةِ وتتصاعدُ في السماء، ومن آياته ما أخبر به من أشراط الساعةِ التي ظهر بعضُها مثل قوله ﷺ: «إن من أشراطِ الساعة أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ويكثُرَ الجهل ويكثُرَ الزنا ويكثر شُرْبُ الخَمْرِ ويقلَّ الرجالُ وتكثُرَ النساءُ»[٢] وقوله: «إنَّ بيْنَ السَّاعة كذابين فاحذروهم»[٣]، وقوله: «إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة» قيل: وكيف إضاعتُها، قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلىٰ غير أهلِه فانتظر الساعة»[٤]، وقوله: «لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تعودَ أرضُ العرب مُروجاً وأنهاراً»[٥] إلىٰ غير ذلك من آيات النبي ﷺ التي تُعَيِّنُ أنه رسولُ الله حقاً وتُوجِبُ لمَنْ عَلِمَها وفَهِمَها قوةَ الإيمان واليقين والمحبة لرسولِ ربِّ العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٥/٨٨، ومسلم (٢٩٢٣) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (١٥٧) (٦٠) بعد الحديث (١٠١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعضُ آيات النبي ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالحقِّ المبين، وأيَّدَه بالآياتِ البينات، لتقومَ الحُجةُ علىٰ المعاندين، ليَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ويحيىٰ مَنْ حَيَّ عن بينةٍ وإن اللهَ لسميعٌ عليمٌ، وأشهدُ أنْ لا إلٰـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إلٰـه الأولين والآخرين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الأنبياء والمرسلين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ اللهَ تعالىٰ أرسل الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين لئلا يكونَ للناس علىٰ الله حُجةٌ بعدَ الرسلِ، ولذلك أيّدهم بالآياتِ البيناتِ الدالةِ علىٰ صِدْقِهم وصحةِ رسالتِهم قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وقال النبيُّ ﷺ: «**ما مِنَ الأنبياء نبيٌّ إلا قد أُعْطِيَ من الآياتِ ما مِثلُه آمنَ عليه البشرُ**»(١) فأيدهم اللهُ تعالىٰ بالبيناتِ لتقوم الحجةُ علىٰ كُلِّ معاندٍ وليُؤمِنَ مَنْ آمن عن اقتناعٍ وبصيرةٍ، فينشرحَ صدرُه للإيمان ويطمئنَ قلبُه، ولقد كان لنبيِّنا محمدٍ ﷺ من هذه الآيات أعظمُها وأجلُّها، كانت آياتُه ﷺ شرعيةً وآياتٍ كونيةً، أما الآياتُ الشرعيةُ فأعظمُها هذا القرآنُ العظيمُ يقول

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله تعالىٰ للذين يطلبون آياتٍ للنبيِّ ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ويقول النبيُّ ﷺ: «**وإنما كان الذي أوتيته وَحْياً أوحاه اللهُ إليّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة**»، نَعَمْ إنَّ هذا القرآنَ العظيمَ لآيةٌ كبرىٰ للنبيِّ ﷺ لأنه جاء مُصَدِّقاً لكتبِ اللهِ السابقةِ وحاكماً عليها وناسخاً لها ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨] كان هذا القرآنُ آيةً كبرىٰ للنبي ﷺ لأنه كان علىٰ وصفِ رسالتِه في عمومِها وشمولِها وصلاحِها وإصلاحِها، فهو كتابٌ عامٌّ شاملٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، مصلحٌ لأمورِ الدنيا والآخرةِ فهو أساسُ الشريعة، والشريعةُ شاهدةٌ له، كان القرآنُ آيةً كُبرىٰ للنبيِّ ﷺ لِمَا يشتملُ عليه من الأخبارِ الصادقةِ الهادفةِ، والقَصَصِ الحسنىٰ المملوءةِ عبرةً وتربيةً، والأحكام العادلةِ المرضية والإصلاحات الاجتماعية والفردية، وكان القرآنُ آيةً كبرىٰ في لفظه ومعناه وأثرِه في النفوس، وآثارِه في الأمة، فهو آيةٌ للأمةِ كُلِّها من أولها إلىٰ آخرها، كلُّ المسلمين يتلونه اليومَ كما يتلوه أولُ هذه الأمة، ويمكنُهم أن يَنْهلُوا من مَعين أحكامِه وحِكَمِه، كما ينهلُ منها الرعيلُ الأولُ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ومن آياتِ النبيِّ ﷺ هذه الشريعةُ الكاملةُ في العقيدةِ والعبادةِ والأخلاقِ

والآداب والمعاملات، وتنظيمِ سلوكِ العبدِ فيما بينه وبينَ ربِّه، وفيما بينَه وبينَ الخَلْق، فلو اجتمعَ العالَمُ كلُّهم علىٰ أنْ يأتوا بمثل هذه الشريعة ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، لأنها شريعةُ اللهِ العليم بما يُصلِحُ خَلْقَه، الحكيمِ بما يَشْرَعُ لهم، الرحيمِ بما يُكَلِّفُهم به، وإنَّ كلَّ ما جاء من صَلاحٍ أو إصلاحٍ في أيِّ نظامٍ من النُّظُمِ فإنّ في الشريعة المحمدية الإسلاميةِ ما هو أصلَحُ منه وأنفعُ للخَلْق، وإذا كان البشرُ لا يستطيعون أنْ يأتوا بمثل هذه الشريعةِ في صلاحِها وإصلاحِها كان ذلك آيةً وبرهاناً علىٰ أنَّ شريعةَ محمدٍ ﷺ هي شريعةُ اللهِ تعالىٰ.

وأما الآياتُ الكونيةُ الدالةُ علىٰ رسالتِه ﷺ فكثيرةٌ جداً لا يمكن الإحاطةُ بها، فمنها ما جبَله اللهُ عليه من مكارمِ الأخلاق ومعالي الآداب ومحاسنِ الأعمال، قال مَلِكُ غَسَّانَ وقد دعاه النبيُّ ﷺ إلىٰ الإسلام: واللهِ لقد دلني علىٰ هذا النبي الأمي أنه لا يأمرُ بخيرٍ إلا كان أولَ آخِذٍ به ولا يَنْهىٰ عن شرٍّ إلا كان أولَ تاركٍ له، وإنه يَغْلِبُ فلا يَبْطَرُ، ويُغْلَبُ فلا يَضْجَرُ ويَفِي بالعهدِ ويُنْجِزُ بالموعود وأشهدُ أنه نبيٌّ، وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في كتابه (الجوابُ الصحيحُ لِمَنْ بدَّلَ دينَ المسيح) وهو كتابٌ قيمٌ ينبغي للمسلم قراءتُه لا سيَّما في هذا العصرِ الذي كثُرَ فيه انتشارُ النصارىٰ بينَ المسلمين في القطاعِ الحكومي والشعبي، ليكونَ الإنسانُ علىٰ بصيرةٍ من أمرِهم، قال شيخُ الإسلام: إنَّ سيرةَ النبيِّ ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله

وشريعته من آياته، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً، من صميم سلالة إبراهيم، وكان من أكملِ الناس تربيةً ونشأةً، لم يزلْ معروفاً بالصدق والبرِّ والعدلِ ومكارمِ الأخلاق وتركِ الفواحشِ والظلم، لا يُعرفُ له شيءٌ يُعابُ به ولا جَرَتْ عليه كَذِبةٌ قطُّ، ولا ظُلمٌ ولا فاحشةٌ، بل كان أصدقَ الناس وأعدلَهم وأوفاهم بالعهدِ مع اختلاف الأحوال عليه من حربٍ وسِلْمٍ وأَمْنٍ وخَوْفٍ وفَقْرٍ وظهورٍ علىٰ العدوِّ تارةً وظهورِ العدوِّ عليه تارةً، ومن آياتِ النبيِّ ﷺ الكونيةِ ما شاهده الناسُ في الآفاقِ السماويةِ والآفاقِ الأرضية، ففي الآفاقِ السماويةِ كَثُرَتْ الشُّهُبُ في السماءِ لإحراقِ الشياطين التي تستمعُ أخبارَ السماء، كثُرَتْ الشهبُ حمايةً لوَحْيِ اللهِ الذي يُنزِلُه علىٰ محمدٍ ﷺ قال اللهُ تعالىٰ عن الجنِّ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، وطلبَتْ قريشٌ من النبيِّ ﷺ آيةً فأراهم القمرَ شِقَّينِ حتىٰ رَأَوْا غار حِراء بينهما، وكانت كلّ شُقَّةٍ منه علىٰ حِذاءِ جَبَلٍ، وأُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ واجتمع إليه الأنبياءُ فصَلَّىٰ بهم إماماً، ثم عُرِجَ به إلىٰ السمٰوات، وقابل في كُلِّ سماءٍ مَنْ قابلَ من الأنبياءِ والرسلِ، وسلَّم عليهم فردوا عليه السلامَ وحَيَّوْهُ، وبلغ سِدْرةَ المُنْتَهىٰ، ومكاناً سمعَ فيه صَريفَ الأقلام، وكلَّمه اللهُ تعالىٰ بما أراد، وتراجعَ بينَ اللهِ تعالىٰ وبين موسىٰ فيما فرضَ الله عليه من الصلوات، وعُرِضَتْ عليه الجنةُ وأُدْخِلَها، وعُرِضَتْ عليه النارُ

فرآها، كل هذا كان في ليلةٍ بل في بعضِ ليلةٍ[١] وهو من أعظمِ آياتِ اللهِ الدالةِ علىٰ صِدْقِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، قال اللهُ عزَّ وجل مشيراً إلىٰ الإسراءِ في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وإلىٰ المعراج في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١-١٨]، وجاءه رجلٌ وهو يخطبُ يومَ الجمعة فقال: ادع الله أن يُغيثَنا، فدعَا فثارَ السحابُ أمثالَ الجبالِ فما نزل عن المنبر حتىٰ كان المطرُ يَتحادَرُ علىٰ لِحْيتِه، فبَقِيَ أسبوعاً حتىٰ دخلَ رجلٌ في الجُمُعة الأخرىٰ، فقال: ادعُ اللهَ أن يُمسِكَها عنا، فدعا وجعل يُشير إلىٰ السحاب فما يشير إلىٰ ناحيةٍ إلا انفرجت فخرج الناسُ يمشون[٢]. وفي الآفاق الأرضيةِ شاهد الناسُ من

---

(١) انظر أحاديث الإسراء والمعراج في «تفسير ابن كثير» أول تفسير سورة الإسراء ٥/٦-٤٣.

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

آيات النبي ﷺ شيئاً كثيراً، فمنها ما رواه جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما قال: عَطِشَ الناسُ وكان بينَ يَدَي النبيِّ ﷺ رَكْوةٌ، والرَكْوَةُ إناءٌ من جِلْدٍ فجَهِشَ الناسُ نحوه، فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندَنا ماءٌ نشربُ ولا نتوضأ إلا ما بينَ يديك، فوضع يدَه في الرَّكْوَةِ فجعل الماءُ يفورُ بين أصابعه كأمثالِ العيونِ فشربنا وتوضأنا، قيل لجابرٍ: كم كنتم؟ قال: كنا ألفاً وخمسمائة، ولو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا[١]، وأتىٰ أنسٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ وهو في جُملةٍ من أصحابه قد عَصَبَ بَطْنَه من الجُوعِ، فذهب أنسٌ إلىٰ أبي طلحةَ وهو زوجُ أمهِ فأخبرَه بما شاهدَ من النبي ﷺ، فقال أبو طلحة لامِّ سُلَيْمٍ زوجته: هل من شيء؟ قالت: نعم كِسَرٌ من خُبْزٍ وتَمَراتٌ، إنْ جاء رسولُ الله ﷺ وحدَه أشْبَعْناه، وإنْ جاء معه آخرُ قلَّ عنهم، قال أنسٌ: فذهبتُ إلىٰ النبيِّ ﷺ فنظر إليَّ فقلت أجِبْ أبا طلحةَ، فقال النبيُّ ﷺ لمَنْ معه: قوموا، فإذا أبو طلحةَ علىٰ الباب، فقال: يا رسولَ اللهِ إنما هو شيءٌ يَسيرٌ، فقال: هاتِه فإنَّ اللهَ سيجعلُ فيه البركةَ، ثم أمر بسَمْنٍ فَصَبَّ عليه ودعا فيه ثم قال: ائذن لعَشَرةٍ فقال: كُلُوا وسَمُّوا اللهَ ثم أدخلهم عشرةً عشرةً وكانوا ثمانين حتىٰ شَبعُوا وأهْدُوا البقيةَ للجيران[٢]، وكان ﷺ يخطبُ الجُمُعة إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

جِذْعِ نَخْلةٍ في المسجد، فلما صُنعَ له المنبرُ وقام عليه أولَ جُمُعةٍ حَنَّ الجذعُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ كما تَحِنُّ العِشارُ حتىٰ نزل النبيُّ ﷺ إليه فوضع عليه يدَه يُسَكِّنُه حتىٰ سَكَنَ[1]، وكان من آياتِه ﷺ ما أخْبَرَ به من أمورِ الغيبِ التي وقَعَتْ طِبْقاً لما أخْبَرَ ﷺ كأنما يشاهدُها بعَيْنه كقوله ﷺ: **«يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدَثاءُ الأسنانِ سُفهاءُ الأحلامِ يقولون مِنْ قول خَيْر البرية يَمْرُقون من الإسلام كما يمرُقُ السهمُ من الرمية لا يجاوزُ إيمانُهم حناجرَهم»**[2]، وقوله ﷺ: **«لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله لا يضرُّهم مَنْ خذلَهم ولا مَنْ خالفَهم حتىٰ يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم علىٰ ذلك»**[3] فقد كان ذلك ولله الحمدُ، فما زال في هذه الأمةِ أمةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خالفَهم علىٰ كثرة ما غُزِي دينُهم من أعدائِهم حتىٰ في عهدِ النبيِّ ﷺ من اليهودِ والنصارىٰ والمشركين، فعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانياً فأسلمَ وقرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ فكان يكتبُ للنبيِّ ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقولُ ما يَدْرِي محمدٌ إلا ما كتبتُ له، فأماته اللهُ فدفنوه فأصبحَ وقد لَفَظَتْه الأرضُ

---

(١) أخرجه البخاري (٩١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) و(٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) و(١٠٦٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

فقالوا: هذا فِعْلُ محمدٍ وأصحابه لمَّا هربَ منهم نَبَشُوا عن صاحبِنا فألقَوه، فحفروا له وأعمَقُوا في الأرض ما استطاعوا فأصبحَ قد لَفَظَتْهُ الأرضُ، فعلموا أنه ليس من الناس فألْقَوْهُ وتركوه مَنبوذاً[١]، وهكذا ينتصرُ اللهُ من أعداءِ الله تعالىٰ ويُرِي الناسَ فيهم آياتِه حتىٰ يتبينَ لهم الحقّ، فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وثِقُوا بوعدِ الله إنْ كنتم صادقين، ولا تيأسوا من رَوْحِ الله إنه لا ييأسُ من رَوْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرون.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

بيانُ شيءٍ من أخلاقِ النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله ذي الفضلِ والإحسان والكرم والامتنان اصطفىٰ نبينا محمداً ﷺ علىٰ جميع بني الإنسان وأدبه فأحسنَ تأديبه فكان خُلقه القرآن، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات الحسان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث بمكارم الأخلاق وأتم الأديان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا أخلاق نبيكم المصطفىٰ فإنها مشتملةٌ علىٰ القيام بحقِّ الله وحقوق عباده وبها الحياةُ السعيدة والغايات الحميدة كان ﷺ قائماً بشكرِ ربِّه منيباً إليه كثيرَ التوبةِ والاستغفار فلقد قامَ يصلِّي حتىٰ تورَّمت قدماه فقيل: يا رسولَ الله أليس قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر فقال: أفلا أكونُ عبداً شكوراً.

وقد خُيِّر بين أنْ يكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً فقال: لا بل أكون عبداً نبياً وقال ﷺ: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً**»(١) وكان أشدَّ الناس خوفاً من الله فكان إذا رأىٰ غيماً أو ريحاً عُرِف ذلك في وجهه، فقالت عائشةُ: يا رسولَ الله الناسُ يفرحون رجاءَ المطرِ وأنت تُعرَف الكراهيةُ في وجهِك فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«يا عائشةُ وما يؤمنني أنْ يكونَ فيه عذابٌ قد عُذِّب قومٌ بالريح»[١]
وكان مع ذلك أعظمَ الناسِ شجاعةً وأشدَّهم بأساً فلقد فزع أهلُ المدينة ذات ليلةٍ فانطلق الناسُ قِبلَ الصوتِ فتلقاهم النبيُّ ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلىٰ الصوتِ واستبرأ الخبرَ علىٰ فرسٍ لأبي طلحةَ عري في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا»[٢] وكان ﷺ حليماً رفيقاً أدركه أعرابيٌّ فجذَبَه جذباً شديداً وكان عليه بَردٌ غليظُ الحاشيةِ فأثرت حاشيتُه في عاتقِ رسولِ اللهِ ﷺ من شِدَّة جذب الأعرابيِّ فقال: يا محمد مُرْ لي من مالِ الله الذي عندك فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء[٣]، وخدمه أنس بن مالك رضي الله عنه عشر سنين في الحضر والسفر فما قال له أفٍّ قطُّ ولا قال لشيءٍ صنعَه لم صنعْته ولا لشيءٍ تركه لم تركْتَه[٤]. وما ضربَ رسولُ الله ﷺ بيدِه شيئاً قط لا امرأة ولا خادماً إلا أنْ يجاهدَ في سبيلِ الله وما نيل منه شيءٌ قط فينتقمُ من صاحبِه إلا أن يُنتَهك شيءٌ من محارمِ الله فينتقم لله[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٩)، ومسلم (٨٩٩) (١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكان أحسنَ الناسِ خُلقاً فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سباباً ولا لعاناً[١]، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختارَ أيسرَهما ما لم يكن إثماً فيكون أبعدَ الناس عنه[٢]، وكان أجودَ الناسِ فما سُئل علىٰ الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلىٰ قومه فقال: يا قوم أسلموا فإنَّ محمداً يُعطي عطاءَ من لا يخشىٰ الفاقةَ[٣]. وكان أزهدَ الناسِ في الدنيا فقد خُيِّر بين أن يعيشَ في الدنيا ما شاء الله أنْ يعيشَ وبين لقاءِ ربِّه فاختار لقاءَ ربِّه[٤] وكان يلتوي من الجوع ما يجد من الدقلِ ما يملأ به بطنَه[٥]، ومات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً إلا سلاحَه وبغلته[٦]، ودرعَه مرهونةٌ عند يهوديٍّ بشعير ابتاعه لأهلِه[٧]، وكان بيدِه عقارٌ

(١) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٣٥٥٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، و(٦٠٤٦) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٦)، وابن حبان ١٤/ ٥٥٨ (٦٥٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٧٨)، وأحمد في «المسند» ١/ ٢٤ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٣٩) من حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (٢٩١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ينفق علىٰ أهلِه منه والباقي يصرفه في مصالح المسلمين[١]، وكان يرقعُ ثوبَه ويخصفُ نعلَه ويكون في مهنةِ أهلِه[٢]، ويمشي مع الأرامل والمساكين ويجيب دعوتَهم ويقضي حاجتهم[٣]، ويُسلِّم علىٰ الصبيان إذا مرَّ عليهم[٤] وكان يمزحُ ولا يقول إلا حقاً[٥]، وكان طويلَ الصمتِ قليلَ الضحك[٦] كثيرَ التبسّم[٧]، وكان دائمَ البِشرِ سهَلَ الخلق لين الجانبِ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، وكان محترماً مفخماً إذا تكلَّم أطرقَ جلساؤه كأنما علىٰ رؤوسِهم الطيرُ وإذا سكَتَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧) (٤٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ١٢١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه النسائي ٣/ ١٠٩ (١٤١٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥)، والترمذي (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد ٥/ ٨٦ من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الترمذي (٣٦٤١) من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه.

تكلموا[١]، وكان أشدَّ الناس حياءً[٢] وأفصحَهم لساناً وأبلغهم بياناً صلىٰ ذاتَ يومٍ الفجرَ فصعدَ المنبرَ فخطبَ الناسَ حتىٰ حضَرتِ الظهرُ فنزل فصلىٰ ثم صعَدَ المنبرَ حتىٰ حضرت العصرُ فنزل فصلىٰ ثم صعَدَ المنبرَ حتىٰ غربت الشمسُ فأخبرهم بما كان وما هو كائن[٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) انظر «شعب الإيمان» للبيهقي ٢/ ١٥٤، ١٥٧. و«الشفا» للقاضي عياض، ص٢٠٢-٢٠٦ حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه في وصف رسول الله ﷺ.

(٢) انظر البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٢)، وأحمد ٥/ ٣٤١ من حديث أبي زيد الأنصاري عمرو بن أخطب رضي الله عنه.

من خصائصِ النبي ﷺ وأخلاقِه

الحمدُ لله الذي جعل نبيَّه محمداً ﷺ علىٰ الأخلاقِ العظيمةِ والصفاتِ الكريمةِ، فكان له من كُلِّ خُلُقٍ فاضلٍ أكملُه وأعلاه، ومن كلِّ أَدَبٍ أطيبُه وأزكاه، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تُقَرِّبُ قائلَها مِنْ مولاه، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي اختاره اللهُ واصطفاه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تولاه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما جَبَل اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ عليه من الأخلاق الكريمة، فإنَّ ذلك يزيدُ الإيمانَ ويغرِسُ محبةَ رسولِ الله ﷺ في القلوبِ ويُوجِبُ للعبدِ أنْ يَحْرِصَ ما استطاعَ علىٰ اتباعِ النبيِّ ﷺ في هَدْيه وأخلاقه، ففي مقامِ العبوديةِ كان أكملَ النَاسِ عبادةً لربِّه وأبلغَهم تعظيماً لله، لقد كانَ ﷺ يقومُ حتىٰ تتورمَ قدماه، فيقالُ له: كيف تصنعُ ذلك وقد غَفرَ اللهُ لك ما تقدّم من ذنبِك وما تأخر؟! فيقول: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً**»(١)، وكانت عبادتُه لله عبادةً كاملةً فيها القيامُ بحقِّ الله مع إعطاءِ النفوسِ حقَّها وراحتَها، فلقد اجتمع نَفَرٌ من أصحابه فسألوا عن عملِه في السرِّ، فلما أُخْبِروا كأنهم تَقالُّوهُ، فقال بعضهم: لا

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

أتزوجُ النساءَ، وقال بعضُهم: أصومُ ولا أُفْطِرُ، وقال بعضهم: أُصَلِّي ولا أنامُ، فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا، لكني أصومُ وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوجُ النساءَ فمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مني**»[1]، ومع ذلك قالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: كان يصومُ حتىٰ نقولَ لا يُفطِرُ، ويُفطِرُ حتىٰ نقولَ لا يصومُ[2]، وكان لا تشاءُ أن تراه من الليل قائماً إلا رأيتَه، ولا تشاء أنْ تراه نائماً إلا رأيتَه[3]، وما زاد ﷺ في رمضانَ ولا في غيرِه علىٰ إحدىٰ عشرةَ ركعةً[4]، ثم وَصَفَتْهنَّ وقالت: وكان يقرأ السورةَ فيُرَتِّلُها حتىٰ تكونَ أطولَ من أطول منها[5]، ولقد كان يقوم حتىٰ أرثي له من شدَّة قيامه[6]، وهذا التنوعُ في فعله ﷺ بحسب المصلحة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه مسلم (١١٥٦) (١٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٢) و(١٩٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠١٣) ومسلم (٧٣٨) (١٢٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه مسلم (٧٣٣) من حديث حفصة رضي الله عنها.

(٦) انظر حديث عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ كان يصلي حتىٰ تتفطر قدماه، البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

وفي مقامِ الكرمِ كان أجودَ الناسِ وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاه جبريلُ فيدارسُه القرآن، فلَرسولُ اللهِ أجودُ بالخير من الريحِ المرسَلَة[١]، وما سُئِلَ شيئاً قَطُّ، فقال: لا[٢].

وفي مقامِ الشجاعة كان أشجعَ الناس وأصبرَهم، قال بعضُ الصحابة: كنا إذا اشتد الحربُ وحمَىٰ الوطيس نَتقي برسولِ الله ﷺ ولقد ولَّىٰ الناسُ كلُّهم يومَ حُنَينٍ وكانوا اثنى عشر ألفاً ولم يَبْقَ معه إلا نحوُ مئةٍ، وهو راكبٌ بغلتَه يَركُضُ بها نَحْوَ العدو، ويقول معلناً: «**أنا النبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المطلب**»[٣] حتىٰ كان العباسُ وعلي بنُ أبي طالب وأبو سفيان يتعلقون بالبغلةِ ليُبْطِىء سيرُها خوفاً عليه من العدو، وما زال كذلك حتىٰ نصره اللهُ عَزَّ وجل، وكان ﷺ أزهدَ الناس في هذه الدنيا وأرغبهم في الآخرة، فلقد خيّره اللهُ بين أنْ يكون مَلِكاً نبياً أو عَبْداً نبياً فاختار أَن يكون عَبْداً نبياً[٤]، وقال أنسٌ رضي الله عنه: دخلتُ علىٰ رسولِ الله ﷺ وهو علىٰ سرير مَرْمُولٍ بشريط، وتحت رأسِه وسادةٌ من أدمٍ حَشْوُها لِيفٌ، ودخل عليه عُمَرُ وناسٌ من الصحابة فانحرف الرسولُ ﷺ انحرافةً، فرأىٰ عُمَرُ أثرَ الشريطِ في جَنْبِه فبكَىٰ، فقال له: «**ما**

---

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ٢٣١ من حديث أبي هريرة رضي اللهعنه.

يبكيكَ يا عمرُ» فقال: ومالي لا أبكي وكِسْرىٰ وقَيْصَرُ يَعيثانِ فيما يعيثانِ فيه من الدنيا وأنت علىٰ الحال الذي أرىٰ، فقال: **«يا عمرُ أما تَرْضىٰ أنْ تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة»** قال: بلىٰ، قال: **«هو كذلك»**[١] وقالت عائشة: ما شَبِعَ آلُ محمدٍ منذ قَدِمُوا المدينةَ ثلاثةَ أيامٍ تِباعاً من خُبْزِ بُرّ حتىٰ مَضَىٰ لسبيله[٢]، ولقد كان يمضي الشهرُ ما يُوقَدُ في بيتِهِ نارٌ ليس إلا التمر والماء[٣]، وخطَب عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فذكر ما فتح الله علىٰ الناس وقال: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتلوىٰ من الجوع ما يجدُ من الدَقَلِ ما يملأ بطنَه[٤]، فهذه عِيشةُ رسولِ الله ﷺ في نفسِه وأهلِه، ولو شاء أن يُسيِّرَ اللهُ الجبالَ معه ذَهَباً لسارت، ولكنه ﷺ اختارَ ما كان عليه حتىٰ فارقَ الدنيا، وكان ﷺ متواضعاً لله ولعبادِ الله، فكان إذا صافحه الرجلُ لا ينزِعُ يدَه منه حتىٰ يكونَ الرجلُ ينزِعُ يدَه، وإنْ استقبله بوجهٍ لا يصرفُه عنه حتىٰ يكونَ الرجلُ ينصرفُ عنه، ولا

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٦٣)، وأحمد في «المسند» ١/ ١٣٩-١٤٠ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٢٤، ومسلم (٢٩٧٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

يُرَىٰ مُقَدِّماً رُكبَتَيْهِ بين يَدَيْ جَليسه(١). ولقد كانت الأمةُ من إماء المدينة تأخذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلقُ به في حاجتها(٢)، وسُئِلت عائشة: ماذا كان يصنعُ رسولُ الله ﷺ إذا دخل بيتَه؟ فقالت: كان يكونُ في مِهْنةِ أهلِه، فإذا حضرت الصلاةُ خرج فصَلَّىٰ(٣)، وكان يخصِفُ نعلَه ويَخِيطُ ثوبَه(٤)، وكان يمرُّ بالصبيانِ يلعبون فيُسلِّم عليهم(٥) صلواتُ الله وسلامُه عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

فهذه نبذةٌ قليلةٌ من أخلاقه ﷺ نسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يرزقَنا وإياكم اتباعَه ظاهراً وباطناً، وأنْ يَهْدِينا صراطَه المستقيم صراطَ الذين أنعمَ عليهم مِن النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٦).

(٤) أخرجه أحمد ٦/ ١٢١ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

من خصائص النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي فضَّل بحكمته بعضَ مخلوقاتِه علىٰ بعضٍ في الفضائل والصفات وخصَّ محمداً ﷺ من ذلك بأوفرِ المناقبِ فضلاً وأكملِ الحالات، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماء والصفات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ من جميعِ البَرِيّات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الدهورُ والأوقاتُ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واعْرِفُوا ما خصَّ اللهُ به نبيَّنا محمداً ﷺ من الأخلاق والفضائل، فإنَّ ذلك يزيدُ الإيمانَ به ومحبتَه وتعظيمَه، وذلك موجبٌ لكمالِ الانقيادِ له والاتباع، ولن يؤمنَ عبدٌ حتىٰ يكونَ النبيُّ ﷺ أحبَّ إليه من نفسِه وولدِه ووالدِه والناسِ أجمعين، وعلامةُ حبِّ العبدِ للرسولِ ﷺ أنْ يُنْزِلَه المنزلةَ التي أنْزَلَه اللهُ إياها، فيعظِّمَ أقوالَه ويُقَدِّمَها علىٰ قولِ كلِّ أحدٍ، ويقدِّمَ طاعتَه علىٰ هوىٰ نفسِه وشهواتِها.

فمما خصَّ اللهُ به محمداً ﷺ أنْ بعثه لجميع العالمين وجعل دينَه صالحاً لجميع السالكين في كلِّ وقتٍ ومكان، وخصَّه اللهُ بالمقامِ المحمودِ الذي يحمَدُه فيه الأولون والآخرون، وكان مخصوصاً

بالشفاعة العظمىٰ، وذلك أنَّ الناسَ يومَ القيامة يَلْحَقُهم من الغَم والكَرْبِ ما لا يُطِيقون، تدنو الشمسُ منهم ويبلغُ العرقُ منهم ما يَبْلُغُ، فيقولون: ألا تنظرون إلىٰ من يشفعُ لنا، فيأتون آدمَ ونوحاً وإبراهيمَ وموسىٰ وعيسىٰ، فيقول عيسىٰ: إلىٰ محمدٍ عَبْدٍ غفرَ اللهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون إلىٰ النبيِّ ﷺ فيقول: «**أنا لها**»(١) ويشفعُ.

وهو ﷺ أولُ من تنشقُ الأرضُ عنه، فإنَّ اللهَ إذا أرادَ بَعْثَ العبادِ أمطَرَ عليهم مَطَراً فتنبتُ الأجسادُ في قبورها، وقد علم العليمُ الحكيمُ ما أكلت الأرضُ من أجسامِهم ومن جلودِهم وأعصابِهم ولحومِهم وعظامِهم، فيجمعُ اللهُ ذلك كلَّه وينبتُ الجسمُ منه مرةً أخرىٰ، فيُنفخُ في الصورِ فتخرجُ منه النفوسُ، وتدخل كُلُّ نَفْسٍ في جَسَدِها الذي كانت تَعْمُرُه في الدنيا، ثم تَشَقَّقُ الأرضُ عنهم فيخرجون مُسْرعينَ إلىٰ المَحْشَرِ، فأولُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرضُ نبيُّنا محمدٌ ﷺ وخُصَّ ﷺ بالوسيلةِ وهي درجةٌ عاليةٌ في الجنة، وقد جَبَله اللهُ تعالىٰ علىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، فلم يكنْ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «**إنَّ مِنْ خيارِكم أحسنكُمْ أخلاقاً**»(٢)، وما خُيِّرَ بينَ أمرين إلا اختار أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإنْ كان إثماً كان

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) (٣٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أبعدَ الناس عنه، وكان يقول: «مَنْ حُرِمَ الرفقَ حُرِمَ خيراً، إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرفقَ، ويُعطي علىٰ الرفقِ ما لا يُعطِي علىٰ العنف»(١) وكان ﷺ يمزحُ ولا يقول إلا حقاً(٢)، وكان يتحدث الحديثَ من غيرِ سَرْدٍ(٣)، يتحدث حديثاً لو عدَّه العادُّ لأحصاه(٤)، وكانت عيناه تنام ولا ينام قلبُه(٥)، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم إلىٰ يوم الدين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ١-٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥)، والترمذي (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/١١٨، والبخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها. ومعنى: من غير سرد، أي: من غير استعجال بعضه إثر بعض.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

صفات النبيِّ ﷺ الخِلقية والخُلقية

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه بصفاتِ الكمال، ورفَع بعضَهم علىٰ بعضٍ درجاتٍ ليبلوَهم فيما أعطاهم من تلك الخصال، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه الملكُ الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ ليتممَ مكارمَ الأخلاق ومحاسنَ الأعمال صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الأيامُ والليالِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا ماله من الحِكَمِ البالغةِ في شَرْعِه وخَلْقِه وجَزَائِه، فإن لله تعالىٰ في ذلك الحكمةَ البالغةَ الصادرةَ عن عِلْمٍ تامٍّ ورحمةٍ واسعةٍ، شرعَ الشرائعَ فأحْكَمها وخلقَ المخلوقات فأتقنَها وجعل الجزاءَ علىٰ وَفْقِ الحكمة دائراً بينَ العدلِ والفضلِ، لا ظُلْمَ ولا جَوْرَ، الحسنةُ بعشر أمثالِها وأكثر، والسيئةُ بمثلِها أو يعفو فيما دونَ الشركِ ويغفرُ. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

إنَّ الحكمةَ ـ **أيها الناسُ** ـ وَضْعُ الشيءِ في موضعِه اللائقِ به عَيْناً ووَصْفاً، ولقد شاء اللهُ تعالىٰ بحكمتِه أنْ يجعلَ الرسالةَ العظمىٰ المُتضمنةَ للدينِ الأكملِ والهَدْيِ الأقومِ في محمد بن عبدِ الله الهاشميِّ القرشيِّ، الذي أكملَه اللهُ تعالىٰ خِلقةً وخُلقاً. هيأه لحمل

هذه الرسالةِ العظمىٰ، فكان أكملَ الناس خِلْقةً حيث كان جسدُه متكاملاً متناسباً حسناً جميلاً، فكان ﷺ رَبعةً من الرجالِ ليس بالطويلِ البائنِ ولا القصيرِ، بعيدَ ما بين المنكبين، رَحْبَ الصدر، ضَخْمَ الأعضاء مع تناسبِها، وكان وجهه من أحسن الوجوه، أزهرَ اللونِ مُشْرَباً بحمرة، مستديراً مع سهولةِ الخدين، وكان أكحلَ العينين أدْعَجَهما، أسبغَ الحواجبِ في غَيْرِ قَرنٍ بينهما، وكان دقيقَ الأنفِ أقْنىٰ العِرْنين، حَسَنَ الفمِ مُفَلَّجِ الأسنان برَّاقَ الثنايا، كثَّ اللحية حَسَنَها[1]، قال أنسُ ابن مالكٍ رضي الله عنه وكان ممن خدمَ النبيَّ ﷺ: توفَّاهُ اللهُ وليس في رأسِه ولِحْيته عشرون شعرةً بيضاء[2]، إنما كان شَمَطٌ عند العَنْفَقة وفي الصدغين والرأسِ يسيراً، وكان له شعرٌ يبلغُ شحمةَ أُذنَيهِ أحياناً، وأحياناً إلىٰ مَنْكِبيه كان يُسدِلُه ثم عَدَلَ إلىٰ تفريقه علىٰ جانبي الرأس.

هذه صفاتُه الخلقيةُ أما صفاتُه الخُلقيةُ فكان أكملَ الناس خُلُقاً في جميعِ محاسن الأخلاق، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ففي كَرَمِ المالِ كان ﷺ أكرمَ الناسَ يعطي عطاءَ

---

(١) انظر «الشفا» للقاضي عياض، ص١٠٠ وما بعدها، فصل في صفاته الخلقية ﷺ، وص٢٠٠-٢٠٧ فصل في حديث هند بن أبي هالة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما في شمائله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

لا تبلغه الملوك، وكان عطاؤُه للهِ تعالىٰ وفي سبيلِه بمقتضىٰ شرعِه، سأله رجلٌ فأعطاه النبيُّ ﷺ غَنَماً بين جبلين تأليفاً علىٰ الإسلام، فرجع إلىٰ قومِه فقال: يا قوم أَسْلِمُوا فإنَّ محمداً يُعْطِي عطاءَ مَنْ لا يخشىٰ فاقةً[1]، قال جابرُ بن عبدِ الله رضي الله عنهما: ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً فقال: لا[2]، وتعلّقت به الأعرابُ يسألونه أنْ يقسمَ بينَهم في رجوعِه من غزوةِ حنينٍ، فقال ﷺ: **«لو كان لي عَدَدُ هذه العِضاه نَعَماً، أي عَدَدَ هذه الأشجار إبلاً لقسمتُه بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جَباناً»**[3] وكان يؤثرُ علىٰ نفسِه فيعطي العطاءَ، ويمضي الشهرُ والشهرانِ لا يُوقدُ في بيتِه نارٌ[4]، أُهْدِيَتْ إليه شَمْلةٌ فلَبِسَها وهو محتاجٌ إليها فسألَه رجلٌ فأعطاه إياها فلامه الناسُ، وقالوا: كان محتاجاً إليها وقد عَلِمْتَ أنه لا يردُّ سائلاً، فقال: إنما سألتُه لتكونَ كَفَنِي[5]. وكان كرمُه ﷺ في محلِّه يُنفِقُ المالَ للهِ تعالىٰ إما في سبيلِ الله أو لفقيرٍ أو محتاجٍ أو تأليفاً علىٰ الإسلام أو تشريعاً للأمة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم.

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢) (٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه أحمد ٥/٣٣٣-٣٣٤، والبخاري (١٢٧٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

وأما كرمُه النفسيُّ وجودُه بنفسِه فقد كان ﷺ أشجعَ الناس وأمضاهم عزماً وإقداماً، كان الناسُ يفرون وهو ثابتٌ، قال العباسُ ابنُ عبد المطلب رضي الله عنهما لما التقىٰ المسلمون والكفارُ في غزوة حُنَينٍ وولَّىٰ المسلمون مدبرين، طَفِقَ رسولُ الله ﷺ يَرْكُضُ ببغلته نحو الكفار وأنا آخذٌ بلجامِها أكُفُّها إرادة أنْ لا تسرعَ ورسولُ الله ﷺ يقول حينئذ: «**أنا النبيُّ لا كَذِبَ أنا ابنُ عبدِ المطلب**»(١)، وقال عليٌّ رضي الله عنه: كنا إذا اشتدَّ البأسُ واحمَرَّتِ الحَدَقُ نتقي برسولِ الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلىٰ العدوِّ منه(٢)، وقال أنسُ بنُ مالكٍ رضي اللهُ عنه: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس وأجودَ الناسِ وأشجعَ الناس، لقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ليلةً فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوتِ فتلقّاهم رسولُ الله ﷺ راجعاً قد سَبَقَهم إلىٰ الصوت، واستبرأ الخبرَ علىٰ فَرَسٍ لأبي طلحةَ عُرْيٍ والسيفُ في عُنُقِه، وهو يقول: «**لن تُرَاعُوا**»(٣) ومع هذه الشجاعةِ العظيمةِ كان لطيفاً رحيماً، فلم يكنْ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يَجْزِي بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويصفحُ(٤)، قال أنسٌ رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ١/١٥٦، وأورده القاضي عياض في «الشفا» ص١٥٨ (٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عنه: خدمت النبيَّ ﷺ عشْرَ سنين فما قال لي أُفٍّ قطُّ ولا لشيءٍ صنعته لم صَنَعْتَه؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟[١] وكان ﷺ يُمازحُ أصحابَه ويُخالِطُهم ويُحادِثُهم ويُداعِبُ صِبيانَهم ويَضَعُهم في حِجْرِه، وربما بالَ الصبيُّ في حِجْرِه[٢] فلا يُعَنِّفُ ولا يَغْضَبُ، وكان يُجِيبُ دعوتَهم، دعوةَ الحُرِّ والعبدِ والغنيِّ والفقيرِ، ويعودُ المَرْضَىٰ في أقصىٰ المدينة، ويقبلُ عُذْرَ المعتذرِ[٣]، وكان يسمعُ بكاءَ الصبيِّ فيسرعُ في الصلاةِ مخافةَ أنْ تُفتتن أمُّه[٤]، وكان يحمل ابنةَ بنتِهِ وهو يصلِّي بالناس إذا قام حمَلَها وإذا سجدَ وضعَها[٥]، وجاء الحسنُ والحسينُ وهما ابنا بنتِه وهو يخطب الناسَ فجعلا يمشيان ويعثُران، فنزل النبيُّ ﷺ من المنبر فحملهما حتىٰ وضعهما بين يديه ثم قال: صدقَ اللهُ ورسولُه ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ [التغابن: ١٥]، نظرت إلىٰ هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبرْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر البخاري (٢٢٢)، ومسلم (٢٨٦) حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر كتاب «الشفا» للقاضي عياض ص١٦٤، فصل في حسن عشرته وأدبه ﷺ.

(٤) انظر البخاري (٧٠٨)، ومسلم (٤٧٠) حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) انظر البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣) حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

حتىٰ قطعتُ حديثي ورفعتهما[١]، قال الحسينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما: سألت أبي عن سيرةِ النبيِّ ﷺ في جُلسائِه، فقال: كان دائمَ البِشْرِ، سَهْلَ الخُلُقِ؛ لَيِّنَ الجانب؛ يتغافلُ عما لا يَشْتَهي؛ ولا يُؤْيِسُ راجيَه، لا يتكلمُ إلا فيما رجَا ثوابَه، وإذا تكلم أطرقَ جلساؤُه كأنما علىٰ رؤوسِهم الطيرُ، وإذا سكتَ تكلموا لا يتنازعون عندَه الحديثَ، ومَنْ تكلم عنده أنصتوا له حتىٰ يفرغَ، وكان يصبرُ علىٰ جَفْوةِ الغريبِ في مَنْطِقه ومسألتِه، ولا يقطعُ علىٰ أحدٍ حديثَه حتىٰ يتجوزه[٢].

وكان ﷺ أزهدَ الناس في الدنيا وأرغبَهم في الآخرة، خيّره اللهُ تعالىٰ بين أن يكونَ ملكاً نبياً أو عبداً نبياً، فاختار أنْ يكون عبداً نبياً[٣]. قال أنسٌ: دخلت علىٰ رسولِ الله ﷺ وهو علىٰ سريرٍ مرمولٍ بشريط وتحت رأسه وسادةٌ من أَدمٍ حشوُها لِيفٌ، ودخل عمرُ وناسٌ من الصحابة فانحرف النبيُّ ﷺ فرأىٰ عمرُ أثر الشريطَ في جنبِه فبكَىٰ، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما يُبكيك يا عمرُ**» قال: ومالي لا أبكي وكِسْرىٰ وقَيْصَرُ يعيثان فيما يعيثان فيه من الدنيا وأنت علىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٧٤) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) انظر «الشفا» للقاضي عياض، ص٢٠٦. فصل في حديث هند بن أبي هالة وعلي بن أبي طالب في شمائله ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ٢٣١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحال الذي أرىٰ فقال: «يا عمرُ أما تَرْضَىٰ أنْ تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرةُ» قال: بلىٰ قال: «هو كذلك»[١].

هذه أيها المؤمنين دُرَرٌ من أخلاقِ النبيِّ ﷺ فاتخذوها نِبْراساً لكم تأتمون بها وتأخذون وتسيرون عليها وتهتدون، فإنَّ اللهَ تعالىٰ جعل نبيَّه علىٰ مكارم الأخلاق وأمرنا بالاقتداء به، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

رزقني الله وإياكم محبةَ هذا النبيِّ الكريم واتباعه.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٦٣)، وأحمد في «المسند» ١/١٣٩-١٤٠ من حديث أنس رضي الله عنه.

من صفات النبيّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أظهر صدقَ محمدٍ ﷺ بما أيَّدَه به من الآيات فأعطاه ما علىٰ مِثْلِه يُؤْمِنُ البشرُ من الأمور الكونية والتشريعات، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الرحمٰنُ الرحيمُ، ربُّ الأرض والسمٰوات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المفضل علىٰ جميع المخلوقات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ من جميع الأوقات وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ بحكمتِه ورحمتِه لم يبعثْ نبياً إلا أعطاه من الآياتِ ما علىٰ مثلِه يُؤمنُ البشرُ، وذلك من رحمته وحكمته، فإنَّ من رحمتِه لما أرسل الرُّسلَ وكان الخَلْقُ لا يمكنُ أنْ ينقادوا إلا بدليلٍ وبُرهانٍ، رحِمَ اللهُ الخَلْقَ فأعطىٰ الرسلَ آياتٍ تدل علىٰ صدقِهم وصحةِ ما جاؤوا به وهذا أيضاً من حكمةِ الله تعالىٰ، لأنه لو لم يكنْ للرسلِ من الآيات ما يكون دليلاً علىٰ صدقِهم لكان للناس عُذرٌ في رَدِّ ما جاؤوا به ولأمكنَ كلُّ كاذبٍ أنْ يَدّعِيَ أنه رسولُ الله، ولكنَّ اللهَ تعالىٰ قطعَ الحُجةَ وأبانَ الحكمةَ وأسبغَ الرحمةَ بما أيد رسلَه به من الآيات، وكان للنبيِّ ﷺ من هذه الآيات أكملُها وأعلاها وأقنعُها بالدليل وأبقاها، فكان آيتُه الكبرىٰ هذا القرآنُ العظيمُ، الذي فيه خبرُ ما قبلَكم ونبأُ

ما بعدَكم وحُكْمُ ما بينَكم، وهو الآيةُ الباقيةُ التي يلمسها المسلمون بأيديهم ويشاهدونها بأعينهم ويسمعونها بآذانهم ويدركونها في كل وقت وحين، ألا وإنَّ من آيات النبيّ ﷺ ما جَبَله اللهُ عليه من مكارمِ الأخلاق ومحاسِن الأعمال، فكان قائماً بعبادةِ ربِّه علىٰ الكمال، كان يقوم أدنىٰ مِن ثلثي الليلِ ونصفَه وثلثَه حتّىٰ تتفطر قدماه، فيقال له: كيف ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[١] وكان إذا سجدَ يُسمع لصدرِه أزيزٌ كأزَيزِ المِرْجَلِ من البكاء من خشية الله[٢]، وكان ﷺ أجودَ الناس فما سُئل شيئاً قَطُّ، فقال: لا[٣]، وسأله رجل غنماً بين جبلين فأعطاه، فذهب الرجل إلىٰ قومه، فقال: يا قوم أسلموا فإنَّ محمداً يُعطِي عطاء من لا يخافُ الفقر[٤]، ولما قَفلَ من غزوة حُنَيْنٍ، جعل الأعرابُ يسألونه حتىٰ اضطروه إلىٰ شجرة سَمُرة فخُطِفت رداءُه فوقف النبيُّ ﷺ فقال: «**أعطوني ردائي لو كان لي عددُ هذه العضاه نَعَماً لقسمتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا**

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) انظر «سنن أبي داود» (٩٠٤)، والنسائي ٣/ ١٣ حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

كذوباً ولا جباناً»[١] وكان ﷺ أشجعَ الناس، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ فانطلق الناسُ قِبَلَ الصوتِ فاستقبلهم النبيُّ ﷺ قد سَبَقَ الناسَ إلىٰ الصوتِ وهو علىٰ فَرَسٍ لأبي طلحةَ عري ليس عليه سَرْجٌ وفي عنق النبيِّ ﷺ السيفُ وهو يقول: **«لم تُراعُوا لم تُراعُوا»** وقال النبيُّ ﷺ: **«لقد وجدت الفَرَس بحراً»**[٢] وكان الفرسُ بطيئاً قبل ذلك، وكان عليه الصلاة والسلام أرحمَ الناس، قيل له: يا رسولَ الله ادْعُ علىٰ المشركين، فقال: **«إني لم أُبعَثْ لعّاناً وإنما بُعِثْتُ رحمةً»**[٣]. رواه مسلمٌ، وكان ﷺ في خدمة أهلِه، فإذا حضرت الصلاةُ خَرج إلىٰ الصلاةِ[٤]، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا أخذَ أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناسِ عنه[٥]، وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسِه في شيءٍ قَطُّ إلا أن تنتهك حُرمةُ الله فينتقِمُ لله بها، وما ضربَ شيئاً بيده ولا امرأةً ولا خادِماً إلا أن يُجاهِدَ في سبيلِ الله[٦]، وكان عليه الصلاةُ والسلامُ أوفىٰ الناس بالذِّمَم، ففي صحيحِ مسلمٍ عن حذيفة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أنه قال: ما منعني أنْ أشهدَ بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي، حُسَيْلٌ، فأخذَنا كفارُ قريشٍ، فقالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريدُه، ما نُريدُ إلا المدينة، فأخذوا منا عهدَ الله وميثاقَه لنَنصرِفَنَّ إلىٰ المدينةِ ولا نقاتلُ معه فأتينا رسولَ الله ﷺ فأخبرناه الخبرَ، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدِهم، ونستعينُ الله عليهم»[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٧) عن حذيفة بن اليمان.

معراجُ النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أنعم علينا بِنِعَمٍ لا تُحْصَىٰ، ودفع عنا من النقَمِ ما لا يُعدُّ ولا يُستَقْصىٰ، وسبحانَ الذي أسْرَىٰ بعبدِه محمدٍ ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ، وعرجَ به بصُحبةِ جبريلَ الأمينِ إلىٰ السمٰواتِ العُلَىٰ، وأراه من آياته العظيمةِ الكبرىٰ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ذو الأسماءِ الحسنىٰ، والصفاتِ الكاملةِ العليا، الذي خلقَ الأرضَ والسمواتِ العلىٰ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فضَّلَه اللهُ بالعلم والرُّشْدِ فما ضَلَّ وما غَوَىٰ، وأدبه فأحسنَ تأديبَه فما زاغَ بصرُه وما طغىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الكرماءِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرض والسماء وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من النعَمِ الكبرىٰ والآلاءِ الجسيمةِ العظمىٰ، فإنَّ نِعَمَ اللهِ علينا سابقةٌ وآلاءه متواليةٌ متتابعةٌ، لقد جعلنا اللهُ خيرَ أمةٍ أُخرجَتْ للعالمين وفضَّل نبيَّنا علىٰ سائرِ الأنبياءِ والمرسلين، واختصه بخصائصَ لم ينلْها أحدٌ من البشرِ ولن يصلَ إليها أحدٌ ممن تقدمَ أو تأخرَ، فمن خصائصِه العظيمةِ ذلك المعراجُ الذي فضّله اللهُ به قبل أنْ يهاجرَ من مكة، فبينما هو نائمٌ في الحجر في الكعبةِ أتاه آتٍ فشَقَّ ما بين ثُغْرةِ نَحْرِه إلىٰ أسفل بطنِه ثم استخرج قلبَه فملأه حِكْمةً

وإيماناً تهيئةً لما سيقومُ به، ثم أتي بدابةٍ بيضاءَ دونَ البغلِ وفوقَ الحمارِ، يقال لها البُراقُ يضعُ خَطْوَه عند منتهىٰ طرفِه، فركبه ﷺ وبصحبته جبريلُ الأمينُ حتىٰ وصلَ بيتَ المقدسِ هناك وصلّىٰ بالأنبياء إماماً، كُلُّ الأنبياءِ والمرسلين يُصلّون خَلْفَه ليتبينَ بذلك فضلُه ﷺ وشرفُه، وأنه الإمامُ المتبوعُ، ثم عَرَجَ به جبريلُ إلىٰ السماءِ الدنيا فاستفتح فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد، قيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: نَعَمْ، قيل: مرحباً به فنِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتح له فوجد فيها آدمَ فقال جبريل: هذا أبوك آدم فسلِّم عليه، فسلَّم عليه، فردَّ عليه السلامَ وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح وإذا علىٰ يمين آدمَ أرواحُ السعداءِ وعلىٰ يساره أرواحُ الأشقياءِ من ذريتِه، فإذا نظر إلىٰ اليمينِ سُرَّ وضحِكَ وإذا نظر قِبَلَ شمالِه بَكَىٰ، ثم عَرَجَ به جبريلُ إلىٰ السماءَ الثانية فاستفتح فوجد فيها يحيىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلامُ وهما ابنا الخالة كُلُّ واحدٍ منهما ابنُ خالةِ الآخَر، فقال جبريلُ: هذان يحيىٰ وعيسىٰ فسلِّم عليهما، فسلّم عليهما، فردا السلامَ وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم عَرجَ به جبريلُ إلىٰ السماءِ الثالثةِ فاستفتح كما استفتح السماء الدنيا فوجد فيها يُوسفَ عليه الصلاةُ والسلامُ فقال جبريلُ: هذا يوسف فسلِّمْ عليه، فسلَّمَ عليه، فرد السلامَ وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم عرجَ به جبريلُ عليه السلام إلىٰ السماءِ الرابعةِ فاستفتح فوجد فيها

إدريسَ ﷺ فقال جبريلُ: هذا إدريسُ فسلِّم عليه، فسلَّمَ عليه، فرد السلامَ وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم عرجَ به جبريلُ إلىٰ السماءِ الخامسةِ فاستفتح فوجد فيها هارونَ بنَ عِمرانَ أخا موسىٰ ﷺ فقال جبريلُ: هذا هارون فسلِّمْ عليه، فسلَّمَ عليه، فردّ عليه السلامَ وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرجَ به إلىٰ السماءِ السادسةِ فاستفتح فوجدَ فيها موسىٰ ﷺ فقال جبريلُ: هذا موسىٰ فسلِّم عليه فسلَّمَ عليه، فرد عليه السلامَ، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزَه بكىٰ موسىٰ فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبْكِي لأن غلاماً بُعِثَ بَعْدي يدخلُ الجنةَ مِنْ أمتِه أكثرُ مِمَّنْ يدخلُها من أمتي، فكان بكاءُ موسىٰ حزناً علىٰ ما فات أمتَه من الفضائِل لا حَسَداً لأمةِ محمدٍ ﷺ ثم عرج به إلىٰ السماءِ السابعةِ فاسفتح كما استفتح السماء الدنيا، فوجد فيها إبراهيمَ خليلَ الرحمٰن ﷺ فقال جبريلُ: هذا أبوك إبراهيم فسلِّمْ عليه، فسلَّمَ عليه فرد السلام، فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح، وإنما طاف جبريلُ برسول الله ﷺ علىٰ هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله ﷺ، وكان إبراهيمُ الخليلُ مُسْنِداً ظهرَه إلىٰ البيتِ المعمور في السماءِ السابعةِ الذي يدخله كُلَّ يومٍ سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون ويُصَلُّون ثم يَخرُجُون ولا يعودون في اليوم الثاني، يأتي غيرُهم من الملائكةِ الذين لا يُحْصيهم إلا اللهُ

ثم رُفِعَ النبيُّ ﷺ إلىٰ سدرةِ المنتهىٰ فغَشِيَها من أمر اللهِ من البهاءِ والحُسْنِ ما غَشِيَها حتىٰ لا يستطيعَ أحدُ أنْ يَصِفَها من حُسْنِها، ثم فرضَ اللهُ عليه الصلاةَ خمسينَ كُلَّ يومٍ وليلةٍ فرَضِي بذلك وسَلَّم، ثم نزل فلما مرَّ بموسىٰ قال: ما فَرضَ ربُّك علىٰ أمتِك؟ فقال: خمسينَ صلاةً في كلِّ يومٍ، قال: إنَّ أُمتَك لا تُطِيقُ ذلك وقد جربت الناسَ قبلَك وعالجت بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ فارجِعْ إلىٰ ربِّك فاسأله التخفيفَ لأمتِك، قال النبيُّ ﷺ: فرجعت فوضع عني عَشْراً وما زال يُرَاجِعُ ربَّه حتىٰ استقرت الفريضةُ علىٰ خَمْسٍ، فنادىٰ منادٍ أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادي، وفي هذه الليلةِ ليلةِ المعراج أُدْخِلَ النبيُّ ﷺ الجنةَ فإذا فيها قِبَابٌ اللؤلؤ وإذا ترابها المِسْكُ، ثم نزلَ رسولُ الله ﷺ حتىٰ أتىٰ مكةَ بغلس وصلىٰ فيها الصبحَ فلما أصبحَ أخبَر قريشاً بما رأىٰ فكان في ذلك امتحانٌ لهم وزيادةٌ في الطغيان والتكذيب وقالوا: كيف تَزْعُم يا محمدُ إنك أتيتَ بيتَ المقدس ورجعتَ في ليلةٍ، ونحن نَضْرِبُ إليه أكباد الإبل شهراً في الذهابِ وشَهْراً في الرجوع، فصِفْ لنا بيتَ المقدس، فجعل النبيُّ ﷺ يصفُه لهم حيث جَلّاه اللهُ له فجعل ينظرُ إليه وينعَتُه لهم فبهتوا وقالوا: أما الوصفُ فقد أصابَ، وجاء الناسُ إلىٰ أبي بكرٍ، فقالوا: إنَّ صاحبَك يقول كذا وكذا، فقال: إنْ كان قالَه فقد صَدَقَ، ثم جاءَه وحوله المشركون يحدثُهم فكلما قال رسولُ اللهِ ﷺ شيئاً قال أبو بكر: صَدَقْتَ فسُمِّي بالصديقِ من أجْلِ ذلك رضي الله عنه

وأرضاه[١]، وقد أشار اللهُ تعالىٰ إلىٰ الإسراء في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وإلىٰ المعراج في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١-١٨] فاعتبروا أيها المؤمنون بهذه الآياتِ العظيمةِ واشكروا اللهَ علىٰ هذه النعمِ الجسيمةِ، واسألوه أنْ يُثبتكم علىٰ الإيمانِ إلىٰ المماتِ، وأنْ يحشرَهم في زُمرةِ أوليائِه وحزبِه فإن حِزْبَ اللهِ هم المفلحون.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/٦-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء، فقد أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

المعراج

الحمدُ لله الذي مَنَّ علينا بنعمٍ لا تُعدُّ ولا تُحصَىٰ وسبحانَ الذي أسرىٰ بعبدِه ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو الأسماءِ الحسنىٰ والصفاتِ الكاملةِ العليا، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فضّله ربُّه بالعلمِ والرشدِ، فما ضَلَّ وما غَوَىٰ، وقد أدّبه ربُّه فأحسنَ تأديبه، فما زاغ بصرُه حين عُرِجَ به إلىٰ السمٰواتِ وما طغىٰ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الشرفاءِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المعاد والرُجْعَىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروا نعمتَه، أنْ جعلكم خيرَ أمةٍ من الأنام، وفضَّلَ نبيَّنا علىٰ سائرِ الأنبياءِ الكرام، واختصه بالعروجِ إلىٰ السمٰوات العُلىٰ، حتّىٰ بلغَ مستوىً سَمِعَ فيه صَريفَ الأقلام، فبينما هو ﷺ نائمٌ في الحِجْرِ أتاه آتٍ فشَقَّ ما بين ثُغرةِ نحرِه إلىٰ أسفلِ بطنِه ثم استخرجَ قلبَه فملأه حِكمةً وإيماناً، ثم أتي بدابةٍ بيضاءَ دونَ البغلِ وفوقَ الحمارِ يقال لها البُراقُ، يضعُ خَطْوَه عند مُنتهىٰ طرفه فركبه ﷺ بصَحْبة جبريلَ عليه السلام، فلما وصل بيتَ المقدس نزل هناك وصلّىٰ ثم أتي بإناءٍ من لبنٍ وإناءٍ من خَمْرٍ، فاختار اللبنَ فقال جبريلَ: أصبتَ الفطرةَ وقد أُتي ﷺ بإناءٍ من خمرٍ وإناء من لبنٍ وإناء من عسلٍ عند سدرةِ المنتهىٰ أيضاً فأخذ

اللبنَ، فقال جبريلُ: هي الفطرةُ أنت عليها وأُمَّتُك، ثم عرجَ به جبريلُ حتىٰ وصلَ إلىٰ السماءِ الدنيا فاستفتحَ، فقيل: مرحباً به فنِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتِح فإذا فيها آدمُ، فقال جبريلُ: هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه فردّ السلامَ، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح، ثم صعد به إلىٰ السماءِ الثانيةِ فاستفتحَ، ففُتِحَ فإذا فيها يحيىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاةُ والسلام، وهما ابنا الخالةِ، فقال جبريلُ: هذان يحيىٰ وعيسىٰ فسلِّمْ عليهما، فسلَّمتُ عليهما فردَّا السلامَ، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم صُعد به إلىٰ السماء الثالثة فاستفتح، ففُتح له فإذا فيها يوسفُ عليه الصلاة والسلام، فقال جبريلُ: هذا يوسفُ فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه فردّ السلامَ، وقال: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالح، ثم صُعد به إلىٰ السماء الرابعةِ فاستفتح، ففتح له فإذا فيها إدريسُ عليه الصلاة والسلام، فقال جبريلُ: هذا إدريسُ فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه فردّ السلامَ، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم صُعد به إلىٰ السماء الخامسةِ فاستفتح، ففُتح له فإذا فيها هارون، فقال جبريلُ: هذا هارون فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فرد السلامَ، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح ، ثم صُعد به إلىٰ السماء السادسة فاستفتح ففتح له فإذا فيها موسىٰ عليه الصلاة والسلام، فقال جبريلُ: هذا موسىٰ فسلم عليه فسلمتُ عليه فردّ السلامَ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح فلما تَجاوزَه بكىٰ موسىٰ،

فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنةَ من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم صُعد به إلىٰ السماء السابعة فاستفتح، ففُتح له فإذا فيها إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام، فقال جبريلُ: هذا أبوك فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فردّ السلامَ، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلىٰ البيتِ المعمورِ، الذي يدخله كلَّ يومٍ سعبون ألفَ مَلَكٍ يتعبدون فيه ويطوفون ثم يخرجون ولا يرجعون إليه ويأتي غيرُهم، ثم رفع إلىٰ سِدْرةِ المنتهىٰ، فلما غَشِيَها من أمرِ الله ما غَشِيَها تغيرتْ فما أحَدٌ يستطيع أن يصفَها من حُسْنها، ورأىٰ هنالك جبريلَ في الصورة التي خُلِقَ عليها وله ستُمائة جناحٍ كُلُّ جناحٍ منها يسد الأُفُقَ، ثم فرضَ اللهُ عليه الصلاةَ خمسينَ صلاةً في اليوم والليلة، فاستسلم ﷺ لذلك ورضيَ ثم نزل فلما مرَّ بموسىٰ عليه الصلاة والسلام، قال له: ما فرضَ الله علىٰ أمتك؟ قال: خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ، قال موسىٰ: إنَّ أمتك لا تُطِيقُ ذلك وإني قد جرّبت الناسَ من قَبْلِك وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجع إلىٰ ربِّك فاسأله التخفيفَ لأمتك، فلم يزل يرجع ﷺ بين ربِّه وبين موسىٰ فوضع اللهُ عنه عَشْراً ثم عَشْراً ثم عَشْراً ثم عَشْراً ثم خَمْساً حتىٰ قال الله: يا محمدُ هن خمسُ صلواتٍ كُلَّ يوم وليلة، لكلِّ صلاة عَشْرٌ، فذلك خمسون صلاة فلما رجعتُ إلىٰ موسىٰ قال: إنَّ أمتك لا تستطيع ذلك، ارجع إلىٰ ربِّك فاسأله

التخفيف لأمتك، فقلت: قد سألت ربِّي حتىٰ استَحْيَيْتُ ولكن أرضىٰ وأُسَلِّم فنفذت، فنادىٰ منادٍ قد أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادي، وقد دخلَ ﷺ الجنَّة في تلك الليلة، فإذا فيها قِبابُ اللؤلؤ وإذا تُرابُها المِسْكُ، ثم نزل إلىٰ بيت المقدس وقد حانت الصلاة فصلىٰ بالأنبياء إماماً ثم عاد علىٰ البراق إلىٰ مكة بغلس[١]، صلوات الله وسلامه عليه فسبحان مَن رفع هذا النبيَّ الكريمَ حتّىٰ بلَغَ ما لم يصل إليه أحدٌ من العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/٦-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء، فقد أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

الفرع الثالث

غزوات النَّبي صلى الله عليه وسلم

غزوة بدر

الحمدُ للهِ قاهرِ المتجبِّرين، ومُذِلِّ المتكبرين، وناصرِ حِزْبِه وإنْ كانوا أذلةً قليلين. وأشهدُ أن لا إِلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فضله اللهُ وأمتَه علىٰ العالمين. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه أجمعين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أولاكم في هذا الشهر المبارك وأعطاكم. فقد تفضَّلَ عليكم فيه بخيراتٍ لا تزالُ مستمرةً علىٰ الدوامِ كما مَنَحَ فيه نبيَّنا ﷺ نصراً عزيزاً، وفتحاً مبيناً، ففي هذا الشهرِ الكريمِ نصر اللهُ المسلمين ببدرٍ، وأذلَّ كفارَ قريشٍ بقَتْلِ صناديدِهم وزُعَمائِهم. وفي هذا الشَهرِ دخل النبيُّ ﷺ مكةَ فاتحاً ظافراً منصوراً، بعد أنْ خرج منها خائفاً مختفياً مطلوباً.

فقد خرج النبيُّ ﷺ إلىٰ بَدْرٍ لثلاثٍ مضين من هذا الشهرِ في السنة الثانية في عددٍ قليلٍ ثلاثمائة وبضعة عشرَ رجلاً قاصداً العيرَ التي رجعَ فيها أبو سفيان من الشامِ، ليس معه ﷺ من الخيل إلا فَرَسانِ، ولا من الإبل إلا سبعون بَعِيراً يَعْتَقِبُ الرجلان والثلاثة علىٰ البعير. فلما سَمِعَ بذلك أبو سفيان بَعَثَ مَنْ يستصرخُ المشركين بمكةَ.

فخرجت قريشٌ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. وكما قال النبيُّ ﷺ: «خرجَتْ بفخرِها وخُيَلائِها

تحادَّ اللهَ وتُكَذِّبُ رسولَه»(١). ولم يتخلف من أشرافِهم سوىٰ أبي لهب. فلما بلغ النبيَّ ﷺ خروجُ قريشٍ استشارَ أصحابهَ فتكلم المهاجرون وأَحْسَنُوا، ثم استشارهم فتكلم المهاجرون أيضاً، ثم استشارهم ثالثاً، ففهمت الأنصارُ مَنْ يعنيهم لأنهم بايعوه علىٰ أن يَحْمُوه في ديارهم فقال سعدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي اللهُ عنه: لعلَّك تَخْشَىٰ أنْ تكونَ الأنصارُ تَرَىٰ حقاً عليها ألا تنصُرك إلا في ديارِهم، وإني أُجِيبُ عن الأنصارِ، فَسِرْ بنا حيثُ شِئْتَ وخُذْ من أموالِنا ما شِئْتَ وأَعْطِنَا ما شِئْتَ، وما أَخَذْتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تَرَكْتَ، وأَمْرُنا تَبَعٌ لأَمْرِك، فواللهِ لو خُضْتَ بنا هذا البحرَ لخُضْناه معَك، وقال المقدادُ رضي الله عنه: لا نقول كما قالت بنو إسرائيلَ لموسىٰ اذهب أنت وربُّك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينِك وعن شمالِك، ومِنْ بينِ يَدَيْكَ ومِنْ خَلْفِك.

فَسُرَّ النبيُّ ﷺ، وأَشْرَقَ وَجْهُه، وقال: أَبْشِرُوا فقد وعَدَني اللهُ إحدىٰ الطائفتين يعني العِيرَ أو قريشاً، وإني قد رأيتُ مَصَارِعَ القومِ، فالتقىٰ المسلمون بالكفار عند ذلك علىٰ غيرِ ميعادٍ، وكان عددُ الكفارِ ما بينَ الألف والتِسعمائةِ، واستنصر المسلمون ربَّهم واستغاثوا به ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، فأمدّ الله

(١) أخرجه بنحوه ابن جرير الطبري في «التفسير» ٦/٢٦٣ (١٦١٩٤) [الأنفال: ٤٧].

المسلمين بألف من الملائكة مردفين فكانت تُقاتل مع المؤمنين. ويُرىٰ المشركُ ساقطاً من غير أنْ يقتلَه أحدٌ من الجيش. وأخذ النبيُّ ﷺ مِلْءَ كَفِّه من الحَصَىٰ، فرمَىٰ بها وجوهَ القومِ، فلم تتركْ واحداً منهم إلا ملأت عينيه فشُغِلُوا بالترابِ في أعينِهم.

وانتهت الوقعةُ بنصر المؤمنين وتأييدِهم، وخَذْلِ الكفارِ وأَسْرِهم، وقَتْلِ صناديدِهم. وما زال النبيُّ ﷺ يجاهدُ الكفارَ بأمرِ ربِّه حتىٰ كان الفتحُ الأعظمُ الذي استنقذَ اللهُ به أُمَّ القرىٰ، وقبلة المسلمين من أيدي الكفار المعتدين. ففتح النبيُّ ﷺ مكةَ في التاسع عشرَ من رمضانَ، أو في العشرين منه يومَ الجمعة، في السنة الثامنة من الهجرة وكسَّرَ الأصنامَ ولما ضرب الإسلامُ بأطنابه في بيتِ الله، ابتهج الناسُ لذلك ابتهاجاً، ودخلوا في دين الله أفواجاً، وقد نعىٰ اللهُ نَفْسَ نبيِّه إليه، إذا جاء الفتح. فقال تعالىٰ: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

اللهم إنا نسألكَ أنْ تنصرَنا علىٰ أعدائنا كما نصرت نبيَّنا، اللهم إنهم كانوا يَتَداعَوْنَ علينا يريدون منا هَدْمَ دِينِنا، واستعباد رِقَابِنا واستنفادِ مصالحنا. اللهم فلا تُسَلِّطْهم علينا بذنوبنا. اللهم وانصرْنا عليهم برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰواتِ وما في الأرضِ، وله الحمدُ في الآخرة، وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابه، الذين جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، فما ضعُفُوا وما استكانوا، واللهُ يحبُّ الصابرين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتأملوا ما له من الحكمةِ العليا، في تقديرِه وتدبيرِه. وما للنبيِّ ﷺ وأصحابه من بَلَاءٍ حَسَنٍ في نصرةِ دِينهِ. ففي هذا الشهرِ من السنةِ الثالثةِ الهجريةِ تألَّبَ المشركون علىٰ النبيِّ ﷺ وأصحابِه بسبب ما أُصِيبُوا به يومَ بَدْرٍ، فجمعوا من قُريشٍ وحلفائِهم قريباً من ثلاثةِ آلاف، وخرجوا بنسائهم معهم لتأخذَهم الحميةُ دونهن فلا يَفِرُّوا. ثم أقبلوا نحوَ المدينةِ، فلما عَلِمَ بهم رسولُ الله ﷺ استشارَ أصحابَه هل يخرجُ إليهم أم يَبْقَىٰ في المدينةِ. فأشاروا عليه وألَحّوا بالخروجِ وخصوصاً الذين لم يَحضُرُوا بدراً، فخرجَ ﷺ في ألف من الصحابةِ، وكان ﷺ رأىٰ في المدينة رُؤْيا وهي أنَّ في سيفه ثُلْمَةً. ورأىٰ بَقَراً تذبح وأنه أدخل يدَه في دِرْعٍ حصينة فلما كان في الطريق انخزلَ عبد الله ابْنُ أُبَيٍّ المنافقُ، بنحو ثلثِ العَسْكَرِ، فتبِعَهم بعضُ الصحابةِ يُوَبِّخُهم ويُحضُّهم علىٰ الرجوعِ ولكنْ أَبَوْا، فمضىٰ رسولُ اللهِ ﷺ

حتىٰ وصل أُحداً، فجعل ظهرَه إليه وَعبَّأَ الناسَ للقتال، وجعل الرُّماةَ وكانوا خمسين خلف الجيشِ لئلا يُؤْتَوْا مِنْ خَلْفِهم، وقال لهم: «**لا تَبرَحُوا مكانكم، ولو رأيتم الطيرَ تتخطفُ العسكرَ**»(١). وأَعطىٰ اللواءَ مُصعبَ بْنَ عُمَيرٍ، وجعل علىٰ إحدىٰ الْمَجْنَبَتَينِ الزبيرَ بْنَ العوامِ، وعلىٰ الأخرىٰ الْمُنذِرَ بْنَ عَمْرو.

وتجهزت قريشٌ للقتالِ، وكانوا ثلاثةَ آلافٍ، ومعهم مائتا فارس. فجعلوا علىٰ مَيْمَنَتِهم خالدَ بْنَ الوليدِ، وعلىٰ الميسرةِ عِكْرمةَ بْنَ أبي جَهْلٍ. فقاتل المسلمون قتالاً شديداً، ومِنْ أبلغِهم أسدُ اللهِ وأسدُ رسوله حَمْزةُ بْنُ عبدِ المطلب عمُّ النبيِّ ﷺ، وأبو دُجَانةَ، وطلحةُ بْنُ عبيدِ اللهِ، وعليُّ بْنَ أبي طالب رضي الله عنهم، فانهزم المشركون حتىٰ انتهوا إلىٰ نسائِهم. فلما رأىٰ الرماةُ عفىٰ اللهُ عنهم هزيمةَ المشركين، تركوا مركزَهم الذي أمرهم النبيُّ ﷺ بحفظِه، وقالوا: الغنيمةَ الغنيمةَ، فذكَّرهم أميرُهم عبدُ اللهِ بْن جُبَيرٍ عَهْدَ رسولِ الله ﷺ، ولكنهم لم يظنوا أنَّ للمشركين رجعةً، فلما أخلوا مراكزَهم جاء فرسانٌ من المشركين فدخلوا منه من خَلْفِ المسلمين، فأحاطوا بهم. فاستشهدَ من المسلمين سبعون رجلاً. وخلص المشركون إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فجرحوا وجْهَه، وكَسروا رباعِيتَه اليُمنىٰ السُّفلىٰ، وهَشَمُوا البيضةَ علىٰ رَأْسِه، ورَمَوْهُ بالحجارةِ، حتىٰ وَقَعَ لِشِقِّهِ وسَقَطَ في حُفرةٍ من الحُفَرِ التي كاد بها المشركون

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

المسلمين، ونَشَبَتْ حلقتان من حِلَقِ المِغْفَرِ في وجهه، فانتزعهما أبو عبيدةَ بْنُ الجراحِ رضي الله عنه، حتىٰ سقطَتْ ثَنِيتَّاهُ من شِدَّةِ غَوْصِ الحلقتين في وَجْهِ النبيِّ ﷺ، وأدركه المشركون يريدون به ما اللهُ حائلٌ دونَه، فحال دونَه نفرٌ من المسلمين حتىٰ قُتِلُوا، وتَرَّسَ أبو دجانة رضي اللهُ عنه، بظهره علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، والنبلُ يقعُ فيه وهو لا يتحركُ، يَفْدِي النبيَّ ﷺ بنفسِه رضي الله عنه.

وصرخ الشيطانُ بأعلىٰ صوتِه أنَّ محمداً قد قُتِلَ، فمر أَنَسُ بْنُ النَضْرِ بقومٍ من المسلمين قد أَلْقَوْا ما بأيدِيهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ. قال: فما تنتظرون بالحياةِ بعده؟ قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه. ثم مر بسعدِ بْنِ مُعَاذٍ فقال: إني لأَجِدُ رِيحَ الجنةِ دونَ أُحُدٍ، ثم مضىٰ فقاتل القوم حتىٰ قُتل، فما عرفه إلا أختُه بِبَنَانِهِ، وبه بِضْعٌ وثمانون ما بينَ طعنةٍ برمحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورمية بسهم رضي الله عنه. وأراد النبيُ ﷺ أن يعلوَ صخرةً هناك فلم يستطع فجلس طلحةُ تحتها حتىٰ صعدها وصلَّىٰ بهم ﷺ جالساً.

وكان يومُ أحدٍ يومَ بلاءٍ وتمحيصٍ واختبارٍ، اختبر اللهُ به المؤمنين، وأظهرَ به المنافقين، وأكرمَ به من الصحابةِ مَنْ شاء إكرامَه بالشهادةِ، وحَظِيَ بالقُرْبِ مِنْ رَبِّ العالمين، وأنزلَ فيه ستين آيةً من سورة آل عمران من قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرة، وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي جاهدَ في اللهِ تعالىٰ من غيرِ تَوَانٍ ولا تقصيرٍ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه الذين اتبعوه ونصروه، واتبعوا النورَ الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم يرجعون، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها المسلمون**: اتقوا اللهَ تعالىٰ. واعْرِفُوا ما أبلاه سَلَفُ هذه الأمةِ من بَلَاءٍ حَسَنٍ، في نُصرْةِ هذا الدينِ وما صَبَروا عليه من الشدائدِ في إعلاءِ كلمةِ ربِّ العالمين. فإنهم جاهدوا في سبيلِ اللهِ لم يُجَاهِدُوا لعصبيةٍ، ولا لوطنيةٍ، ولا لفخرٍ وخُيَلَاءَ.

وفي هذا الشهرِ من السنةِ الثالثةِ من الهجرة، كانت غزوةُ أُحُدٍ، وهو الجبلُ الذي حولَ المدينةِ. والذي قال فيه النبيُّ ﷺ: **«أحدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ»**[1] وذلك أنَّ المشركين لما أُصِيبُوا بفادحتِهم الكبرىٰ يومَ بَدْرٍ، خرجوا ليأخذوا بالثأرِ من النبيِّ ﷺ وأصحابِه، في ثلاثةِ آلافِ رجلٍ ومعهم مائتا فَرَس مُجَنَّبَةٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

فلما عَلِم بهم رسولُ اللهِ ﷺ، استشارَ أصحابَه في الخروجِ إليهم. فخرج بنحو ألفِ رجلٍ. فلما كانوا في أثناء الطريق، انخزلَ عبدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، رأسُ المنافقين بمَنِ اتَّبعَه من أهلِ النفاقِ والريبِ، وقالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم.

فَتَعَبَّأ رسولُ اللهِ ﷺ، للقتالِ في سبعمائةِ رجلٍ فقط، ودفع اللواءَ إلىٰ مصعبِ بْنِ عُمَيرٍ رضي الله عنه، وأمر علىٰ الرماة عبدَ اللهِ ابْنَ جُبَيْرٍ. وقال: انْضَحُوا عنا الخيلَ لا يَأْتُونا مِنْ خَلْفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانَك.

فأنزل اللهُ نصرَه علىٰ المؤمنين وصَدَقَهم وعدَه، فكشفوا المشركين عن المعسكر، وكانت الهزيمةُ لا شكَّ فيها. ولكنَّ اللهَ قضَىٰ وحَكَم، ولا مُعَقِّبَ لحكمِه، وهو السميعُ العليمُ.

فإن الرماةَ لما رأَوْا هزيمةَ الكفارِ، ظَنُوا أنهم لا رجعة لهم. فتركوا مركزَهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بلزُومِه، فَكَرَّ فِرسانٌ من المشركين، ودخلوا من ثُغْرةِ الرماةِ ففاجئوا المسلمين مِنْ خَلْفِهم، واختلطوا بهم، حتىٰ وصلوا إلىٰ النبيِّ ﷺ. فجَرحُوا وجهَه، وكَسَرُوا رَبَاعِيتَه اليُمنىٰ السفلىٰ، وهَشَمُوا البيضةَ: بيضةَ السلاح علىٰ رأسِه، ونشبت حَلْقَتان من حِلَقِ المِغْفَرِ في وجهِه، فعَضَّ عليهما أبو عبيدةَ، فنزعَهما وسقطت ثنيتاه من شدة غَوْصِهما في وجْهِ النبيِّ ﷺ.

ونادىٰ الشيطانُ بأعلىٰ صوتِه: أن محمداً قد قُتِلَ. فوقع ذلك في سبعةٍ من الأنصارِ، ورجُلَيْن من المهاجرين. فقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ يردُّهم عنا وله الجنةُ»[1]، فتقدم الأنصارُ واحداً واحداً. حتىٰ قتلوا، وتَرَّسَ أبو دُجَانَةَ في ظهرِه علىٰ النبيِّ ﷺ، والنبلُ يقَعُ فيه، وهو لا يتحركُ.

واستشهد في هذه الغزوةِ سبعون رجلاً من أصحابِ النبيِّ ﷺ، ومنهم أَسَدُ اللهِ وأسدُ رسولِه: حمزةُ بْنُ عبدِ المطلب، عمُّ الرسولِ ﷺ، وسيدُ الشهداءِ. ومنهم عبدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ دُفِنَ هو وحمزةُ في قبرٍ واحدٍ، ومنهم مُصعَبُ بْنُ عُمَيرٍ رضي الله عنه، صاحبُ اللواءِ.

ومنهم سعدُ بْنُ الربيعِ رضي الله عنه، بعث إليه النبيُّ ﷺ زيدَ ابنَ ثابتٍ يقرئه السلامَ، فوجدَه في آخِرِ رَمَقٍ، وفيه سبعون ضربةً، فقيل له: إنَّ رسولَ الله ﷺ يقرأ عليك السلامَ، ويقول: كيف تَجِدُكَ؟ قال: وعلىٰ رسولِ الله ﷺ السلامُ، قل له أَجِدُ رِيحَ الجنةِ، وقل لقومي الأنصارِ: لا عُذْرَ لكم عندَ اللهِ إن خَلَصَ إلىٰ رسولِ اللهِ، وفيكم عَيْنُ تَطْرِفُ. ثم فاضت نفسُه رضي الله عنه.

ومرَّ أَنَسُ بْنُ النَضْرِ بقومٍ من المسلمين، وقد أَلْقَوا ما بأيدِيهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ اللهِ ﷺ. فقال: ما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فمُوتُوا علىٰ ما مات عليه. ثم لَقِيَ سَعْدَ بْنَ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٨٦، ومسلم (١٧٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

مُعَاذٍ، فقال: يا سعدُ إني لأجِدُ رِيحَ الجنةِ من دون أحد، فقاتلَ حتىٰ قُتِلَ. ووُجِدَ به نحوُ سبعين ضربةً[(١)].

فلما انقضت الحربُ أَشْرَفَ أبو سفيان، وكان رئيسَ المشركين يومئذٍ ثم أَسْلَمَ بعدُ، أشْرَفَ علىٰ الجَبَلِ يسألُ عن النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعُمَرَ، فلم يُجِيبُوه إهانة له واحتقاراً. فقال أبو سفيانِ لأصحابِه: أَمَّا هؤلاء فقد كُفِيتُمُوهم، فلم يملكْ عُمَرُ نفسَه أنْ قال: كَذَبْتَ يا عدوَّ اللهِ، إنَّ الذي ذَكَرْتُم أحياءٌ، قد أبقىٰ اللهُ لك ما يَسُوءُك، ثم قال أبو سفيان مفتخراً بصَنَمِه أُعْلُ هُبَلُ. فقال النبيُّ ﷺ: «**قولوا: اللهُ أعلىٰ وأَجَلُّ**». ثم قال أبو سفيان: لنا العُزَّىٰ، ولا عُزَّىٰ لكم، فقال النبيُّ ﷺ: «**قولوا اللهُ مولانا، ولا مولىٰ لكم**»[(٢)]. ثم انصرف أبو سفيان بأصحابِه.

فلما كانوا في أثناء الطريقِ، تلاوموا فيما بينَهم ليرجعوا إلىٰ النبيِّ، وأصحابِه فيستأصلُوهم. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فنادىٰ في الناس ليخرجوا إلىٰ عدوهم، وقال: «**لا يخرجْ معنا إلا مَنْ شهِدَ القتالَ في أُحُدٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) انظر «السيرة النبوية» للذهبي ١/ ٤٣٧ غزوة حمراء الأسد.

فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح والبلاء المبين، حتىٰ بلغوا حمراءِ الأسدِ علىٰ ثمانية أميال من المدينة وقال لهم الناس ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

رزقني الله وإياكم محبة النبيِّ ﷺ وأصحابه وأتباعهم ظاهراً وباطناً.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ الذي وَفَّقَ من شاء من عباده، حتىٰ جاهدَ في الله حقَّ جهاده، بمالِه ونفسِه، له الحكمةُ العليا في قولِه وفِعْلِه، فيُعِزُّ مَنْ شاء برحمتِه، ويُذِلُّ مَنْ شاء بحكمتِه. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الحمدُ كلُّه، وله الملكُ كلُّه، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي اصطفاه اللهُ وامتحنَه، فكان عندَ البلاءِ صابراً، وعلىٰ النعماءِ شاكراً لربه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصَحْبِه، وعلىٰ التابعين بإحسانٍ إلىٰ يومِ يندمُ فيه العاصِي علىٰ ذنبِه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما حصَلَ للنبيِّ ﷺ، وأصحابِه وأتباعِهم من الجهادِ.

عبادَ اللهِ: ألم يأتِكُم نبأُ ما جَرىٰ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه في نُصْرةِ هذا الدينِ والذود عنه. فلقد بَذَلُوا نفوسَهم وأموالَهم وتفكيرَهم وأوقاتَهم فيما يُقَرِّبُ إلىٰ مولاهم الكريمِ، ويحصلُ به نُصرةُ دِينهِ القويمِ. ولقد لاقوا لذلك الشدائدَ والصعابَ، وهم علىٰ ذلك صابرون، ولثوابِ ربِّهم الكريمِ ورحمتِه راجون فأَدْرَكُوا والله بذلك الحُسْنَيَيْنِ ما بين قَتْلٍ وشهادة وبقاءٍ في الدنيا وسعادةٍ.

لقد اشترىٰ اللهُ منهم أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنةَ، فباعوها مختارين مغتبطين يقاتلون في سبيلِ الله، فيَقْتُلون ويُقتلون، وأكد

اللهُ لهم الربحَ في تلك الصفقةِ الرابحةِ. فقال وهو أصدقُ القائلين: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

أيها المسلمون: ألم يبلغْكم ما حصَلَ للنبيِّ ﷺ في مثل هذا الشهر من السنة الثالثة الهجرية في غزوة أُحُدٍ، أُحُدِ الذي قال فيه النبي ﷺ. **«إنه جَبَلٌ يحبنُا ونحبهُ»**(١)، أُحُدِ الذي صعَدَ عليه النبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعُمَرُ، وعُثمانُ. فاهتز بهم الجبلُ، فقال النبيُّ ﷺ: **«اثبُتْ أُحُدُ، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان»**(٢).

كان مِنْ أَمْرِ هذه الغزوةِ أنَّ قريشاً لما أُصِيبتْ يوم بَدْرٍ بقَتْلِ عُظَمائِها، أرادت أنْ تأخذَ بالثأرِ من النبيِّ ﷺ، فجمعوا ثلاثَة آلافِ، وخرجوا يقصدون المدينةَ، فلما عَلِمَ بهم النبيُّ ﷺ استشارَ أصحابَه في الخروجِ إليهم فأشار الأكثرون عليه بالخروجِ في نحوِ ألفِ من أهلِ المدينةِ.

فاستعرضَ الجيشَ وردَّ مَنْ لا يصلحُ للغزوِ من الصغارِ، وكان من بينهم رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، وسمرة بْنُ جُنْدُبٍ. فقيل له: رافعاً يُجِيدُ الرميَ فردَّه في الجيش فبكىٰ سَمُرَةُ، وقال لزوجِ أمه: أجاز رسولُ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

الله ﷺ رافعاً وردَّني مع أني أَصْرَعُه، يعني: أَطْرَحُه. فبلغ النبيَّ ﷺ الخبرُ فأمرهما بالمصارعة، فصَرَعَه سمرة فأجازهما النبيُّ ﷺ جميعاً.

ولما كان في أثناء الطريق، رجع رأسُ المنافقين عبدُ الله بْنُ أُبَيٍّ لعنه اللهُ، بثلاثمائةٍ من أصحابه.

فلما بلغ النبيُّ ﷺ وأصحابُه أُحُداً، عَبَّأَهم رسولُ الله ﷺ أحسنَ تعبئةٍ، وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة وجمعَ الرُّماةَ علىٰ الجَبَل، وقال لهم: «**لا تَبْرَحُوا عن هذا المكان، سواءٌ ظَهَرُوا علينا أم ظَهَرْنا عليهم**»(١).

ثم عَدّل النبيُّ ﷺ صفوفَ جنودِ الرحمٰنِ، وخَطبَهم، فلما تقابلَ الجمعان وتلاقت الفئتان فئةُ المسلمين، وهم حَوَالَيْ سبعمائة. وفئةُ المشركين وهم ثلاثةُ آلافٍ أو أكثرُ، انهزمت فئةُ المشركين فتبِعَهم المسلمون، يجمعون الغنائمَ.

فلما رأىٰ ذلك الرماةُ الذين جعلهم النبيُّ ﷺ علىٰ الجَبَلِ يَحْمُونَ ظُهُورَهم، قالوا: ما لنا في الوقوفِ من حاجةٍ، ونَسُوا نَهْيَ النبيِّ ﷺ لهم من مبارحة مواقفهم فذكرهم بذلك أميرهم ولكن لم يبقَ معه إلا نفرٌ قليلٌ. فلما رأىٰ المشركون كرّوا علىٰ المسلمين من خلفهم فاختلطوا بالمسلمين وحلَّ فيهم الفشلُ. وشاع الخبرُ بأن النبيَّ ﷺ قد قُتِلَ، وقد حَمَاهُ اللهُ من ذلك، فكان حولَه جماعةٌ من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

أصحابِه يقاتلون دُونَه، منهم أبو طلحةَ نثَر سِهامه بينَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ، وقال: وَجْهِي لوجهِك فِدَاءٌ. وكان ﷺ ينظرُ إلىٰ القومِ ماذا يفعلون، فيقول أبو طلحةَ: يا نبيَّ الله بأبي أنت وأمي لا تنظرْ يُصِبْك سَهْمٌ من سهامِ القومِ، نَحْرِي دونَ نَحْرِك[1]. ومنهم سعدُ بْنُ أبي وَقَّاصٍ، وأبو دُجَانةَ، وكان مُنْحَنِياً علىٰ النبيِّ ﷺ، والنبلُ يقعُ علىٰ ظَهْرِه، فلا يتحركُ.

أيها المسلمون: في هذه الغزوةِ أُصِيبَ النبيُّ ﷺ بشدائدَ، صَبَر عليها صَبْرَ الكرامِ، وثَبَت ثَبَاتَ الجبالِ. فقد سَقَط في حُفْرةٍ مِنْ حَفْرِ الأعداءِ، حتىٰ أُغْمِيَ عليه، وخُدِشَتْ رُكْبتَاهُ، ورماه عُتْبةُ بْنُ أبي وقَّاصٍ بحَجَرٍ كَسَر رَبَاعِيتَه، وشَجَّ وجهَه ﷺ، حتىٰ دخلت حَلْقَتان من حِلَقِ المغفر في وَجْنَتِه، فعالجهما أبو عبيدةَ فما خرجتا حتىٰ انكسرت ثنيتا أبي عبيدةَ، وأكرم اللهُ بالشهادةِ عمَّه سيدَ الشهداء أسدَ اللهِ وأسد رسولِه، حمزةَ بْنَ عبدِ المطلب، وسبعينَ مِنْ أصحابِه، رضي اللهُ عنهم. ومع ذلك فكان عليه الصلاةُ والسلامُ صابراً محتسباً، لم يُثْنِه ذلك عن نَشْرِ دعوتِه إلىٰ الله والجهادِ في سبيله.

أيها المسلمون: في هذه الغزوةِ حصل للمسلمين ما حصلَ، وذلك بسبب عِصْيانِ مَنْ عَصَىٰ من الرماةِ الذين تركوا الموقفَ الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

أوقفهم النبيُّ ﷺ. معصيةٌ واحدةٌ أوجبت لهم هذه الهزيمةَ، بعد أنْ كان النصرُ في أولِ القتالِ لهم.

فكيف بنا أيها المسلمون وقد قَصَّرْنا في واجباتنا وكَثُرَ منا العصيانُ. فإنا للهِ وإنا إليه راجعون. نستغفرُ اللهَ ونتوبُ إليه، فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وارجعوا إلىٰ ربكم، واعْرِفُوا نعمةَ الله عليكم بما قيَّضه لنُصْرةِ دينه، وإعلاءِ كلمته، من أمثال هؤلاء.

واعرفوا للنبيِّ ﷺ وأصحابِه حَقَّهم بما قاموا به من جهادٍ بالمالِ والنفس، فجزاهم اللهُ عن هذه الأمةِ أفضلَ ما جَزَىٰ نبينا، وصَحْبَه.

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هٰذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، ووفَّقَ مَنْ شاء من عباده فجاهدَ في سبيلِ ربِّه بمالِه ونفسِه، فله الحكمةُ في قَدَرِه وشَرْعِه، أعزَّ مَنْ شاء وأذَلَّ مَنْ شاء ولا مُعقبَ لِحُكْمِه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في ألوهيته وربوبيتِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي جاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه وصَبر وصَابَر ابتغاءَ وَجْهِ ربِّه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنِ اهتدىٰ بهديه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ وجاهدوا في سبيله، جاهدوا أنفسَكم بِحَمْلِها علىٰ طاعةِ اللهِ واجتنابِ معصيتِه، واعرفوا ما جرىٰ لرسولِ الله ﷺ وأصحابِه من الجهادِ في سبيلِ الله، وتحمل المتاعبِ والمشاقِّ من أجل إعلاء كلمة الله تعالىٰ، فلقد غزا رسولُ اللهِ ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوةً حصل القتالُ في تسع غزواتٍ منها، وبعث ما بين بَعْثٍ وسريةٍ فوق أربعين بعثاً، كل ذلك في ظرف عَشْرِ سنواتٍ فقط، ولقد كان رسولُ اللهِ وأصحابُه يلاقون في ذلك الشدائدَ والصعابَ وهم علىٰ ذلك صابرون ولثوابِ ربِّهم ورحمتِه راجون، فأدركوا بذلك الحسينين أو إحداهما ما بين قَتْلٍ وشَهَادةٍ، وعزٍّ ونَصْرٍ وسَعَادةٍ، اشترىٰ اللهُ منهم أنفسَهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنةَ فباعوها مختارين مغتبطين، فربحت تجارتُهم وكانوا مهتدين

يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون فاستبشروا بِبَيْعِكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوزُ العظيمُ.

أيها المسلمون: إنَّ من الغزواتِ الكِبَارِ التي غزاها رسولُ الله ﷺ بنفسِه وقاتل فيها غزوةُ أُحُدٍ التي كانت في مثل هذا الشهر، شهرِ شوالٍ سنة ثلاث من الهجرة عند جبل أُحُدٍ الواقع شمالِ المدينة، والذي قال فيه رسول الله ﷺ: **«أُحُدٌ جبلٌ يحبنُا ونُحِبهُ»**[(١)]، وصعد عليه ومعه أبو بكر وعُمَرُ وعُثمانُ فاهتز بهم فقال: **«أثْبُتْ أُحدُ فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهِيدانِ»**[(٢)]. وكان سببُ هذه الغزوةِ أن مشركي قريشٍ لما أصيبوا يوم بَدْرٍ بقتل رُؤسائهم وعُظَمائِهم أرادوا أن يأخذوا بالثأر من رسولِ الله ﷺ، فخرجوا في نحو ثلاثةِ آلافٍ يقصدون المدينةَ، فاستشار النبيُّ ﷺ أصحابَه في الخروج إليهم فأشار أكثرُ الصحابةِ بالخروج، فخرج النبيُّ ﷺ في نحو ألفٍ من أهل المدينةِ، فلما كان في أثناء الطريق رجع عبدُ الله بْنُ أُبيٍّ رأسُ المنافقين بثلاثمائة من أصحابه فبقي النبيُّ ﷺ في الخُلّص من المؤمنين في سبعمائة رجلٍ فقط، وعَبَّأهم ﷺ أكملَ تعبئةٍ فجعل ظهرَه إلىٰ جَبَل أُحُدٍ ووَجْهَه إلىٰ المدينةِ وبوَّأ الرماةَ مكاناً وقال: **«لا تبرحوا عنه سواءٌ ظَهُروا علينا أم ظَهَرْنا عليهم»**[(٣)]. وجعل عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

أميراً، ثم عدَّل النبيُّ ﷺ صُفُوفَ أصحابِه للقتالِ، فلما تقابل الجمعان وتلاقت الفئتان فئةُ المسلمين وهم نحو سبعمائة وفئةُ المشركين في نحو ثلاثة آلافٍ، انهزمت فئةُ المشركين فتبعهم المسلمون وجعلوا يجمعون الغنائمَ، فلما رأىٰ الرماةُ ذلك قالوا مالنا في البقاءِ هنا من حاجةٍ، فذكَّرهم أميرُهم بقولِ النبيِّ ﷺ لا تبرحُوا عنه، فبَقِيَ معه نفرٌ قليلٌ لا يستطيعون الدفاعَ عن ظُهورِ المسلمين، فلما رأىٰ فُرْسانُ المشركين مكان الرماة قد ضَعُفَ كَرُّوا علىٰ المسلمين منه واختلطوا بهم من الخلف، وقتلوا حَامِلَ لواءِ المسلمين مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رضي الله عنه وحَلَّ فيهم الفشلُ، وشاع الخبرُ أن رسولَ اللهِ ﷺ قُتِلَ وقد عصمَه اللهُ من ذلك، فضعفت عزائمُ المسلمين وصرفهم اللهُ عن عدوِّهم وقُتِلَ منهم نحوُ سبعين رجلاً منهم سيد الشهداءِ حمزةُ بْنُ عبدِ المطلب عمُّ رسولِ الله ﷺ وأسدُ اللهِ وأسد رسوله رضي الله عنه وقف عليه النبيُّ ﷺ بعد أن اسْتُشْهِدَ وقال: **«رحمَكَ اللهُ أَيْ عمّ لقد كنتَ وَصُولاً للرحِمِ فَعُولاً للخيراتِ»**[1] ومن الشهداء في أحد أنسُ ابْنُ النضرِ عَمُّ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنهما لَقِيَ سعدَ بْنَ مُعَاذٍ فقال: يا سعدُ إني لأجد ريح الجنةِ دوُنَ أُحُدٍ، وقال حين أُشِيعَ أن النبيَّ ﷺ قد قُتِلَ: يا قومِ إنْ كان رسولُ الله ﷺ قد قُتِلَ فقاتلوا علىٰ ما قَاتل عليه محمدٌ،

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/١٣، والحاكم ٣/١٩٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللهم إني أعتذر إليك مما يقولُ هؤلاء. وأَبرَأُ إليك مما جاء به هؤلاء. ثم شدّ بسيفهِ فقاتلَ حتىٰ قُتِلَ ووُجِدَ به أكثرُ من ثمانين ضربةً وطعنةً ورميةً بِسهم ومنهم عبدُ اللهِ بْنُ عَمْرو ابْنِ عبدِ الله الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**ما زالت الملائكةُ تُظِلُّهُ بأجنحتِها حتىٰ رُفعَ**»(١).

ومنهم مُصْعَبُ بْنُ عُمَيرٍ صاحبُ اللواءِ، روىٰ البخاريُّ في صحيحِه أنَّ عبدَ الرحمٰن بْنَ عَوْفٍ رضي اللهُ عنه أُتِيَ بطعامٍ وهو صائمٌ فقال: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ هو خيرٌ مني، كُفِّنَ في بُردة إن غُطِّي رأسُه بَدَتْ رِجْلاه وإن غُطِيَ رجْلاه بدَا رأسُه، وقُتِلَ حمزةُ وهو خير مني ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسط وقد خَشِينا أن تكونَ حسَناتُنا عُجِّلَتْ لنا ثم جعَلَ يَبكِي حتىٰ برَدَ الطعامُ، وفي هذه الغزوةِ أُصِيبَ النبيُّ ﷺ في رباَعِيته وشُجَّ وجهُه حتىٰ دخلت حَلْقَتان من حِلَقِ المِغْفَرِ في وَجْنَتِهِ فعالجهما أبو عبيدةَ فما خرجتا حتىٰ انكسرت ثنيتا أبي عبيدةَ، وأشرف أبو سفيان وكان يومئذ مشركاً، فقال: أفي القوم محمدٌ، فقال النبيُّ ﷺ لا تُجِيبُوه، فقال: أفي القومِ ابْنُ أبي قُحافَةَ يعني أبا بكر، فقال: لا تُجِيبوه، فقال: أفي القومِ ابْنُ الخطابِ، يعني عُمَرَ، فلم يُجِيبُوه، فقال: إنَّ هؤلاءِ قُتِلُوا ولو كانوا أحياءً لأجابُوا فلم يَمْلِكْ عُمَرُ نفسَه فقال: كَذَبْتَ يا عدوَّ اللهِ أَبقَىٰ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٤) و(١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

عليك ما يحزنك فقال أبو سفيانَ: أُعْلُ هُبَلُ: يتعاظم بصنمه فقال النبيُّ ﷺ: «أَجِيبوه، قالوا: ما نقول، قال: «قولوا: اللهُ أعلىٰ وأجلُّ» قال أبو سفيان: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم، فقال النبيُ ﷺ: أَجيبوه. قالوا: ما نقول، قال: «قولوا اللهُ مولانا ولا مولىٰ لكم»، فقال أبو سفيانَ: يومٌ بيومِ بَدْرٍ والحربُ سِجَالٌ[(١)]، فقال عُمَرُ رضي الله عنه: لا سَوَاءَ قَتْلانا في الجنةِ وقَتْلاكم في النارِ[(٢)].

فاعتبروا أيها المسلمون من هذه الغزوةِ ماذا حصل فيها، بسبب معصيةٍ واحدة من الرماة، حيث خالفوا أمْرَ النبيِّ ﷺ وفارقوا مكانَهم، فماذا يحصل إذا كانت المعاصِي أكثرَ من الطاعات في هذا الزمن، انظروا إلىٰ حال المسلمين اليوم، يهددهم شرذمة قليلةٌ من اليهودِ تَغْزُوهم في عُقْرِ ديارِهم وتحتلُّها فلا تخرجُ منها، لأن المسلمين أضاعوا دِينَهم فأُضِيعُوا، ونَسُوا اللهَ فَنُسُوا، ولو صدقُوا اللهَ ورجعوا إلـىٰ دينهم حقاً لكان خيراً لهم. وفي غزوةِ أُحُدٍ أنزل اللهُ تسعاً وخمسين آية من آل عمران قال اللهُ فيها: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقـال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) «فتح الباري» ٧/ ٤٤٠ (٤٠٤٣).

صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

شهداء أحد

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرةِ وهو الحكيمُ الخبيرُ. ونشهدُ أنْ لا إِلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، الذين جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، فما ضَعُفُوا وما استكانُوا، والله يُحِبُّ الصابرين.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما له من الحكمةِ البالغةِ في تقديرِه وتدبيرِه، ثم اعْرِفُوا ما للنبيِّ ﷺ وأصحابه من بلاء حَسَنٍ في نصرةِ دينِه. ففي هذا الشهرِ من السنةِ الثالثةِ الهجريةِ، خرج المسلمون مع نبيِّهم ﷺ من ديارِهم بأموالِهم وأنفسِهم. يريدون وجْهَ اللهِ، يريدون أنْ ينصروا دينَ اللهِ، يريدون أن يُطفِئُوا نارَ المشركين، ويُذِلُّوا أعداءَ اللهِ. خرجوا مجاهدين لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العزيزةَ العليا، وتكونَ كلمةُ الذين كفروا هي الذليلةَ السُّفلىٰ. فالتقَوْا بأعدائِهم المشركين من العربِ في أُحُدٍ، وهنالك كان الابتلاءُ والامتحانُ، وكان التمييزُ بينَ أهلِ النفاقِ وأهلِ الإيمانِ. وكان التمحيصُ والاستشهادُ والفضلُ والرضوانُ.

ففي هذه الغزوةِ استشهد سبعون رجلاً من المؤمنين من الذين قال اللهُ فيهم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟

بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٤].

في هذه الغزوة استشهد أسدُ اللهِ، وأسدُ رسولِه سيدُ الشهداءِ حمزةُ بْنُ عبدِ المطلب، عمُّ النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعةِ. في هذه الغزوةِ استشهد عبدُ اللهِ بْنُ حَرَامٍ، أبو جابر بْنِ عبدِ الله رضي اللهُ عنهما، والذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**ما زالتِ الملائكةُ تُظِلُّه بأجنحتِها حتىٰ رفع**»(١) في هذه الغزوة استشهد حنظلةُ بْنُ أبي عَامِرٍ غَسِيلِ الملائكة، فإنه رضي الله عنه لما سمع بخروج الناس خرج وهو جُنُبٌ ولم يغتسلْ حتىٰ قُتِلَ. فأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الملائكةَ تُغسِّلُه، في هذه الغزوةِ استشهد سعدُ بْنُ الربيعِ رضي الله عنه الذي آخىٰ رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ عبدِ الرحمٰن بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما، فأمر النبيُّ ﷺ مَنْ يطلبُه بينَ القَتْلَىٰ، فوُجِدَ في آخِرِ رَمَقٍ، وفيه سبعون ضربةً ما بين طعنةٍ برُمْحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورميةٍ بسهمٍ. فقيل له: يا سعدُ إن رسولَ اللهِ ﷺ يقرأ عليك السلامَ، يقول لك: أخبرني كيف تَجِدُك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٤) و(١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فقال: وعلىٰ رسولِ اللهِ الصلاةُ والسلامُ، قل له: يا رسولَ الله أَجِدُ رِيحَ الجنةِ، وقُلْ لقومي الأنصارِ لا عُذْرَ لكم عندِ الله إنْ خَلَصَ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، وفيكم عينٌ تَطْرِفُ. ثم فاضت نفسُه رضي الله عنه.

وفي هذه الوقعةِ استشهد أُنسُ بْنُ النَضْرِ عمُّ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنهما الذي لم ينهزم حين انهزمَ الناسُ، بل قال: اللهم إني أَعْتَذِرُ إليك مما صنعَ هؤلاءِ، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما صنَع هؤلاءِ، يعني المشركين، ثم تقدمَ إلىٰ القتالِ فلقيه سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فقال: إلىٰ أينَ يا أبا عَمْرو؟ فقال أنسٌ: واهاً لريحِ الجنةِ، إني أجدُه دونَ أُحُدٍ، ثم مضىٰ فقاتل القومَ حتىٰ قُتِلَ، فما عُرف حتىٰ عرفته أختُه بِبَنَانِهِ وفيه بِضْعٌ وثمانون ما بين طعنةٍ برمحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورميةٍ بسهمٍ. في هذه الغزوة استشهد أبو سَعْد بْنِ خيثمة، وكان ابنه سَعْدٌ قد استشهد في بَدْرٍ، فجاء أبوه إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ قد رأيت ابني البارحةَ في النوم في أَحْسنِ صُورةٍ يَسْرَحُ في ثِمَارِ الجنةِ وأنهارِها، يقول: الْحَقْ بنا تُرافِقْنا في الجنةِ، فقد وجدت واللهِ ما وعَدَنِي ربِّي حَقاً، وإني واللهِ يا رسولَ اللهِ قد أصبحت مُشْتَاقاً إلىٰ مرافقتِهِ في الجنةِ، وقد كبِرتْ سِنيِّ ورَقَّ عَظْمِي، وأحببتُ لقاءَ ربِّي فادْعُ اللهَ يا رسولَ اللهِ أنْ يرزقَني الشهادةَ، ومرافقةَ سعدٍ في الجنة. فدعا له النبيُّ ﷺ، فقُتِلَ شهيداً رضي الله عنه.

وفي هذه الغزوة كان بعضُ الصحابةِ رضي الله عنهم يَفْدِي النبيَّ ﷺ بنفسِه. فكان أبو طلحةَ رضي اللهُ عنه بين يَدَيِ النبيِّ ﷺ، يَتَرَّسُ

دونَه ويَرْمِي، فإذا أشرفَ رسولُ اللهِ ﷺ ينظرُ إلىٰ القوم، قال له أبو طلحةُ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، لا تُشْرِفْ يُصِبْكَ سهمٌ من سِهامِ القومِ، نَحْرِي دونَ نَحْرِكَ[1]، وتَرَّسَ أبو دُجَانةَ دونَ النبيِّ ﷺ، بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه، حتىٰ كثر فيه النبل رضي الله عنه.

فهؤلاء خرجوا من ديارِهم مجاهدين في سبيل الله يريدون بذلك إعلاءَ كلمةِ اللهِ، لا يريدون بذلك فخراً ولا رِئاسةً، ولا جَاهاً ولا قوميةً، ولا عصبيةً غيرَ إسلاميةٍ. ولذلك كان الرجلُ العربيُّ يقتلُ الرجلَ العربيَّ لأنه كافرٌ. وهكذا الواجبُ علىٰ المسلمِ، أن يقْصِدَ بجهادِه وجْهَ اللهِ، وأن يُرِيدَ الذبَّ عن دِينه لا أي غَرَضٍ سواه. فإن هذا هو السعادة الدائمةُ والتجارةُ الرابحةُ العظيمةُ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

جهاد النبيّ ﷺ لليهود

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، وعدَ بالنصر مَنْ ينصرُه بإقامةِ دينهِ وإعلاء قولِه، وجعل لذلك النَصرِ أسباباً ليشمِّر إليها مَنْ أرادَه مِنْ خلقه ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١]. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين وحجةً علىٰ العبادِ أجمعين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنه في هذا الشهرِ شهرِ شوالٍ من السنةِ الخامسةِ من هجرةِ النبيِّ ﷺ عزا رسولُ اللهِ ﷺ بني قريظةَ إحدىٰ قبائل اليهودِ التي كانت تسكن المدينةَ وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، قَدِمَتْ هذه القبائلُ من الشام إلىٰ المدينةِ لأنها البلدةُ التي ينطبق عليها وَصْفُ مُهاجَرِ النبيِّ ﷺ الذي يجدون صِفَتَهُ في التوراةِ التي نزلتْ علىٰ موسىٰ نبيِّهم عليه السلامُ، فسكنوا المدينةَ ليتبعوا النبيَّ ﷺ

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولكنَّ عزيمتَهم انتقضت وحالَهم تغيرت عندما جَدَّ الجدُّ وبُعِثَ النبيُّ ﷺ فلم يؤمنْ به إلا القليلُ منهم مِثْلُ عبدِ الله بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه.

ولما قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ عَقَدَ معهم عَهْدَ أَمَانٍ أنْ لا يُحارِبَهم ولا يُخرجَهم من ديارهم وأن ينصروه إن دَهَمَهم عدوٌّ بالمدينةِ ولا يُعينُوا عليه أحداً، ولكنَّ اليهودَ وهم أهلُ الغدرِ والخيانةِ نكثوا ذلك العهدَ خيانةً وَحَسداً، فقد نقضت كلُّ قبيلةٍ عهدَها إثْرَ كُلِّ غزوةٍ كبيرةٍ للنبيِّ ﷺ، فإثْرَ غزوةِ بَدْرٍ أظهرَ بنو قَيْنُقَاع العداوةَ والبغضاءَ للمسلمين، واعتدَوْا علىٰ امرأةٍ من الأنصارِ، فدعا النبيُّ ﷺ كِبارَهم وحذَّرَهم من عاقبة الغدْرِ والخيانةِ والبَغْيِ، ولكنهم ردُّوا عليه أبشعَ ردٍّ، فقالوا: لا يَغُرَنَّك من قومِك ما لقيتَ يعنون قريشاً في بدر فإنهم قومٌ ليسوا بأهل حَرْبٍ ولو لَقِيتَنا لَعَلِمْتَ أننا نحنُ الناسُ. وكانت هذه القبيلةُ بنو قَيْنُقَاع حلفاء للخزرجِ فقام عبادةُ بْنُ الصامتِ الخزرجي رضي الله عنه فتبرأَ مِنْ حِلفِهم ولايةً للهِ ورسولِه، وعداءً لأعداءِ اللهِ ورسولِه، لإيمانِه باللهِ ورسولِه، أما عبدُ اللهِ بْنُ أُبيٍّ الخزرجي رأسُ المنافقين فإنه لنفاقِه وكفرِه باطناً تشَبَّثَ بمحالفة هؤلاءِ اليهود ودافَعَ عنهم، وقال: إني أخشىٰ الدوائرَ، فأبطن

اليهود الشرَّ وتحصَّنُوا بحصُونِهم، فحاصرَهم النبيُّ ﷺ بضعَ عشْرة ليلةً حتىٰ نزلوا علىٰ حُكْمِه، فَهَمَّ بقَتْلِهم ولكنِ اسْتَقرَّ الأمرُ بعدَ ذلك علىٰ أنْ يَجْلُوا من المدينةِ بأنفسِهم وذريتِهم ونسائِهم، ويَدَعُوا أموالَهم غنيمةً للمسلمين فَجلوا إلىٰ أَذْرِعَات في الشامِ، وكان ذلك في ذي القَعدةِ سنة اثنتين من الهجرة.

وإثْرَ غزوةِ أُحُدٍ نكثَ بنو النضيرِ العهدَ الذي بينَهم وبينَ النبيِّ ﷺ، فبينما كان رسولُ الله ﷺ في أسواقِهم مع بعضِ أصحابِه تآمروا علىٰ قَتْلِه، وقال بعضُهم لبعض: إنكم لن تَجِدُوا الرجلَ علىٰ مِثْلِ حالِه هذه. فانتُدِبَ أحدُهم إلىٰ أن يصعدَ علىٰ أَحَدِ سُطوحِ بيوتِهم فيُلْقِي علىٰ النبيِّ ﷺ صخرةً من فوقِها، فأتىٰ النبيَّ ﷺ الخبرُ من اللهِ عزَّ وجلّ فرجع من فَوْرِه إلىٰ المدينةِ وأرسل إلىٰ اليهودِ يُخْبِرُهم بنَكْثِهم العهدَ ويأمرُهم بالخروج من جِوَارِه وبلدِه، فتهيأ القومُ للرحيل لعلمهم بما جرىٰ لإخوانهم بني قينقاع، ولكن الذين نافقوا بعثوا إليهم يُحرِّضونهم علىٰ البقاءِ ويَعِدُونهم بالنُصرةِ ويقولون: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١]، فاغترَّ اليهود بهذا الوعدِ من أهل النفاقِ، ومتىٰ صدق الوعدَ أهلُ النفاق؟! وقد قال اللهُ عنهم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٢]، اغتر اليهودُ بهذا الوعدِ الكاذبِ الذي شهِدَ اللهُ تعالىٰ بِكَذِبِه، فلم ينصاعوا لأمرِ

النبيِّ ﷺ لهم بالرحيل، فتهيأ النبيُّ ﷺ لقتالِهم وخرج إليهم فحاصرَهم في ديارهم فقذف اللهُ في قلوبهم الرعبَ، فطلبوا من النبيِّ ﷺ أنْ يكفَّ عن دمائِهم ويُجْلِيهم علىٰ أن لهم ما حمَلَتْ إبلُهم من الأموالِ إلا السلاحَ فأجابهم إلىٰ ذلك، فخرجوا من بيُوتِهم بعد أن أخربوها حَسَداً للمسلمين أنْ يسكنَها أحدٌ منهم مِنْ بعدِهم ثم تفرقوا، فمنهم مَنْ ذهب إلىٰ الشامِ ومنهم مَنْ استوطن خيبراً وما زال أَلَمُ هذه النكبةِ في قلوبهم حتىٰ ذهب جَمْعٌ مِنْ أشرافِهم إلىٰ مُشْرِكِي العربِ من قُريشٍ وغيرِهم يحرِّضونهم علىٰ حَرْبِ النبيِّ ﷺ ويَعِدُونهم النُصرةَ، فتألبت الأحزابُ من قريشٍ وغيرِهم علىٰ رسولِ الله ﷺ واجتمعوا لقتالِه في نحو عشرةِ آلافِ مقاتلٍ حتىٰ حاصروا المدينةَ في شوالٍ سنة خَمْسٍ من الهجرة، وانتهز حُييُّ بْنُ أخْطَبَ وهو من رُؤَساءِ بني النضيرِ هذه الفرصة واتصل ببني قريظةَ الذين في المدينةِ من اليهودِ، وحَسَّنَ لهم نَقْضَ العهدِ الذي بينَهم وبينَ رسولِ الله ﷺ، وما زال بهم حتىٰ أجابوه إلىٰ ذلك فنقضوا العهدَ وهم آخِرُ القبائلِ في المدينة من اليهودِ الناقضين معاهدةَ النبي ﷺ، فلما هزم اللهُ الأحزابَ ورجعوا بغيظِهم لم ينالوا خيراً، وكفىٰ اللهُ المؤمنين القتالَ بما أرسل علىٰ عدوِّهم من الجنودِ والريحِ العظيمةِ الباردةِ التي زلزلت بهم، رجع النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةِ ووضعَ السلاحَ فأتاه جبريلُ فقال: قد وضَعْتَ السلاحَ؟ والله ما وضَعْنَاه، فاخْرُجْ إليهم. فقال النبيُّ ﷺ: إلىٰ أينَ؟ فأشار

جبريلُ إلىٰ بني قريظةَ، فانتدبَ النبيَّ ﷺ ونَدَبَ أصحابَه للخروج إلىٰ بني قريظةَ، فخرجوا وحاصروا اليهودَ نحوَ خمسٍ وعشرين ليلةً، فطلبوا من النبيِّ ﷺ أن ينزلوا علىٰ ما نزل عليه إخْوانُهم من بني النضيرِ من الجلاء بالأموالِ وتركِ السلاح فأبىٰ ذلك، فطلبوا أنْ يَجْلُوا بأنفسِهم وذريتِهم ونسائِهم ويَدَعُوا الأموالَ، كما فعل إخوانُهم بني قَيْنُقَاع فأَبىٰ ذلك، وكانت بنو قريظةُ حلفاءَ للأوس فجاء حلفاؤُهم من الأوسِ إلىٰ النبي ﷺ يُكلمونه فيهم، فقال: ألا ترضون أن ينزلوا علىٰ حُكْم رَجُلٍ منكم قالوا: بلىٰ، قال النبيُّ ﷺ: ذلك إلىٰ سَعْدِ بْنِ معاذ وكان سيدَ الأوس رضي الله عنه، وقد أُصيبَ في أَكْحَلِه في غزوة الأحزاب فضرب عليه النبيُّ ﷺ خيمةً في المسجد، وقد قال رضي الله عنه حين سَمِعَ نَقْضَ العهدِ من بني قريظة: اللهم لا تُخرِجْ نفسِي حتىٰ تُقِرَّ عَيْني من بني قريظةَ، فجيء بسَعْدٍ من خَيْمتِه في المسجد راكباً علىٰ حِمَارٍ فلما نزل عند النبيِّ ﷺ قال له: احكمْ فيهم يا سعدُ، فالتفت إليهم سعدٌ فقال: عليكم عهدُ اللهِ وميثاقُه إن الحُكْمُ إلا ما حَكَمْت؟، قالوا: نَعَمْ، فالتفت إلىٰ الجهةِ التي فيها رسولُ اللهِ ﷺ وهو غاضٌّ طَرفَه إجلالاً لرسولِ الله ﷺ، فقال: وعَلَىٰ هَهُنا فقالوا: نَعَمْ، فقال: أَحْكُمُ أنْ تُقْتَل الرجالُ وتُسْبَىٰ النساءُ والذريةُ وتُقَسَّمَ الأموالُ، فقال النبيُّ ﷺ: لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ من فوق سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ[1] يعني سموات وبهذا

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/١٨٨-١٨٩، طبعة دار الخير.

تحققت دعوةُ سَعْدٍ رضي اللهُ عنه فأجاب اللهُ دعاءَه، وجعل الحُكْمَ فيهم علىٰ يدِه، وحَكَمَ فيهم بهذا الحكمِ العدلِ الموافقِ لحُكْمِ اللهِ، فقُتِلَ المقاتلون منهم وكانوا ما بين سبعمائة إلىٰ ثمانمائة وسُبِيَتِ النساء والذريةُ.

وما زال اليهودُ أهلَ غَدْرٍ وخِيانةٍ وبُهْتٍ وكَذِبٍ لا يُؤْمَنُ مكرُهم ولا يُوثَقُ عهدُهم، ولقد شَهِدَ عليهم عبدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ رضي الله عنه وكان من أحبارهم شَهِدَ عليهم حين أَسْلَمَ أنهم قومٌ بُهْتٌ ولن يُضمنَ النصرُ عليهم ولا علىٰ غيرِهم من الكفارِ إلا بالتمسكِ بدينِ اللهِ ظاهراً وباطناً بالرجوعِ إليه والتوبةِ، والعملِ الصالحِ المبنيِّ علىٰ الإيمانِ السالمِ من الشكِّ، والتوحيدِ الخالصِ من الشرك، والاتباعِ النقيِّ من الابتداع، والطاعةِ للهِ ورسولِه بقَدْرِ المستطاعِ، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وأطيعوا اللهَ ورسولَه وكونوا مع الصادقين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.



غزوة الأحزاب

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ الذي بيده ملكوتُ السمٰوات والأرض، وإليه يرجعُ التدبيرُ في الأمر دقّه وجُلّه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له أنجز وعدَه ونصر عبدَه وهزم الأحزابَ وحدَه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وأمينُه علىٰ وحيه، جاهدَ في اللهِ حقَّ جهاده حتىٰ أيده اللهُ تعالىٰ بنصره، وجعل الذُّلَّ والصَّغَارَ علىٰ مَنْ خالف أمرَه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصَحْبِه ومن اهتدىٰ بهديه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: ففي هذا الشهر، شهرِ شوالٍ من السنةِ الخامسةِ من الهجرة كانت غزوةُ الأحزاب التي تَحَزَّبَ فيها أعداءُ الإسلام من كفارِ العرب ومَنْ ناصرهم من اليهودِ ليقضوا علىٰ دينِ الإسلامِ، ليقْضُوا علىٰ نبيّكم وسلفِكم الصالحِ، ليمحوا الدينَ من البسيطةِ ليجعلوا كلمتَهم هي العليا، فأثار بعضُهم بعضاً فتجهزت قريشٌ وتجهزت غطفانُ وبنو مُرةَ وبنو أشجعَ وبنو سُلَيمٍ وبنو أَسَدٍ حتىٰ بلغ ما اجتمع من هؤلاء القبائل عشرة آلاف مقاتل، فلما سَمِعَ بهم رسولُ الله ﷺ استشارَ أصحابَه أيخرجُ إليهم أم يبقىٰ في المدينة، فأشار عليه سلمانُ الفارسيُ بحفرِ خَنْدَقٍ حول المدينة فقبل ذلك رسولُ الله ﷺ وأمر أصحابَه بحفْرِه شماليِ المدينةِ ما بينَ

الحَرَّتين الشرقيةِ والغربيةِ، وجعل لكل عشرةٍ منهم أربعينَ ذِرَاعاً فكانوا يحفرون وينقلون التراب علىٰ متونهم والنبيُّ ﷺ معهم، قال البراءُ بْنُ عازبٍ رضي اللهُ عنه رأيت النبيَّ ﷺ ينقل من ترابِ الخندق، حتىٰ غَطَىٰ الترابُ جِلْدَةَ بطنِه، وكان كثيرَ الشعرِ وسَمِعتُه يرتجزُ بكلمات عبدِ الله بْنِ رواحةَ وهو ينقلُ الترابَ يقولُ ﷺ:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سَكِينةً علينا وثبِّت الأقدام إنْ لاقينا

إن الأُلىٰ قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا

قال البراءُ: ثم يمدُّ صوتَه بآخرِها[١]، أما الصحابةُ رضي الله عنهم فكانوا يرتجزون يقولون:

نحنُ الذين بايعوا محمداً علىٰ الجهاد ما بقينا أبداً

فيجيبهم النبيُّ ﷺ:

اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرةِ، فبارك في الأنصار والمهاجرة.

ولقد كان المسلمون علىٰ شدة من النصب وقلة العيش، قال جابر رضي الله عنه: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كديةٌ شديدةٌ فجاؤوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كديةٌ عرضت في الخندق فقال: أنا نازل فقام ﷺ وبطنه معصوبٌ بحَجَرٍ (يعني من الجوع) ولبثنا ثلاثَ ليالٍ لا نَذوقُ ذوقاً فأخذ النبيّ ﷺ المعولَ فضرب الكديةَ فعاد كثيباً

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦) من حديث البراء رضي الله عنه.

مهيلاً[١]، وفي حديث البراءِ بن عازبٍ عند أحمد والنَّسائيِّ بإسنادٍ حَسَنٍ أن النبيَّ ﷺ أخذ المِعْولَ فقال: «بسمِ اللهِ» فضرب ضربةً فكسرَ ثلثَها، وقال: «اللهُ أكبرُ أُعطِيتُ مفاتيحَ الشامِ، واللهِ إني لأُبصِرُ قصورَها الحُمْرَ الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلثَ الآخرَ فقال: «اللهُ أكبرُ أعطيت مفاتيحَ فارس، واللهِ إني لأبصرُ قَصْرَ المدائنِ أبيضَ، ثم ضرب الثالثةَ وقال: «بسم الله» فقُطِع بقية الحَجَرِ فقال: «الله أكبرُ أعطيت مفاتيحَ اليمنِ، واللهِ إني لأبصرُ أبوابَ صنعاءَ مِنْ مكاني هذه الساعة»[٢]. قال جابرُ رضي الله عنه فقلت: يا رسولَ اللهِ ائذن لي إلىٰ البيت، فدخل جابر بيتَه وقال لامرأتِه: رأيت بالنبيِّ ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صَبْرٌ فعندك شيءٌ، قالت: شعيرٌ وعَنَاقٌ (البهيمة الصغيرة من الغَنَمِ) فذبحت العَنَاق وطحَنْتُ الشعيرَ وقطعت اللحمَ في البُرْمَةِ (القِدْرِ) ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسولَ اللهِ ذَبَحْنا بهيمةً لنا وطَحَنّا صَاعاً من شعيرٍ كان عندنا فقُمْ أنت ورَجُلٌ أو رجلانِ معك فصاح النبيُّ ﷺ: يا أهلَ الخَندقِ فقام المهاجرون والأنصارُ حتىٰ وصلوا بيتَ جابرٍ، فقال النبيُّ ﷺ: ادخلوا ولا تَضَاغَطُوا، فجعل يكْسِرُ الخُبزَ ويجعلُ عليه اللحمَ ويُغَطِي البُرْمَةَ والتَنُّورَ إذا أخذَ منه، ويُقرّبُ إلىٰ أصحابِه، فأكلوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/ ٣٠٣، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٨٥٨).

حتىٰ شَبِعوا وهم ألفُ رجل، قال جابر: فأقسم بالله لقد أكلوا حتىٰ تركوه وإن بُرْمَتَنا لَتغُطُّ كما هي وإن عَجِيننا ليخبزُ كما هو[1]»، وكانت حالُ المؤمنين مع أعدائِهم حين نزلوا حولَ الخندقِ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، ولكن ماذا قالوا ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، أما المنافقون والذين في قلوبهم مَرَضٌ فرَأَوْا في ذلك فُرصةً لإظهارِ ما تُكِنُّ صدورُهم من الشكِّ والرَيْبِ والتكذيبِ، ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وفي أثناء ذلك بلغ المسلمين أنَّ يهودَ بني قريظةَ نقضوا العهدَ الذي بينهم وبين النبيِّ ﷺ، فأرسل النبيُّ ﷺ نحو ثلاثمائة رجلٍ إلىٰ المدينة لحراسِتها خوفاً علىٰ النساءِ والذريةِ، وأرسل الزبيرَ إلىٰ اليهودِ لينظرَ خَبَرهم، فوجدَ علىٰ وُجوهِهم عَلاَئِمَ الشرِّ والغَدْرِ، وأسمعوه سبَّ النبيِّ ﷺ وأصحابِه، فرجع الزبيرُ إلىٰ النبيِّ ﷺ فأخبرَه، واشتد الأمرُ علىٰ المؤمنين وبقُوا في الحِصارِ قريباً من الشهرِ، ورسولُ الله ﷺ يُبشرُهم ويَعِدُهم النصرَ ويَدْعُوا ربَّه ويستنصرُه، وكان من دعائه: «اللهم مُنزلَ الكتابِ سريعَ الحسابِ اهْزِمْ الأحزابَ، اللهم اهْزِمْهم وزَلْزِلْهم وانصرْنا

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١) و(٤١٠٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

عليهم»[١]، فأجابَ اللهُ دعاءَه فزلزل قلوبَهم بالرعبِ والفزَعِ، وزلزل أبدانَهم بالريحِ الشديدةِ الباردةِ، فجعلت تَكْفَأُ قُدُورَهم وتطرحُ آنيتَهم وتُقَضُّ خِيامَهم فتفرقوا خائبين ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وحينئذٍ قال النبيُّ ﷺ: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**»[٢] أما بنو قريظةَ الذين نقضوا العهدَ فقد قالت عائشةُ رضي الله عنها: لما رجع النبيُّ ﷺ من الخندق ووضعَ السلاحَ واغتسل، أتاه جبريلُ فقال: وضَعْتَ السلاحَ والله ما وضعناه فاخْرُجْ إليهم. وأشار إلىٰ بني قريظةَ آخرِ قبائلِ اليهودِ في المدينة الذين نقضوا العهدَ، فخرج إليهم النبيُّ ﷺ فحاصرهم نحوَ عشرين ليلةً حتىٰ نزلوا علىٰ حُكْمِ النبيِّ ﷺ، فحكم فيهم سيدُ حلفائهم سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي اللهُ عنه فحكم أنْ يُقتَلَ المقاتلون منهم، وأن تُسْبَىٰ النساءُ والذريةُ، وأن تُقسَّمَ أموالُهم، فقال النبيُّ ﷺ: «**قَضَيْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ**»[٣] فقُتِلَ المقاتلون وكانوا نحو سبعمائة وسُبيتِ النساءُ والذريةُ وقُسِّمتِ الأموالُ بين المسلمين، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٤ و٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٩) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

أيها المسلمون: إنَّ العِلْمَ بمثلِ هذه الغزواتِ والحوادثِ التي وقعت للنبيِّ ﷺ وأصحابِه يزيدُ المؤمنَ إيماناً، وَيظْهَرُ به فَضْلُ النبيِّ ﷺ وأصحابِه رضي اللهُ عنهم في الجهادِ والدفاعِ عن هذا الدينِ، وأن العاقبةَ والنصرَ للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٧-٨].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وخُذُوا من ذلك عِبَراً، واعرفوا كيد أعداء المسلمين وتَحَصَّنوُا منه، وكونُوا من أولياءِ اللهِ لعلكم تفلحون، اللهم وفقنا لما تُحِبُّ وتَرْضىٰ إنك جوادٌ كريمٌ.

نقل السَّفَارِيني عن صاحبِ نهايةِ المبتدئين أحدِ علماءِ الحنابلةِ المعتبرين: يَجِبُ حُبُّ كلِّ الصحابةِ والكفُّ عما جرىٰ بينَهم كتابةً وقراءةً وإقراءً وسَماعاً وتَسْمِيعاً، ويجب ذِكْرُ محاسِنِهم والتَّرَضِّي عنهم والمحبةُ لهم وتركُ التحاملِ عليهم، واعتقادُ العُذْرِ لهم، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهادٍ سائغٍ لا يُوجِبُ كُفراً ولا فِسْقاً. وكان الإمامُ أحمدُ رحمه اللهُ يُنْكِرُ علىٰ مَنْ خَاضَ ـ يعني في ذلك ـ ويسلمُ أحاديثَ الفضائلِ وقال: السكوتُ عما جرىٰ بينهم، وقال بعضُ المحققين: البحثُ في هذا ليس من العقائِد الدينيةِ، وليس مما يُنْتفَعُ به في الدين، بل ربما أضرَّ باليقين. . . فلا جَرَمَ أنَّ

السلامةَ كفُّ اللسانِ عن هذا المدخلِ الضيقِ العظيمِ. وقال أبو زرعة وهو من أجلِّ شيوخ مسلم صاحب الصحيحِ: إذا رأيت الرجلَ ينتقِصُ أحداً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فاعلم أنه زِنديقٌ، وذلك أن القرآنَ حقٌّ والرسولَ حقٌّ وما جاء به حقٌّ، ولم يُؤَدِّ ذلك كُلَّه إلينا إلا الصحابةُ، فمَنْ جَرَّحَهم إنما أراد إبطالَ الكتابِ والسنةِ، فيكون الجرحُ به أليقَ والحكمُ عليه بالزندقة والضلال أقومَ وأحقَّ. هكذا ذكره السفاريني في شرحه علىٰ عقيدته المشهورة ٢/ ٣٨٩.

* * *

غزوة الخندق

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودين الحقِّ، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، وكفىٰ بالله شهيداً. وأشهد أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، أنجز وعدَه، ونصر عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، وكان اللهُ قوياً عزيزاً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمة الله عليكم بما أمد به رسولَه ﷺ وأصحابه من النصرِ العزيزِ، والفتحِ المبينِ، وهذه سنةُ اللهِ التي لا تبديلَ لها، فمن يَنْصُرِ اللهَ ينصرْه، إنَّ اللهَ لقويٌ عزيزٌ.

أيها المسلمون: في هذا الشهرِ أعني شهرَ شوال من السنةِ الخامسةِ من الهجرة، كانت وقعةُ الخندقِ التي اجتمع فيها أحزابُ الشيطانِ علىٰ أولياءِ الرحمٰنِ. وذلك أنَّ يهودَ بني النضيرِ حين أجلاهم النبيُّ ﷺ من المدينةِ أرادوا أن يأخذُوا بالثأر من رسولِ الله ﷺ، فذهب جَمْعٌ منهم إلىٰ قريشٍ وغطفانَ، وحَرَّضُوهم علىٰ حَرْبِ النبيِّ ﷺ، فتَحَزَّبَ الأحزابُ لقتالِ رسولِ الله ﷺ.

فخرجت قريشٌ بأربعةِ آلافِ مقاتلٍ. وخرجت غطفانُ ومعهم أَلفُ فارسٍ. وخرجت بنو مرةَ وهم أربعمائة. وخرجت بنو أَشْجَعَ، وبنو سُلَيْمَ في نحو سبعمائةِ مقاتل، وخرجت بنو أَسَدٍ. وكان عددُ الأحزابِ عشرةَ آلافِ مقاتلٍ، فلما سَمِعَ بهم النبيُّ ﷺ استشارَ

أصحابَه، أيخرجُ إليهم أم يَبْقَىٰ في المدينة. فأشار عليه سلمانُ الفارسيُّ أنْ يحفرَ خندقاً علىٰ المدينة، يمنع العدوَّ عنها، فأمر ﷺ بحفرِه شمالَي المدينة من حَرَّتِها الشرقيةِ، إلىٰ حَرَّتِها الغربيةِ وشاركهم النبيُّ ﷺ في حفرِه.

وكان المسلمون ثلاثةَ آلافِ رجلٍ، وقد لَحِقَهم من الجَهْدِ والجوعِ ما وصفَه جَابرُ بْنُ عبدِ الله رضي اللهُ عنه، قال: كنا نحفرُ يومَ الخندق، فعرضَت كديةٌ شديدةٌ فجاؤوا إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله هذه كدْيةٌ عرضَتْ في الخندقِ، فقام وبطنُه من الجوعِ معصوبٌ بحَجَرٍ، فلَبثْنا ثلاثةَ أيامٍ لا نَذُوقُ ذَوْقاً، فأخذ النبيُّ ﷺ المعولَ فضربَه فكان كثيباً مَهِيلاً. قال جابر فاستأذنت النبيَّ ﷺ، فأتيت أهلي وقلت لامرأتي: لقد رأيتُ بالنبي ﷺ شيئاً ما كان عليه من صَبْرٍ، فهل عندك من شيء؟ قالت: صاعُ شَعِيرٍ وعَنَاقٌ، وهي الصغيرة من المعز فذبحتها وطحَنْتُ الشعيرَ.

فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسولَ اللهِ طُعَيِّمٌ لي فقُمْ أنتَ ورجل أو رجلان معك. فقال: «ما هو؟» فقلت: شَعِيرٌ، وعَنَاقٌ. فقال: «كثيرٌ طَيِّبٌ»، ثم دعا ﷺ المهاجرين والأنصارَ، وقال: ادخلوا ولا تَزَاحَمُوا فجعلَ يكسِرُ من هذا الخبر ويجعلُ عليه من اللحمِ، وكلما أخرج شيئاً من اللحمِ، غَطَّىٰ القِدْرَ ومن الخبز غَطَّىٰ التَّنُورَ، فما زال كذلك حتىٰ شَبِعَ المهاجرون والأنصارُ، وبقِيَتْ بقية[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١).

واشتدت الحال بالمسلمين. وكان مما زاد الأمرَ، أنَّ يهودَ بني قريظةَ وكانوا شرقيِّ المدينةِ، نقضوا العهدَ الذي كان بينَهم وبينَ النبيِّ ﷺ. فضاق الأمرُ بالمسلمين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ (يعني الأحزاب) وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ (يعني بني قريظة) وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، وانقسم الناسُ إلىٰ قسمين فالمنافقون والذين في قلوبهم مَرَضٌ قالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، والمؤمنون قالوا ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ومكَثَ الأحزابُ محاصرينَ النبيَّ ﷺ قريباً من شهرٍ. فدعا النبيُّ ﷺ عليهم فأرسل اللهُ عليهم رِيحاً شديدةً قويةً، أَسْقَطَتْ خيامَهم، وأطفأت نِيرانَهم، وزلزلت بهم. وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

وبعد تفرق الأحزابِ توجهَ النبيُّ ﷺ إلىٰ بني قريظةَ الذين نقضوا عهدَه، فحاصرهم خَمْساً وعشرين ليلةً، حتىٰ طال عليهم الحصارُ، وقذف اللهُ في قلوبِهم الرُّعْبَ. فلما اشتد بهم الحالُ، طَلَبُوا من النبيِّ ﷺ أن ينزلوا علىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي اللهُ عنه، وكان سيدَ الأوسِ، الذين هم حُلَفَاءُ بني قريظةَ في الجاهلية. وكان سعدٌ رضي الله عنه، قد أُصِيبَ يومَ الخندقِ بسَهْمٍ في أَكْحَلِه، فدعا اللهَ

تعالىٰ أن لا يُميتَه، حتىٰ يُقِرَّ عينَه من بني قريظةَ، الذين نقضوا العهدَ. فاستجاب اللهُ دعاءَه، فطلَبَه النبيُّ ﷺ، من المدينة ليحكمَ في بني قريظةَ. فلما أقبل رضي اللهُ عنه، قال: لقد آن لسعدٍ أن لا تأخذَه في اللهِ لومةُ لائمٍ. فلما جلس إلىٰ النبيِّ ﷺ قال له النبيُّ ﷺ: **«إن هؤلاء، وأشار إلىٰ اليهودِ، قد نزلوا علىٰ حكمك، فاحْكُمْ فيهم بما شِئْتَ»**. قال: وحكمي نافذٌ عليهم. قال: **«نَعَمْ»**. قال: وعلىٰ من ههنا وأشار إلىٰ الجانب الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ. قال: **«نَعَمْ»**. قال: إني أَحْكُمُ أن تُقْتَلَ مُقَاتِلتُهم، وتُسْبَىٰ ذريتُهم وتُقَسَّمَ وأموالُهم. فقال النبيُّ ﷺ: **«لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»**[1].

ثم أمر رسولُ الله ﷺ بالأُخْدُودِ فخدَّت فَجِيءِ باليهودِ مُكَتَّفِينَ فضُرِبَتْ أعناقُهم، وكانوا ما بين السبعمائةِ إلىٰ الثمانمائة، وسُبِيَت ذريتُهم ونساؤُهم.

وهكذا انتهت هذه الغزوةُ العظيمةُ بهذا النصرِ العزيزِ بعد أن لَحِقَ المسلمين ما لَحِقَهم من المشقةِ والبَلاءِ، فكانت العاقبةُ لهم لأنهم يقاتلون للهِ وباللهِ، وفي اللهِ لا يقاتلون رياءً، ولا سُمْعةً، ولا عَصبيةً، ولا يقاتلون إعجاباً بِشِدَّتِهم، واعتماداً علىٰ قوتهم دونَ اللهِ عزَّ وجل. وإنما يقاتلون دفاعاً عن الحقِّ، وإذلالاً للباطل، وإعلاءً

---

(١) ورد هذا اللفظ في «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ١٨٩، وانظر البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

لكلمةِ الله، وصيانةً لدينِ اللهِ. فكان اللهُ معهم يتولاهم بولايتهِ، ويعزُّهم بنصره، وهو نِعْمَ المولىٰ، ونِعْمَ النصيرُ.

وكانت النتيجةُ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧].

أقولُ قولي هذا، وأسأل الله أنْ ينصر دينه ويُعلي كلمتَه ويجمع المسلمين علىٰ الحقِّ وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هر الغفورُ الرحيمُ.

* * *

غزوة الخندق

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ الذي بيدِه ملكوتُ السمٰواتِ والأرض وإليه يُرجِعُ التدبيرُ في الأمر كلِّه، دِقِّه وجِلِّه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه، أنجز وعدَه ونصرَ عبدَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهُ ولي الذين آمنوا يُخرِجُهم من الظلمات إلىٰ النور، ويُدافع عنهم ويُيسرُ لهم الأمورَ فنِعمَ المولىٰ لهم ونِعْمَ النصيرُ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات، ويوقعونهم في الشرورِ والهلكات، ويومَ القيامة يتبرأُ المتبوعُ من التابع، ويريهم اللهُ أعمالَهم حَسَراتٍ فلَبِئْسَ المولىٰ مَنِ اتخذوهم أولياءَ ولبئس العشيرُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي جاهد في اللهِ حقَّ جهاده، ولَقِي من صعوبات الأمورِ وشدائدِها حتىٰ نصرَه اللهُ بنصرِه وأيده بجندِه وأعلىٰ دينَه علىٰ جميع الأديان، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبتِ الليالي والأيام وسلَّم تسليماً.

أيها المسلمونَ: في مثل هذا الشهرِ أعني في شهرِ شوالٍ في السنة الخامسةِ من الهجرةِ تحزَّبُ أعداءُ الإسلامِ من كفارِ العربِ ومَنْ ناصرَهم من اليهود، ليقضُوا علىٰ دينِكم وعلىٰ نبيِّكم وعلىٰ سلفِكم الصالح، ليقضوا علىٰ هذا الدين، ليمحوُه من البسيطةِ، ليجعلوا كلمتَهم هي العليا وكلمةَ الله السفلي، فأثار أعداءُ الإسلام

بعضُهم بعضاً فتجهزت قريشٌ وتجهزت غطفانُ وتجهزت بنو مُرَّةَ وتجهزت بنو أشجع وتجهزت بنو سُلَيْمٍ وتجهزت بنو أَسَدٍ حتىٰ بلغ ما اجتمع في هذه الجيوش عشرةُ آلافِ مقاتلٍ، فلما سَمِعَ بهم رسولُ الله ﷺ استشارَ أصحابَه أيخرج إليهم أم يبقىٰ في المدينة، فأشار عليه سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه بحفر الخندقِ، وكان العربُ لا يعرفون ذلك من قبلُ، فشرَعوا في حَفْرِه، وجعل النبيُّ ﷺ لكل عشرةٍ من أصحابه أربعين ذراعاً، فكانوا رضي اللهُ عنهم يحفرون وينقلون الترابَ علىٰ متونهم ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً ... علىٰ الجهادِ ما بَقِينا أبداً

ورسول الله ﷺ يحفُر معهم وينقلُ معهم. قال البراءَ بْنُ عَازِبٍ رضي اللهُ عنه رأيت النبيَّ ﷺ ينقل من تراب الخندقِ حتىٰ غَطَّىٰ الترابُ علىٰ جِلْدَة بطنِه، وكان كثيرَ الشعر، وسمِعْتُه يرتجز بكلماتِ عبدِ الله بْنِ رَواحةَ وهو ينقلُ من الترابِ يقول ﷺ:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينةً علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلىٰ قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أَبيْنَا

قال البراءُ: ثم يمدُ صوتَه بآخرها[١]، وفي أثناء حفرِهم اعترضم صخرةٌ عجزوا عنها، فأخبروا بذلك رسولَ اللهِ ﷺ، فجاء إليها فنزل

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦)، ومسلم (١٨٠٣) من حديث البراء.

فضربَها بالمِعْوَلِ ضربةً فبرقَتْ منها بَرْقَةٌ، أضاءت ما بين لَابَتَي المدينةِ، فكَبَّرَ النبيُّ ﷺ وكبَّر المسلمون، ثم ضربَها الثانيةَ والثالثةَ كذلك حتىٰ صارت كالتراب، فسُئِلَ عما رئي من البرقِ من هذه الصخرة، فقال: «**أضاءت الحِيرةُ وقُصورُ كِسْرىٰ في البرقةِ الأولىٰ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أُمتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءت في الثانية القصور الحُمرُ من أرض الشامِ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أمتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءت في الثالثةِ قصورُ صنعاءَ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أمتي ظاهرةٌ عليها، فأبْشِرُوا**»[١]. فاستبشرَ المسلمون بذلك، ولم يزلْ يعدهم بالنصرِ ويُبشرُهم بالفَرَجِ، ويقول: «**والذي نفسي بيدِه لَيُفرِّجَنَّ عنكم ما تَرَوْنَ من الشدةِ، وليُهلكَنَّ اللهُ كِسْرىٰ وقَيْصَر ولتنفقُنَّ كنوزهما في سبيلِ الله**»[٢]، وفي أثناء ذلك بلغ المسلمين أن يهود بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبيِّ ﷺ، فأرسل النبي ﷺ نحو ثلاثمائة رجلٍ إلىٰ المدينة لحراستها خوفاً علىٰ النساء والذرية، وأرسل الزبير بن العوام ليتحقق الخبر عن بني قريظة، فوجد علىٰ وجوههم علائم الشر والغدر وأسمعوه السبَّ لرسول الله ﷺ وأصحابه فرجع الزبير وأخبر النبي ﷺ بذلك، وكانت حالُ المؤمنين مع هؤلاء الأعداءِ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٩٢، و«مسند الإمام أحمد» ٤/ ٣٠٣ حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) انظر «سنن البيهقي» ٩/ ٣١.

مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، وهنالك لَقِيَ المنافقون والذين في قلوبهم مَرَضٌ فرصةً لإظهار ما يُكِنُّونَه في صُدورِهِم من الشك والرَّيْبِ والتكذيبِ، فقالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. وقال المؤمنون لما رأَوا الأحزابَ: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. واشتد الأمرُ علىٰ المسلمين وبقُوا في الحِصَارِ قريباً من الشهر، وما زال رسولُ الله ﷺ يَدْعُو ربه ويستنصرُه، وكان من دعائه: «**اللهم مُنزلَ الكتابِ سريعَ الحسابِ اهزمَ الأحزابَ، اللهم اهزِمْهم وزلزلْهم، اللهم اهزِمْهم وانصرْنا عليهم**»[1] فأجاب اللهُ دعاءَه فزلزل قلوبَهم بالرعبِ والفَزَعِ، وزلزل أبدانَهم بالريحِ الشديدةِ الباردةِ، فجعلت تكْفَأُ قدورهم وتطرح آنيتَهم وتُقِضُّ أبنيتَهم ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٤ و٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

أيها المسلمون: إننا ننقل إليكم مثل هذه الوقائع لتعلموا بذلك فضْلَ النبيِّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في الجهاد والدفاع دون هذا الدين، وليكون لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من المؤمنين، ولتعرفوا ما تعرَّض له دينكم من العقبات حتىٰ أظهره من أنزله وشرعه وهو القوي العزيز.

فهذا الدينُ ما زال أعداؤُه يتألبون عليه ويتحالفون ويتعاهدون علىٰ مناهضته وهدمِه، ويقومون ويصولون، ولكن لكلِّ كربةٍ فرجةٌ وفي كلِّ محنةٍ عبرةٌ ولكل شيءٍ غاية، والعاقبةُ للمتقين والعزةُ لله ولرسوله وللمؤمنين، فمن اتقىٰ اللهَ جعل اللهُ له من كُلِّ همٍّ فَرَجاً، ومن كل ضِيقٍ مَخْرَجاً، ومن كلِّ بلاءٍ عافيةً، وجعل له من أمره يسراً ورزقه من حيث لا يحتسب.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وتوبوا إلىٰ اللهِ جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، واحفظوا دينَكم يُحْفَظْ لكم، وأصلحوا ما بينكم وبينَ الله يُصْلِحِ اللهُ لكم ما بينَكم وبينَ الناس، وتعرَّفوا إلىٰ الله في الرخاءِ يعرفْكم في الشدة، واذكروا اللهَ يذكرْكم وانصروا الله ينصركم، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

غزوة خيبر

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، فأظهرَه علىٰ الباطل، وأيده اللهُ بنصرِه وبالمؤمنين، فكانوا متآلفين متحابين مجتمعين، يجاهدون في سبيلِ الله، ولا يخافون لومةَ لائمٍ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريك له، الحليم الكريم. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، عبادَ اللهِ، لم يزلْ اليهودُ في عَدَاءِ الإسلامِ متمردين، يريدون القضاءَ عليه، وعلىٰ أهلِه حَسَداً، وبَغْياً، واعتداءً، والله لا يحب المعتدين.

فلقد كانت لهم مواقفُ عَدَائِيةٌ مع النبيِّ ﷺ يعرفُها من قرأ سيرةَ النبيِّ ﷺ وتاريخَ حياتِه. كانوا من أعظم الناسِ تهييجاً للأحزابِ علىٰ رسولِ الله ﷺ. ولكنَّ الدائرةَ وللهِ الحمدُ تكونُ عليهم، في جميع مواقفِهم مع النبيِّ ﷺ.

وفي شهرِ المحرمِ من السنةِ السابعةِ، أمر النبيُّ ﷺ، بالتجهُّز لغزوِهم في خَيْبر. وكانت خَيْبر حصوناً لهم زراعية، ثمانيةُ حصونٍ أو خمسة. تبعدُ عن المدينةِ نحوَ مئةِ مِيْلٍ من الشمالِ الغربيِّ. فحاصرَ النبيُ ﷺ أولَ حِصْنٍ من حُصونِهم، فمكثَ عليه ستةَ أيامٍ لم يصنعْ شيئاً. وفي الليلةِ السابعةِ، ظَفِرَ عمرُ بْنُ الخطاب، رضي

اللهُ عنه، بيهوديٍ خارجَ الحصنِ، فأتىٰ به النبيَّ ﷺ، فلما أدركَه الرُّعْبُ، قال: إن أَمَّنْتُموني أَدُلّكم علىٰ أمرٍ فيه نجاحُكم، فقال: إنَّ أهلَ هذا الحصنِ أدركهم التعبُ والمَلَلُ، وهم يبعثون بأولادِهم إلىٰ الحِصْنِ الذي وَرَاءَه، وسيخرجون لِقِتَالِكم غداً. فقال النبيُّ ﷺ: «**لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه، يفتحُ اللهُ علىٰ يَدَيْهِ**»[1]. فلما أصبحَ سألَ عن عَلِيِّ بْنِ أبي طالب، فقيل: إنه يَشْتَكِي عينيه، فدعا به فبَصَقَ في عينيه، فشفاهما اللهُ في الحال، كأن لم يكنْ به وجعٌ، فأعطاه الرايةَ، فحمل المسلمونَ علىٰ اليهودِ، حتىٰ فتحوا الحِصْنَ، وما زال المسلمون يفتحونها حِصْناً حصناً، حتىٰ أتم اللهُ فَتْحَها وللهِ الحمدُ، وأَذَلَّ اليهودَ ونصرَ المسلمين عليهم. وغَنِمُوا منهم مَغَانِمَ كثيرةً، ومَلَكُوا أرضَهم، ولكنهم طَلَبوا من النبيِّ ﷺ أنْ يَبْقَوْا فيها يَعْمُرُونَها، ويَزْرَعُونها علىٰ النِصْفِ، فأقرَّهم النبيُّ ﷺ، وقال: «**نُقِرِّكم ما شِئْنا**»[2].

فلما كان زمنُ عُمَرَ، أجلاهم عُمَرُ رضي اللهُ عنه إلىٰ تَيْمَا وأَرِيحَا. وكان من أسباب إجلاء عُمَرَ إياهم أنهم حَرَّضُوا عَبيداً علىٰ قَتْلِ أحدِ الأنصار، وكان قد بات بخَيْبَرٍ، وأنهم جدعوا يدي عبدِ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (١٨٠٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٢٣٣٨)، ومسلم (١٥٥١) (٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ابْنِ عُمَرَ ورِجْلَيه. ثم إنَّ المسلمين استغنوا عن بقائهم بخَيْبرٍ، وكان الشرطُ الذي بينَهم وبينَ النبيِّ ﷺ أنا نُقِرُّهم ما شِئْنا، فلما حصلَ منهم العدوانُ، واستغنىٰ عنهم المسلمون أجلاهم عُمَرُ في سنةِ عشرينَ من الهجرةِ إلىٰ تَيْمَا وأرِيحا.

وفي هذه الغزوةِ أَهْدَتِ امرأةٌ يهوديةٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ شاةً مسمومةً، فأكل منها هو وبعضُ أصحابه، لكنه ﷺ مَضَغَها ولم يُسِغْها ولفَظَهَا. ثم دعا بالمرأة فقال: «**ما حَمَلَكِ علىٰ ذلك؟**» قالت: أَرَدْتُ إن كُنتَ تُرِيدُ المُلْكَ أنْ نَستريحَ منك، وإن كنتَ نبياً فستخبر بها[١]. قال أنسٌ: فما زِلْتُ أعْرِفُها في لَهَوَاتِ لَهَاةِ النبيِّ ﷺ، وقالت عائشةُ رضي الله عنها: كان النبيُّ ﷺ يقول في مرضِه الذي مات فيه: «**يا عائشةُ ما زلت أَجِدُ ألمَ الطعامِ الذي أكلتُ بخَيْبر**»[٢].

فهذا تاريخُ اليهودِ مع الإسلام وأَهلِه. قاتلَهم اللهُ وأذلَّهم، وقلبَهم علىٰ أعقابِهم خائبين، إنه جوادٌ كريمٌ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد ١/٣٠٥، وأبو داود (٤٥٠٨)، والبيهقي ٨/٣٤٦ من حديث أنس وابن عباس رضي الله عنهما. وأبو داود (٤٥١٢) عن أبي سلمة مرسلاً.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٤٤٢٨)، وأبو داود (٤٥١٢) عن أبي سلمة مرسلاً.

عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٠٩].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

صلح الحديبية

الحمدُ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسَ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أن من أهمِ العلومِ وأنفعِها سيرةَ النبيِّ ﷺ وتاريخَ حياتِه ومعرفةَ ما هو عليه في عباداتِه وأخلاقِه ومعاملاتِه في أهلِه وأصحابِه وأوليائِه وأعدائِه ليُتَّبَع في ذلك لأنه ﷺ الأسوةُ والإمامُ، تهتدون بنورِ شريعتِه وتسيرون علىٰ سُنتِه، وفي هذا الشهْرِ أعني شهرَ ذي القَعدةِ من السنةِ السادسةِ من الهجرةِ خرج النبيُّ ﷺ من المدينةِ إلىٰ مكةَ يريدُ العمرةَ ومعه من أصحابِه نحوُ ألفٍ وأربعمائة، فأحرم من ذي الحُليفةِ، فلما علمت قريشٌ بذلك جمعوا له جموعاً ليصدُّوه عن البيتِ ويُقَاتلوه علىٰ ذلك، فسار النبيُّ ﷺ حتىٰ إذا كان في الثَّنِيَّةِ التي يَهْبِطُ عليهم منها بَرَكَتْ ناقتُه واسمها القَصْوَاءُ فزجرَها الناسُ لتقومَ فلم تَقُمْ، فقالوا: خَلأَتِ القصواءُ، خَلأَتِ القصواءُ، أي حَرَنَتْ، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما خَلأَتِ القصواءُ، وما ذاك لها بِخُلُقٍ ولكنْ حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ، والذي نفسي بيدِه لا يسألوني خُطةً يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ اللهِ إلا**

أعطيتُهم إياها»(١)، ثم زجرَها فوثبت فعدَلَ عن قريشٍ حتىٰ نزل بأقصىٰ الحديبية وفزعت قريشٌ لنزوله عليهم فبعث النبيُّ ﷺ إليهم عثمانَ بْنَ عفانَ رضي الله عنه ليخبرَهم بما يُرِيدُ رسولُ اللهِ ﷺ ويدعوهم إلىٰ الإسلام، فبلَّغَ عثمانُ رضي الله عنه أبا سفيان وعظماءَ قريشٍ ما بعثه به رسولُ الله ﷺ فقالوا له: إنْ شِئْتَ أن تطوفَ بالبيت فطُفْ به، فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتىٰ يطوفَ به رسولُ الله ﷺ، واحتبست قريشٌ عثمانَ عندها، فبلَغَ النبيَّ ﷺ أن عثمانَ قُتِل فدعا ﷺ أصحابَه إلىٰ البيعةِ علىٰ القتالِ وأن لا يَفِروا إلىٰ الموت، وجلس تحت شَجَرةٍ سَمُرةٍ في الحديبية فجعلوا يبايعونه، وأخذ بيد نفسه فقال: هذه عن عثمان في ذلك يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨]، وأخبرَ النبيُّ ﷺ أنه لا يدخلُ النارَ أحدٌ بايع تحتَ الشجرةِ، فبينما هم كذلك جاء بُديلُ بْنُ ورقاءَ الخزاعيُّ وكانت خُزَاعةُ ذوي نُصْحٍ للنبيِّ ﷺ فأخبره بما أعدت قريشٌ لرسولِ الله ﷺ وأنهم سيقاتلونه ويصدونه عن البيت، فقال النبيُّ ﷺ: **«إنا لم نَجِئْ لقتالٍ وإنما جئْنا معتمرين، وإن قريشاً قد نَهكَتْهم الحربُ وأضَرَّت بهم فإن شاؤوا هادنتهم مدةً ويخلو بيني وبين الناس، فإن**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما.

أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناسُ فعلوا وإلا فقد جُموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم علىٰ أمرِي هذا حتىٰ تنفرد سالفتي ولينفذن اللهُ أمرَه»(١) فأخبر بُديلٌ قريشاً بما قال له النبيُّ ﷺ، فقام عروةُ بْنُ مسعودٍ الثقفيُّ، فقال لقريشٍ: إنَّ هذا - يعني النبيَّ ﷺ - قد عرضَ عليكم خطة رُشْدٍ فاقبلوها ودعوني آته، فقالوا: ائته، فجاء إلىٰ النبيِّ ﷺ فجعل يكلِّم النبيَّ ﷺ كلما تكلم بكلمة أخذ بلحيةِ النبيِّ ﷺ، وكان المغيرةُ بْنُ شعبةَ ابْنُ أخِي عروةَ قائماً علىٰ رأس النبيِّ ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفَرُ، فكلما أهوىٰ عروةُ بيدِه ضربَها المغيرةُ بنعلِ السيفِ، وقال: أخِّرْ يدَك عن لحيةِ رسولِ الله ﷺ، فقال عروةُ للنبيِّ ﷺ: إني لأرىٰ أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويَدَعُوك فقال أبو بكر رضي الله عنه لعَروةَ: امْصُصْ بظرَ اللاتِ، أنحن نفرُّ عنه وندعه؟ ثم جعل عروةُ يرمُقُ أصحابَ النبيِّ ﷺ فواللهِ ما تَنَخَّم نخامةً إلا وقعت في كفِّ واحدٍ منهم فَدَلَكَ بها وجهَه وجِلْدَه، وإذا أَمَرَهُمْ ابتدروا أمْرَه، وإذا توضَّأَ كادوا يَقْتَتِلونَ علىٰ وَضُوئِه أي علىٰ فَضْلِ ماء وَضُوئِه، وإذا تكلموا خَفَضُوا أصواتَهم عنده وما يُحِدُّون إليه النظرَ تعظيماً له، فلما رجع عُرْوةُ قال: واللهِ لقد وفدت علىٰ الملوكِ ووفدت علىٰ قَيْصر وكِسْرىٰ والنجاشيِّ فما رأيت مَلِكاً قَطُّ يُعظمُه أصحابُه ما يُعظِّمُ

(١) أخرجه مطولاً البخاري (٢٧٣١)، وأحمد ٣٢٣/٤ من حديث المسور ومروان رضي الله عنهما.

أصحابُ محمدٍ محمداً، ثم ذكر لهم ما شاهده من الصحابة وقال: وإنه عرض عليكم خطةَ رُشْدٍ فاقبلوها، فقام رجلٌ من بني كنانةَ فقال: دعوني آتِه، فقالوا: ائتهِ، فلما أشرفَ علىٰ النبيِّ ﷺ وأصحابِه قال النبي ﷺ هذا فلانٌ وهو من قوم يعظِّمون البُدْنَ أي الإبلَ المُهداةَ إلىٰ البيت فابعثوها إليه، وأقبل الناسُ إليه يُلَبُّون فقال: سبحانَ اللهِ ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلىٰ أصحابه قال رأيت البُدْنَ قد قُلِّدت وأُشْعِرَتْ فما أرىٰ أن يُصَدُّوا عن البيت، ثم بعثت قريشٌ سُهَيْلَ بن عمرو بن عَبدِ شمسٍ كان خطيب قريشٍ ليصالحَ النبيَّ ﷺ، فدعا النبيُّ ﷺ الكاتبَ فقال: اكتبْ بسم اللهِ الرحمٰن الرحيم، فقال سُهَيلٌ: اكتبْ باسمك اللهم لأنهم ينكرون اسم الرحمٰن، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمٰن الرحيم فقال النبيُّ ﷺ: اكتب باسمك اللهم، هذا ما قَاضَىٰ عليه محمدٌ رسولُ الله، فقال سُهَيْلٌ: واللهِ لو كنا نعلمُ أنك رسولُ اللهِ ما صَدَدْنَاك عن البيتِ ولا قاتَلْناك، ولكنِ اكتبْ محمدُ بْنُ عبدِ اللهِ، فقال رسولُ الله ﷺ: واللهِ إني لرسولُ اللهِ وإن كَذَّبْتمُوني اكتب محمد بن عبد الله، وإنما تساهلَ النبيُّ ﷺ في موافقة سُهَيْلٍ لما في ذلك من تعظيمِ حُرُماتِ الله بحقن الدماءِ الحاصلِ بهذا الصلح وقد قال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يُعظِّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتُهم إياها» ثم جرىٰ الصلحُ العظيمُ الذي سماه اللهُ فتحاً علىٰ أن لا يدخلَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه مكةَ هذا العام وعلىٰ أن يعتمرَ في العامِ المقبلِ، فيخلوا بينَه وبين مكةَ ثلاثةَ أيامٍ ليس

معه إلا سلاحُ الراكبِ والسيوفُ في القُرُبِ، وعلىٰ أن مَنْ جاء من قريشٍ إلىٰ المسلمين ردوه إلىٰ قريش وإن كان مسلماً، ومَنْ جاء إلىٰ قريش من المسلمين لم يردوه، وعلىٰ وضْعِ الحربِ بين المسلمين وقريشٍ عَشْرَ سنين، وعلىٰ أنَّ مَنْ أحبَّ أن يدخلَ في عهد النبي ﷺ دخل فيه، ومَنْ أحبَّ أنْ يدخلَ في عهد قريشٍ دخلَ فيه، فهذه خمسة شروط فراجع المسلمون رسولَ الله ﷺ في ذلك، فقال: «**نَعَمْ إنه مَنْ ذهب منا إليهم فأبعدَه اللهُ ومن جاء منهم فسيجعلُ اللهُ له فَرَجاً ومَخْرَجاً**»[1] وقال عمرُ للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله ألسنا علىٰ الحق وعدوُنا علىٰ الباطل قال: بلىٰ، قال: فلِمَ نُعْطِي الدينة في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إني رسول الله ولست أعصِيه وهو ناصرِي**»[2]، قلتُ: أولستَ كنتَ تحدثنا أنّا سنأتي البيتَ فنطوف به، قال النبيُّ ﷺ: بلىٰ، فأخبرتك أنا نأتيه العامَ؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومَطُوفٌ به، وراجع عمرُ أبا بكر فقال له مثل ما قال له رسولُ الله ﷺ، وقال: استمسك بغَرْزه فواللهِ إنه علىٰ الحق، قال عمرُ: فعملت لذلك أعمالاً ما زلت أصومُ وأُصلي وأتصدقُ وأعتقُ من الذي صنعت مخافةَ كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتىٰ رجوت أن يكونَ خيراً، ثم أمر رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن ينحروا ما معهم من الهدي وأن يَحلِقوا رؤوسهم ونَحَرَ هَدْيه

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢) من حديث المسور ومروان رضي الله عنهما.

وأمرَ حالقَه فحلق رأسَه فلما رأىٰ الصحابةُ ذلك قاموا فنحَروا ما معهم من الهدي وحلَقَ بعضُهم بعضاً حتىٰ كاد يقتلُ بعضُهم بعضاً من الغمِّ مما صنعَ بهم المشركون من صدِّهم عن بيتِ اللهِ الذي أولىٰ الناسِ به رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، وفي العام المقبل خرج النبيُّ ﷺ من المدينةِ معتمراً في ذي القَعدةِ وأمر أصحابَه أنْ يكشفوا عن المناكبِ اليُمنىٰ وأن يَرْمِلُوا في طوافِهم ليُرِيَ المشركين جَلَدَهم وقُوتَهم، وكان ﷺ يحبُ إغاظةَ المشركين بكل ما يستطيع، ولقد كان في غزوةِ الحديبيةِ من آياتِ النبيِّ ﷺ ما كان من آياتِ الله، فلقد شكىٰ الصحابةُ إليه قلةَ الماءِ وبين يديه إناءٌ يتوضأُ منه فوضع يدَه فيه، فجعل الماءُ يفورُ من بين يديه كأمثال العيون، فشربوا وتوضؤوا وكانوا نحو ألف وأربعمائة(١).

أيها المسلمون: هكذا كان أعداءُ الإسلام يحاولون صدَّ المسلمين عن دينهم وشعائرِ دينهم، تارةً بالقوةِ وتارة بالمكر والخديعة، فاحذَرُوهم واعرفوا مكرَهم وخديعتَهم، وقابلوهم بما هو أشدُّ، فإنهم يمكرون ويمكرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين، اللهم اجعلنا ممن يعرفون أعداءَهم ويحذرونهم، اللهم اجعلنا أشداءَ علىٰ الكفار رحماءَ بيننا، اللهم اغفرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

غزوة تبوك

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يهدِه الله فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصَحْبِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد قال اللهُ تعالىٰ لنبيه محمدٍ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] وأمره بإبلاغ الرسالة في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال له: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] وأمَرَه حين قَوِيَ أمْرُهُ أن يُجاهِدَ الأعداءَ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩] فدعا ﷺ إلىٰ الله تعالىٰ وبلغ رسالة ربِّه، وجاهد أعداءَه بمالِه ونفسِه وصَحْبِه، حتىٰ أتمَّ اللهُ له نصرَه، ففي رمضانَ من السنةِ الثانية من الهجرةِ كانت غزوةُ بَدْرٍ، وفي شوالٍ من السنةِ الثالثةِ كانت غزوةُ أُحُدٍ، وفي ربيعِ الأولِ من السنةِ الرابعةِ كانت غزوة بني النضير إحدىٰ قبائل اليهود الذين كانوا في المدينة ونقضوا العهدَ، وفي شوالٍ من السنةِ الخامسةِ كانت غزوةُ الأحزاب، وفي ذي القعدة

من السنة السادسة كانت غزوة الحديبية، وفي محرمٍ من السنةِ السابعة كانت غزوةُ خَيبرٍ، وفي رمضانَ من السنةِ الثامنةِ كانت غزوةُ الفتحِ فتحِ مكة. وفي شوالٍ من السنةِ نفسها كانت غزوةُ حُنينٍ، وبين هذه الغزوات غزواتٌ أخرىٰ، ولهذا قال المؤرخون إنَّ الغزواتِ التي غزاها بنفسِه بلغت سَبْعاً وعشرين غزوةً، وفي رجب من السنةِ التاسعة كانت غزوةُ تَبوكَ وهي آخرُ غزوةٍ غزاها النبيُّ ﷺ بنفسِه، وكانت في زمانِ عُسْرةٍ من الناس وشدةٍ من الحرِّ وجَدْبٍ من البلاد، وحين طابت الثمارُ والناسُ يحبون المُقامَ في ثِمارِهم وظلهم ويكرهون الخروجَ لشدة الحالِ التي هم عليها، وكان النبيُّ ﷺ قد بين للناس شأن هذه الغزوة ليتأهب الناس لبُعدِ الشُّقَّةِ وعِظَمِ المشقةِ وكثرةِ العدوِّ، إذ كان قاصداً الرومَ الذين بلغه أنهم يتأهبون لغَزْوِه فدعا الناسَ إلىٰ الجهادِ والبذلِ فيه، فاجتمع إليه ثلاثون ألفاً أو يزيدون، وأنفق أغنياءُ الصحابةِ أموالاً كثيرة، فأنفق عثمانُ بنُ عفانَ رضي اللهُ عنه وحده ألفَ دينارٍ وثلاثمائة بَعيرٍ بأحلاسها وأقتابِها وعُدتِها، وأنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله أربعةَ آلافِ درهمٍ، وأنفق عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه نصفَ مالِه، وأنفق عبدُ الرحمٰن ابنُ عوفٍ وغيرُه من الصحابة أموالاً كثيرة، ولما سار النبيُّ ﷺ تخلَّف عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ومَنْ معه من المنافقين، لأنهم كانوا يقولون: لا تَنْفِرُوا في الحرِّ، فأمر اللهُ نبيَّه أنْ يقولَ: «**نار جهنم أشدُّ حراً**» وتخلف رجالٌ من المسلمين منهم الثلاثةُ الذين خُلِّفوا وأبو خَيثَمة،

لكنَّ الثلاثة بقَوْا حتىٰ رجعَ النبيُّ ﷺ وقصتُهم معروفةٌ مشهورةٌ، أما أبو خيثمة فعتب علىٰ نفسِه حين رجع إلىٰ زَوْجَتَيه فرأىٰ الظلَّ والراحةَ ثم ترك ذلك ولَحِقَ بالنبيِّ ﷺ في تبوكَ فأخبره بما صنع فدعا له بخير، وأقام النبي ﷺ في تبوكَ نحوَ عشرين ليلةً يَقْصِرُ الصلاة، وربما جمعَ بين الصلاتين قليلاً، وفي مقامه هذا صالح مَنْ حولَه ثم رجع إلىٰ المدينة ولم يلقَ عدواً، وفي هذه الغزوة أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بديارِ ثمود (الحِجْرِ) فقنَّعَ وجهَه أي غطّاه واستحث راحلَته وقال: «**لا تدخلوا علىٰ هؤلاءِ القومِ المعذبين إلا أنْ تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكينَ فلا تدخلوا عليهم**»[(١)]، وقال: «**لا تشربوا من مائِها شيئاً يعني سوىٰ بئْرِ الناقةِ ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما كان من عجينٍ عجنتموه فاعلِفُوهُ الإبلَ ولا تأكلوا منه شيئاً**»[(٢)]، وفي هذه الغزوة قال النبيُّ ﷺ حين أقبلوا علىٰ تبوك: «**إنكم ستأتون غداً إنْ شاء اللهُ عينَ تَبُوكَ وإنكم لن تأتُوها حتىٰ يَضْحَىٰ النهارُ، فمَنْ جاءها فلا يَمَسَّنَّ من مائِها شيئاً حتىٰ آتِي**» فلما أَتاها كان بها ماءٌ قليلٌ فغَرَفُوا منه قليلاً قليلاً حتىٰ اجتمع في شيءٍ، فغسل النبيُّ ﷺ به وجهَه ويديه ثم أعاده في العين فجَرَتْ بماءٍ منهمرٍ حتىٰ استقىٰ الناسُ، ثم قال النبيُّ ﷺ لمعاذٍ: «**يوشك إن طالت بك حياةٌ أن تَرَىٰ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام ١٢٩/٤. طبعة دار الخير.

ما هاهنا قد مُلِىءَ جِنَاناً»(١). وفي هذه الغزوة قال النبيُّ ﷺ: «ستَهُبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ فلا يَقُمْ منكم أحدٌ ومن كان له بَعيرٌ فلْيَشُدَّ عقالَه»(٢)، فهبت ريحٌ شديدةٌ فقام رجلٌ ـ وكأنه والله أعلم لم يعلمْ بما قال النبيُّ ﷺ ـ فحملته الريحُ حتىٰ ألقته بجبلَيْ طَيِّء، ولما أشرفَ النبيُّ ﷺ علىٰ المدينة راجعاً من تبوك قال: «هذه طابةٌ، وهذا أُحُدٌ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبه»(٣)، وخرج الناسُ يستقبلونه والصبيان يقولون:

طلــعَ البــدرُ علينــا مــن ثنيــات الــوداع
وَجَــبَ الشكــرُ علينــا مــا دعــا لله داعِ(٤)

ولما دخل المدينة بدأ بالمسجدِ فصلىٰ فيه ركعتين لأن هذه سنةُ المسافرِ، إذا قَدِمَ بلدَه أن يبدأ في المسجدِ فيصلي فيه ركعتين سنةَ القُدوم من السفر. ثم أقام النبيُّ ﷺ في المدينةِ يستقبلُ الوفودَ من جميع الجهات ويبعث البعوثَ ويبلغ دينَ الله تعالىٰ، فكانت حياتُه ﷺ كلُّها في تبليغ الرسالة والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ والجهادِ في سبيله فصلواتُ اللهِ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠٦) (١٠) بإثر الحديث (٢٢٨١).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٩٢) (١١) بعد الحديث (٢٢٨١) (٩) من حديث أبي حميد رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٢)، ومسلم (١٣٩٢) (٥٠٣) من حديث أبي حميد رضي الله عنه.
(٤) انظر «زاد المعاد» ٣/ ٤٨١-٤٨٢.

الفرع الرابع

سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

مِن سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الحمدُ للهِ الذي بعث محمداً ﷺ في خَيْرِ القرون، واختار له أكملَ الرجال عقولاً وأقومَهم ديناً، وأعْزَرَهم علوماً وأشجعَهم قلوباً، فَهُمْ إلىٰ جميع الخيرات سابقون، جاهَدوا في الله حقَّ جهاده، فأقام بهم الدينَ وأظهرَهم علىٰ جميع العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ النبيين وإمامُ المتقين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما مَنَّ به علىٰ نبيِّكم من الصحابةِ الكرام، ذوي الفضلِ والإيمانِ والإقدام، كان منهم الخلفاءُ الراشدون الأئمةُ المهديون، الذين قاموا بالخلافة بعد نبيهم ﷺ خيرَ قيام فحفظ اللهُ بهم الدينَ، وساسوا الأمةَ سياسةَ العدلِ والحَزْمِ والتمكين، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في التاريخ في مستقبلِ الزمان وماضيه تشهد بذلك أفعالُهم، وتَنْطِقُ به آثارُهم، وكان أجلُّهم قَدْراً، وأعلاهم فَخْراً أبا بكر الصديق عبدُ الله بنُ عثمانَ خليفةَ رسولِ الله ﷺ في أمته وأحبَّهم إليه، ولقد أشار النبيُّ ﷺ إلىٰ أنه الخليفةُ بعدَه إشارةً لا تقبلُ الشكَّ بالقولِ والفعلِ، أما بالقولِ فقد ثبت في صحيح البخاري أنَّ امرأةً أتتِ النبيَّ ﷺ في

حاجةٍ، فأمرَها أنْ تَرْجِعَ إليه، فقالت: أرأيتَ إنْ لم أجِدْك، فقال: «فأْتي أبا بكر»[1]. وهَمَّ ﷺ أن يكتبَ كتاباً لأبي بكر وفي رواية: «معاذَ اللهِ أن يختلفَ المؤمنون في أبي بكر»[2]، وأما الفعلُ فقد ثبتَ أن النبيَّ ﷺ خلّف أبا بكر رضي الله عنه أن يُصليَ بالناس حين مَرِضَ ﷺ، وجعله أميراً عنه في الحج، حين حَجَّ أبو بكر في الناسِ سنة تسعٍ من الهجرة، وتخليفُه إياه في إمامة الناس في هذين الركنين الإسلاميين، الركنِ الخاصِ والركنِ العام، إشارةٌ ظاهرةٌ إلىٰ أنه الخليفةُ من بعدِه ولو كان أحدٌ يستحقُّها سواه لجعل النبيُّ ﷺ ولايةَ الصلاةِ والحجِّ إليه.

كان أبو بكر رضي الله عنه من سادات قريش وأشرافهم وأغنيائهم شهد له ابن الدّغِنَة (سيد القارة) أمام أشراف قريش بما شهدت به خديجة للنبي ﷺ حين قال له: إنك تكْسِبُ المعدومَ وتَصِلُ الرحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُقْرِي الضيفَ وتُعينَ علىٰ نوائبِ الحق[3]، فلما بُعِثَ النبيُّ ﷺ بادرَ إلىٰ الإيمان به وتصديقِه، ولم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) أورده الذهبي في «سير الخلفاء الراشدين»، ص١٢، وانظر ما ورد في «مسند الإمام أحمد» ٦/١٠٦ حديث عائشة رضي الله عنها: «ادعوا لي أبا بكر وابنه فليكتب لكيلا يطمع في أمر أبي بكر طامع ولا يتمنّىٰ مُتَمَنٍّ»، ثم قال: «يأبىٰ الله ذلك والمسلمون».

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة.

يحصلْ عنده أي تردّدٍ حين دعاه إلىٰ الإيمان ولازمَ النبيَّ ﷺ طولَ إقامتِه بمكةَ وصَحِبَه في هجرته، ولازمَه في المدينةِ، وشهِدَ معه المشاهدَ كلَّها في سبيل الله، أسلم علىٰ يديه خمسةٌ من العَشَرةِ المبشرين بالجنة، وهم عثمانُ بنُ عفان، والزبيرُ بنُ العوام، وسعدُ ابنُ أبي وقاص، وطلحةُ بنُ عُبيد الله، وعبدُ الرحمٰن بنُ عوف، واشترىٰ سبعةً من المؤمنين يعذبهم الكفارُ بسبب إيمانهم فأعتقَهم، منهم بلالٌ مؤذنُ رسولِ الله ﷺ وعامرُ بنُ فُهيرةَ الذي صَحِبَهما في هجرتِهما ليخدمَهما.

صَحِبَ النبيَّ ﷺ في هجرتِه فاختص بما لم يشركْه فيه غيرُه من الصحابة حين أنزل اللهُ تعالىٰ علىٰ نبيِّه ﷺ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فكان ثاني اثنين، والصاحبُ في الغار أبا بكر رضي الله عنه، قال فيه النبيُّ ﷺ: **«إن أَمَنَّ الناسِ عليّ في مالِه وصُحْبتِه أبو بكر»**(١) وقال: **«لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخوةُ الإسلام ومودتُه»**(٢) كان رضي الله عنه أعلمَ الناسِ برسولِ الله ﷺ ومدلولِ كلامِه وفَحْواه، خطب النبيُّ ﷺ في آخرِ حياتِه، قال: **«إن اللهَ خيَّرَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) قطعة من الحديث السابق.

عبداً بينَ الدنيا وبينَ ما عنده فاختار ذلك العبدُ ما عند الله» فبكىٰ أبو بكر، فَهِمَ أن المُخَيَّر رسولُ الله ﷺ ولم يفهم الناسُ ذلك فتعجبوا من بُكاءِ أبي بكر(١).

كان رضي الله عنه أثبتَ الصحابة عند نزول النوازلِ، وحدوث الكوارثِ، لقد اضطرب الأقوياءُ من الصحابة وثبت أبو بكر، ففي صُلْحِ الحديبيةِ لم يتحملْ كثيرٌ من الصحابة الشروطَ التي وقعت بين النبي ﷺ وبين المشركين حتىٰ إن عمرَ رضي الله عنه راجَع النبيَّ ﷺ في ذلك وشَقَّ عليه، وراجَع أبا بكر فكان جوابُ أبي بكر رضي الله عنه مطابقاً لجواب رسول الله ﷺ، وحينَ وفاةِ النبيِّ ﷺ اندهش المسلمون حتىٰ قام عمرُ رضي الله فأنكرَ موتَه وقال: والله ما مات رسول الله ﷺ وليبعثنه اللهُ فليُقَطِّعَنّ أيدي رجالٍ وأرجلَهم، ولكن أبا بكر رضي الله عنه صعد المنبرَ فخطب الناس بقلبٍ ثابتٍ وأخبرهم بموت النبيِّ ﷺ وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ولما أراد تنفيذَ جيش أسامةَ بعدَ وفاةِ النبي ﷺ راجعه عمرُ وغيرُه من الصحابة أن لا يُسيِّر الجيشَ لاحتياجهم إليه في قِتال المرتدين، ولكنه رضي الله عنه صَمَّم علىٰ تنفيذه، وقال: واللهِ لا أَحُلُّ رايةً عقدَها رسولُ الله ﷺ ولو أنَّ الطيرَ تَخَطَّفَنا. ولما ارتد العربُ ومنعوا الزكاة وعَزَمَ

---

(١) قطعة من الحديث السابق.

علىٰ قتالِهم، راجعه عمرُ وغيرُه في ذلك فصمَّمَ علىٰ قتالِهم، قال: فعرفت أنه الحقُّ. وصَفَه عليٌّ رضي الله عنه، فقال: كنتَ أولَ القوم إسلاماً وأخلصَهم إيماناً، وأحسنَهم صُحْبة، وأشبهَهم برسولِ الله هَدْياً وسَمْتاً وأكرمَهم عليه، خَلَفْتَه في دينِه أحسنَ الخلافةِ حين ارتدوا، ولَزِمْتَ مِنهاجَ رسولِ الله ﷺ، كنتَ كالجَبَلِ لا تُحركُه العواصفُ ولا تُزيلُه القواصفُ، متواضعاً في نفسِك، عظيماً عند الله، أقربُ الناس عندك أطوعُهم لله وأتقاهم، تولىٰ أبو بكر الخلافةَ بعد رسول الله فسار في الناس سيرةً حميدةً، بارك اللهُ في مدةِ خلافتِه علىٰ قِلّتِها، فقد كانت سنتين وثلاثة أشهرٍ وثمانيةَ أيامٍ، ومات ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ليلةَ ثلاثٍ وعشرين من جُمادىٰ الثانية سنة ثلاثَ عشرةَ من الهجرة، رضي الله عنه وأرضاه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي بعث نبيَّه محمداً ﷺ في خَيْرِ القرون، واختار له من الأصحاب أكملَ الناس عقولاً وأقومَهم ديناً وأغزرَهم علماً وأشجعَهم قلوباً، قوماً جاهدوا في الله حقَّ جهادِه، فأقام بهم الدينَ وأظهرَهم علىٰ جميع العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ النبيين وإمامُ المتقين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما مَنَّ اللهُ به علىٰ نبيِّكم من الصحابةِ الكرامِ ذوي الفضائلِ العديدة والخصالِ الحميدة الذين نصرَ الله بهم الإسلامَ ونصرَهم به، وكان منهم الخلفاء الراشدون والأئمةُ المهديون الذين قاموا بالخلافةِ بعدَ نبيِّهم خيرَ قيامٍ، فحافظوا علىٰ الدينِ وساسوا الأمةَ بالعدلِ والحَزْمِ والتمكين، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في التاريخ في مستقبلِ الزمانِ وماضِيه، تشهدُ بذلك أفعالُهم وتَنْطِقُ به آثارُهم، وكان أجلُّهم قدراً وأعلاهم فخراً أبا بكر الصديق رضي الله عنه، عبدَ الله بن عثمان، فما طلعت الشمسُ ولا غربت علىٰ أحدٍ بعد النبيين خَيْرٍ من أبي بكر، خلف النبي ﷺ في أمته بإشارة من النبي ﷺ فقد ثبت في صحيحِ البخاريِّ أنْ امرأةً جاءت إلىٰ النبيِّ ﷺ في حاجةٍ فأمرَها أن

ترجعَ إليه، فقالت: أرأيت إن لم أجِدْك ـ كأنها تريد الموت ـ قال: فأتي أبا بكر[١]، وهَمَّ ﷺ أنْ يكتبَ كتاباً لأبي بكر ثم قال: يأبىٰ اللهُ والمسلمون إلا أبا بكر، وفي روايةٍ: «**معاذَ الله أنْ يختلفَ المؤمنون في أبي بكر**»، وخلَفه النبيُّ ﷺ علىٰ الناسِ في الصلاةِ والحجِّ، فقد أمر أنْ يُصَلِّيَ أبو بكر بالناسِ حين مَرِضَ النبيُّ ﷺ وجعله أميراً علىٰ الناس في الحجِّ سنة تسعٍ من الهجرة وكُلُّ هذا إشارةٌ إلىٰ أنه الخليفةُ بعدَه، ولو كان أحدٌ يستحقُّ الخلافةَ بعدَ النبيِّ ﷺ سوىٰ أبي بكر لخلَّفه النبيُّ ﷺ في الصلاةِ والحجِّ.

كان أبو بكر رضي الله عنه من ساداتِ قريشٍ وأشرافِهم وأغنيائِهم شَهِدَ له ابنُ الدَّغِنَةِ (سيد القارة) أمام أشراف قريش بما شهدت به خديجة للرسول ﷺ حين قال له: إنك تُكْسِبُ المعدومَ وتَصلُ الرحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُقْرِي الضيفَ وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ[٢]، فلما بُعِث النبيُّ ﷺ بادرَ رضي الله عنه إلىٰ الإيمان به وتصديقِه ولم يترددْ حين دعاه إلىٰ الإيمان، ولازم النبيَّ ﷺ طولَ إقامتِه بمكةَ وصَحِبَهُ في هجرته ولازَمه في المدينة، وشَهِدَ معه جميعَ الغزواتِ، أسْلَمَ علىٰ يده خمسةٌ من العَشَرةِ المشرين بالجنةِ وهم عثمانُ بنُ عفانَ والزبيرُ بن العوامِ وسعدُ بن أبي وقاص وطلحةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ابنُ عُبَيدِ اللهِ وعبدُ الرحمٰن بن عَوْفٍ، واشترىٰ سبعةً من المسلمين يعذبُهم الكفارُ بسبب إسلامِهم فأعتقهم، منهم بلالٌ مؤذنُ رسولِ الله ﷺ وعامرُ بنُ فُهَيْرةَ الذي صَحِبَهما في هجرتِهما ليخدمَهما وكان أولَ من جمعَ القرآنَ، وأولَ من سمىٰ القرآنَ مصحفاً وأول من سُمِّي خليفةً في هذه الأمةُ وأولَ من ولي الخلافة وأولَ خليفةٍ. مات وأبوه حيٌّ، كان رضي الله عنه أعلمَ الناس برسولِ الله ﷺ ومدلولِ كلامه وفَحْوَاه، فقد خطب النبيُّ ﷺ في آخرِ حياته وقال: «**إنَّ عبداً خيَّرَه اللهَ بينَ الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**». ففَهِمَ أبو بكر رضي الله عنه أن المُخَيَّرَ رسولُ الله ﷺ فبكىٰ، فعجِبَ الناسُ من بكائه، لأنهم لم يفهموا ما فَهِم، وكان رضيَ اللهُ عنه أحبَّ الناسِ إلىٰ رسولِ الله ﷺ قال فيه النبيُّ ﷺ وهو يخطبُ الناس: «**إن أمَنَّ الناسِ عليَّ في مالِه وصُحْبَتِه أبو بكر، ولو كنتُ متخذاً من أُمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوةُ الإسلام ومودتُه**»[١]، وجاء مرةً إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله إنه كان بيني وبين ابنِ الخطاب شَيْءٌ فأسرعتُ إليه ثم نَدِمتُ فسألتُه أنْ يغفرَ لي فأبىٰ فأقبلت إليك، فقال النبيُّ ﷺ: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً، ثم إن عُمَرَ نَدِمَ فأتىٰ منزل أبي بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر، قالوا: لا، فجاء إلىٰ النبيِّ ﷺ فسلَّم فجعل وجْهُ النبيِّ ﷺ يتَمَعَّرُ حتىٰ أشفقَ أبو بكر أنْ يقولَ النبيُّ

---

(١) هذا والذي قبله في حديثٍ واحدٍ أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ﷺ لعُمَرَ ما يَكْرَه، فجَثَا علىٰ رُكْبَتَيْهِ فقال: يا رسولَ اللهِ واللهِ أنا كنت أظلمَ مرتين، قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ بعثني إليكم فقلتم: كَذَبْتَ، وقال أبو بكر: صَدَقَ، وواساني بنفسِه ومالِه، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**» مرتين فما أُوذِي بعدَها[1]، وكان رضي الله عنه أثبتَ الصحابة عند النوازلِ والكوارثِ، ففي صُلْحِ الحديبية لم يتحملْ كثيرٌ من الصحابةِ الشروطَ التي وقعت بينَ النبيِّ ﷺ وبين قُريش، وكان منها أن يرجعَ النبيُّ ﷺ من الحديبية دون تكميل عُمْرَتِه وأن مَنْ جاء مِنْ قريشٍ إلىٰ النبيِّ ﷺ ردَّه إليهم وإن كان مسلماً، ومَنْ جاء من المسلمين إلىٰ قريش لم يرده، حتىٰ إنَّ عُمَرَ راجعَ النبيَّ ﷺ في ذلك، فقال النبيُّ ﷺ: «**إني رسولُ الله ولستُ أعِصيه وهو ناصِري**»[2]، فذهب عُمَرُ إلىٰ أبي بكرٍ رضي الله عنهما فقال أبو بكر: أيها الرجلُ إنه لرسولُ الله وليس يَعْصِي ربَّه وهو ناصرُه فاسْتَمْسِكْ بغَرْزِه، فواللهِ إنه علىٰ الحق، فكان جوابُ أبي بكر كجوابِ النبيِّ ﷺ سواءً بسواءٍ، وفي هذا دليلٌ علىٰ أنه أكملُ الصحابة وأشدُّهم ثباتاً في مواطن الضِّيق، ولما تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ اندهش المسلمون لذلك، حتىٰ قام عمرُ رضي الله عنه وأنكر موتَه، وقال: واللهِ ما مات رسولُ الله ولَيبعثَنَّه اللهُ، فلَيَقطِّعَنَّ أيديَ رجالٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢) من حديث المسور ومروان رضي الله عنهما.

وأرجلَهم (من خِلاف). ولكن أبا بكر رضي الله عنه جاء فكشف عن رسول الله ﷺ فقبّلَه وقال: بأبي أنت وأمي طِبْتَ حياً وميتاً، ثم خرج إلىٰ الناس فصعِدَ المنبرَ فخطبَ الناسَ بقَلْبٍ ثابتٍ، وقال: ألا مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌ لا يموتُ وتلا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ولما أراد أنْ يُنفِذَ جيشَ أسامةَ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ راجعه عمرُ وغيرُه من الصحابة أنْ لا يُسيِّرَ الجيشَ من أجل حاجتهم إليه في قتالِ أهلِ الرِّدَّةِ ولكنه رضي الله عنه صَمَّمَ علىٰ تنفيذه، وقال: واللهِ لا أُحُلُّ رايةً عقدَها رسولُ اللهِ ﷺ ولو أنَّ الطيرَ تَخَطَّفَنا، ولما مات رسولُ الله ﷺ وارتدَّ مَنِ ارْتدَّ مِنَ العربِ ومَنعُوا الزكاةَ عزمَ علىٰ قتالِهم فراجعَه مَنْ راجعَه في ذلك فصمَّمَ علىٰ قتالهم، قال عمر: فعرفت أنَّ ذلك هو الحقُّ. وصفه عليٌّ رضي الله عنه فقال: كنتَ أولَ القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأحسنهم صُحْبةً، وأشبههم لرسولِ الله ﷺ هَدْياً وسَمْتاً، وأكرمَهم عليه، خَلَفْتَه في دينه أحسنَ خلافةٍ حين ارتدوا ولَزِمْتَ منهاجَ رسولِ الله ﷺ، كنتَ كالجَبلِ لا تُحَركُه العواصفُ ولا تُزيلُه القواصفُ، متواضعاً في نفسِك عظيماً عندَ الله، أقربُ الناس عندك أطوعُهم لله وأتقاهم، وقال: كان خليفةَ رسول الله ﷺ رَضِيَه لديننا فرَضِيناه لدنيانا.

تولىٰ أبو بكر الخلافةَ بعدَ رسول الله ﷺ فسار في الناس سيرةً حميدةً وبارك اللهُ في مدة خلافته علىٰ قِلَّتِها، فقد كانت سنتين وثلاثة أشهرٍ وتسع ليالٍ، ومات ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ليلةَ ثلاثٍ وعشرين من جُمادىٰ الثانية سنة ثلاثَ عشرةَ من الهجرة، وإنَّ من برَكتِه أنْ خلفَ علىٰ المسلمين أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، فإنَّ هذا من حسناتِه رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



من سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي بعث محمداً ﷺ واختار له خيرَ القرون صَحْباً وأفضلَهم ديناً وكَرماً وحَسَباً، فهم أبرُّ الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً، قاموا بصحبة نبيهم خيرَ قيامٍ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتىٰ أعلىٰ اللهُ بهم كلمةَ الإسلام، كان منهم الخلفاءُ الراشدون والأئمةُ المهديون، أبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ فنِعْمَ الهداةُ المهتدون، كان أجلَّهم قدراً وأعلاهم فخراً أبو بكر الصديقُ عبدُ الله بنُ عثمانَ خليفةُ رسول الله ﷺ وأحبُّ الرجال إليه، الذي أنزل الله فيه ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

كان رضي الله عنه من سادات قريش ولما بُعث النبي ﷺ بادر إلىٰ الإيمان به وتصديقه، ولازمه طول إقامته بمكة، وصَحِبَه في هجرته، وشهد معه المشاهدَ كلَّها فلم يتخلفْ في واحدٍ منها رضي الله عنه، وكان عنده حين أسلَم أربعون ألف درهمٍ فأنفقها في سبيل الله وعَوْلِ المسلمين، وأعتق سبعةً من المؤمنين يعذبهم الكفارُ بسبب إيمانهم، فاشتراهم وأعتقَهم، ومنهم بلالٌ وعامرُ بن فُهيرةَ، وأسلم علىٰ يديه من العشرة المبشرين بالجنة عثمانُ وطلحةُ والزبيرُ وسعدٌ وعبدُ الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهم. ولما خرج مع

رسول الله ﷺ في الهجرة جعل يمشي ساعةً بينَ يديه وساعةً خَلْفَه، فسأله رسولُ الله ﷺ عن ذلك: فقال: يا رسولَ الله أذكر الطلَبَ فأمشي خَلْفَك ثم أذكر الرَّصَدَ فأمشي بين يديك، فقال: «يا أبا بكر لو كان شيءٌ أحْبَبتَ أن يكونَ بك دوني» فقال: نعم، والذي بعثك بالحق[1]، فلما وصلوا إلىٰ الغارِ مكثوا فيه ثلاثةَ أيامٍ ليُكفَّ عنهما الطلَبُ، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله لو أنَّ أحدَهم نظرَ ما تحت قدميه لأبصرَنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما، لا تحزن، إنَّ الله معنا»[2] وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ بعثني إليكم فقلتم: كَذَبْتَ، وقال أبو بكر صَدَقَ، وواساني بنفسِه وماله»[3]. وقال: «إنَّ أمَنَّ الناسِ عليَّ في مالِه وصُحْبتِه أبو بكر»[4] وقال: «لو كنتُ متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»[5] ولما استأذن علىٰ النبي ﷺ قال: ائذن له وبشِّره بالجنة[6]، وقال ﷺ:

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٧ (٤٢٦٨) عن محمد بن سيرين مرسلاً.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أنس رضي الله عنه، دون الجملة الأخيرة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٧٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

«مَنْ أصبح اليومَ منكم صائماً فقال أبو بكر: أنا، قال: فمن تَبعَ اليوم منكم جنازةً، فقال أبو بكر: أنا، قال: ومَنْ أطعمَ اليوم منكم مِسكيناً، قال أبو بكر: أنا، قال: فمَنْ عاد اليوم منكم مريضاً، قال أبو بكر: أنا، قال النبي ﷺ: ما اجتمَعْنَ في امرىءٍ إلا دخلَ الجنة»[١]. وقال عمر رضي الله عنه: أمرنا النبيُّ ﷺ أنْ نتصدقَ ووافق ذلك مني مالاً، فقلت: اليومَ أَسْبِقُ أبا بكر إن سبقته، فجئتُ بنصْفِ مالي، فقال ﷺ: ما أبقيتَ لأهلِك، قلت: مِثْلَه، وأتىٰ أبو بكر بكُلِّ ما عندَه، فقال: يا أبا بكر ما أبقَيتَ لأهلك، قال: أبقيتُ اللهَ ورسولَه، قلت: لا أسبقه إلىٰ شيء أبداً[٢].

مرضَ ﷺ وجعلَ أبا بكر إماماً للناس في الصلاة، ولما تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ كان أشد الصحابة ثباتاً مع أنه أحبُّ الناس إليه، فإنَّ عمرَ رضي الله عنه قام في الناس يقول: والله ما مات رسولُ الله ﷺ وليبعثَنَّه الله فليُقَطِّعَنَّ أيدي رجالٍ وأرجلَهم، فجاء أبو بكر فكشفَ عن رسولِ الله ﷺ فقبّلَه، وقال: بأبي أنت وأمي طِبْتَ حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقُك الله المَوْتَتين أبداً، ثم خرج إلىٰ الناس فحمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، وقال: ألا مَنْ كان يعبدُ محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإن اللهَ حيٌّ لا يموت، ﴿ وَمَا

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولما تمتَّ البيعةُ له، قام في الناس فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ فقد وُلِّيتُ عليكم، ولستُ بخَيْرِكم فإنْ أحسنتُ فأعينُونِي وإن أسأت فقوِّمُوني، الصدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتىٰ أُرجِعَ حقَّه إليه إنْ شاء الله، والقَوِيُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتىٰ آخذَ الحق منه إنْ شاء الله، لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا خذلَهم اللهُ بالذُلِّ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلا عمّهم اللهُ بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولَه، فإذا عصيتُ اللهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم، وقد سار في الناس سيرةً حسنةً في خلافته، وكانت وفاتُه رضي اللهُ عنه آخرَ هذا الشهرِ فرضي اللهُ عنه وجزاه عن أمةِ محمدٍ خيراً.

أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واقتفُوا آثارَ إخوانِكم السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، اللهم اهْدِنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرة وهو الحليمُ الخبيرُ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعْرِفُوا فواضلَ مَنْ سَبقَكم لتَقْتُدوا بها وتنتفعوا بها، كان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه الخليفةَ الثانيَ بعد رسول الله، وله مِنْ صُحْبةِ رسول الله ﷺ، وقَدَمٍ في الإسلام، وعَدالةٍ في الولاية، ما هو معلومٌ مشهورٌ، فعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«بينا أنا نائمٌ رأيت الناسَ عُرِضُوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ فمنها ما يبلغُ الثُدِيَّ، ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك، وعُرض عليّ عمرُ وعليه قميصٌ اجتره»**، قالوا: فما أوَّلْتَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: الدِّينَ[1]. وعن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أُريت في المنام أني أنْزِعُ بدَلْوِ بكْرةٍ علىٰ قَليبٍ، فجاء أبو بكر فنزَع ذنوباً**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

أو ذنوبين، فنزعَ نَزْعاً ضعيفاً، واللهُ يغفرُ له، ثم جاء عمرُ فاستحالت غَرْباً. فلم أرَ عَبقرياً يَفرِي فَرِيَه حتىٰ روىٰ الناس وضربوا بعطنٍ»[1].

وأقسم النبي ﷺ أنه ما لقي الشيطان عمر سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فَجِّه»[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأةٌ تتوضأُ إلىٰ جانب قَصْرٍ، فقلت: لِمَنْ هذا القصرُ، فقالوا: لِعُمَر، فذكرت غيرتَه فوليت مدبراً»، فبكىٰ عمر، وقال: أعليك أغارُ يا رسول الله[3].

وقد كان يسوسُ الناسَ بالعدلِ والحكمةِ، قال سالمُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرَ: كان عمرُ إذا نهىٰ الناسَ عن شيءٍ جَمَعَ أهلَه فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإن الناسَ ينظرون إليكم نظر الطير إلىٰ اللحم، والله لا أجِدُ أحداً منكم فعلَه إلا أضعَفْتُ عليه العقوبة.

وقال أسْلَمُ: خرج عمرُ إلىٰ حَرَّةٍ من حرات المدينة وأنا معه فإذا نارٌ تُسَعَّرُ، فقال: يا أسلم إني أرىٰ هؤلاء رَكْباً قَصَرَ بهم الليلُ والبردُ، انطلق بنا إليهم فَهَرْوَلْنا، فدَنَوْنا منهم فإذا بامرأة معها صِبيانٌ لها،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٢٧)، ومسلم (٢٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقِدْرٌ منصوبةٌ علىٰ نارٍ، وصِبيانُها يَتضاغَوْن، فقال عمرُ: السلامُ عليكم يا أصحابَ الضَّوْءِ وكَرِهَ أنْ يقولَ: يا أصحابَ النار، فقال: ما بالُكم؟ قالت: قَصُرَ بنا الليلُ والبردُ، فقال: ما بالُ هؤلاءِ الصبيةِ يتَضاغَون؟ قالت: مِنَ الجوع، قال: وأيُّ شيءٍ في هذا؟ قالت: ماءٌ أسكتهم به وأوْهِمُهم أني أُصْلِحُ لهم شيئاً حتىٰ يناموا، اللهُ بيننا وبين عمرَ، فقال: رَحِمَكِ اللهُ ما يَدري بكم عمرُ، قالت: يَتَولّىٰ أمرَنا ويَغْفُلُ عنا ثم ذهب فحَمَل لها عدلَ دقيقٍ فيه شَحْمٌ فحاول أسْلمُ أنْ يحملُ ذلك عنه فأبىٰ، وقال: أنت تحملُ عني وزْرِي يومَ القيامة، فوصل إلىٰ المرأة، فجعل يُصْلِحُ الطعامَ لها ويقول: ذَري علي وأنا أَحَرِّكُ لك، وجعل ينفخُ تحت القِدْر والدُّخانُ يخرجُ من خَلَلِ لِحْيَتِه حتىٰ نضجَ، فأنزل القِدْرَ ثم أتته بصَحْفَةٍ فأفْرَغَها حتىٰ شَبعَ الصبيةُ، فتَنَحّىٰ حتىٰ رأىٰ الصبيةَ يضحكون ويصطرعون، فقال عمرُ: الجوعُ أسْهرَهم وأبكاهم، فأحببتُ أن لا أنصرف حتىٰ أرىٰ ما رأيت فيهم، وقال رضي الله عنه: لئن عشْتُ إنْ شاء الله لأسيرَنَّ في الرعية حولاً وذكر في كل ناحية شهرين، لأني أعلم أنَّ للناس حوائج تُقطعُ دوني، أما عُمَّالُهم فلا يرفعونها إليّ، وأما هم فلا يَصِلُون إليّ. وقال عليُ بنُ أبي طالب: رأيت عمرَ يطوفُ بالكعبة عليه إزارٌ فيه إحدىٰ وعشرون رُقعة فيها أُدُم (أي جلود).

ومع سلوكه مع رعيته هذا المسلك الحسنَ فإنه في آخر هذا الشهر شهر ذي الحجة خرج ليصلي صلاةَ الصبح بالناس وهو في

المدينة فما هو إلا أن كبَّر فسُمعَ يقول: قتلني الكَلْبُ، حين طعنه أبو لُؤلُؤة، وقد طعنه بسكين لها طَرَفان لا يمرُّ علىٰ أحدٍ يميناً وشمالاً إلا طعنَه، فطرح عليه رجلٌ من المسلمين بُرْنُساً، فلما رأىٰ أنه مأخوذ نحر نفسه، فاحتُمل عمر إلىٰ بيته وكأنَّ الناسَ لم تُصِبْهم مصيبةٌ قبلَ ذلك، فجيءَ إليه بلبنٍ ونَبيذٍ فشربه فخرج من جُرْحِه فعرفوا أنه ميت، فجاء الناس يُثنون عليه وفيهم شابٌّ فقال: أبشر يا أميرَ المؤمنين ببُشرىٰ الله لك من صحبة رسول الله ﷺ، وقَدَمٍ في الإسلام، ما قد علمت، ثم وَليت فعدلت ثم شهادة، فقال: وَدِدتُ أن ذلك كَفاني لا عليَّ ولا لي فلما أدبر الشابُ إذا إزارُه يَمَسُ الأرض، فقال: ردوا عليّ الغلام، فجاء إليه فقال عمرُ: يا ابنَ أخي ارفع ثوبَك فإنه أبقَىٰ لثوبك، وأتقىٰ لربك، يا عبد الله بنَ عمرَ انظرْ ما عَلَيّ من الدين فحَسَبُوه فإذا هو ستةٌ وثمانون ألفاً أو نحوَها، فقال: إن وفى مال آل عمرَ فأدِّه من أموالهم، وإلا فَسَلْ في بني عَدِيٍّ بن كَعْبٍ، فإن لم تف أموالهم فسل في قُريشٍ ولا تَعْدُهم إلىٰ غيرهم، وانطلق إلىٰ عائشةَ أمِّ المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام، ولا تقل أميرُ المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقُلْ يستأذن عمرُ أن يُدْفَنَ مع صاحبيه، فلما دخل عليها عبدُ الله بن عمر وجدها قاعدةً تبكي فأخبرها بقول عمر، فقالت رضي الله عنها: كنت أُريدُه لنفسي ولأوثرنه به اليومَ علىٰ نفسي، فلما أقبل قيلَ هذا عبدُ الله بنُ عمرَ قد جاء، فقال: ارفعوني فأسندَه رجلٌ إليه

فقال: ما لديك؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين، أَذِنَت، قال: الحمدُ لله، ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلِّم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلوني وإلا فردوني إلىٰ مقابر المسلمين وإنما أمرَهم رضي اللهُ عنه باستئذانِ عائشةَ بعدَ موته لأنه خَشِيَ أن تكون أذنَت في حياته حياءً وتعظيماً وهيبةً، فرضي اللهُ عنه وأرضاه جزاه عنا خيراً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعْرِفُوا حكمتَه البالغةَ في شرعه، وخلقه وتقديره، فإنه سبحانه اختار نبيَّه محمداً ﷺ للرسالةِ إلىٰ الخلق بهذا الدينِ الكاملِ لينشرَه بينَ العالمين، واختارَ له من الأصحابِ أفضلَ الناس بعدَ النبيين، أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقَها عملاً، وأقلَّها تكلفاً، جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه في حياة نبيِّهم وبعدَ وفاتِه، فنصرَ اللهُ بهم الدينَ ونصرَهم به وأظهرَهم علىٰ كلِّ الأديان وأهلِها.

كان منهم الخلفاء الراشدون الأئمة المهديون، الذين قَضَوْا بالحقِّ، وبه كانوا يعدلون، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في مستقبلِ الزمان وماضيه، تشهدُ بذلك أفعالُهم، وتنطقُ به آثارُهم. أبو بكر الصديقُ عبد الله بن عثمان، وأبو حفصٍ الفاروقُ عمرُ بنُ الخطاب، وأبو عبد الله ذو النورين عثمانُ بن عفان، وأبو الحسن ابنُ عمِّ النبي ﷺ، عليُ بنُ أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وكان أفضلُهم خليفةَ رسولِ الله ﷺ، ورفيقَه في الغار الذي نطق بما نطق به رسولُ الله ﷺ، عامَ الحديبيةِ حين اشتدَ الأمرُ علىٰ كثيرٍ من المهاجرين والأنصار. وثبَّتَ اللهُ به المسلمين يومَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، ونصرَ اللهُ به الإسلام حين ارتدَّ مَنِ ارْتدَّ مِنَ العرب بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ.

وكان مِنْ بركتِه علىٰ هذه الأمة، ونُصْحِه لها ووُفورِ عَقْلِه، وصِدْقِ فِراسَتِه، أن استخلف علىٰ الأمة بعدَه وزيرَه وقرينَه عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: **«لقد كان فيما قبلكم من الأممِ ناسٌ مُحَدَّثون يُكَلَّمون من غير أنْ يكونوا أنبياء، فإنْ يك في أمتي أحَدٌ فإنه عمرُ»**[1] وقال ﷺ يخاطب عُمرَ: **«والذي نفسي بيده ما لَقِيكَ الشيطانُ سَالِكاً فَجّاً قَطُّ إلا سَلكَ فجاً غيرَ فَجِّك»**[2] وسأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ، عن أحبِّ الرجال إليه، فقال: **«أبو بكر»** قال: ثُم مَنْ؟ قال: **«عمرُ بنُ الخطاب»** وعدَّ رجالاً[3]، وأخبر النبيُّ ﷺ، أنه كان ينزِعُ من بِئْرٍ فجاء أبو بكر فنزعَ ذنوباً أو ذَنُوبين، يعني دلواً أو دلوين، قال: **ثم أخذها ابنُ الخطاب**

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

من يدِ أبي بكر فاستحالت في يدِه غَرْباً فلم أرَ عَبقرياً من الناس يَفْري فرِيَّه، حتىٰ ضرب الناس بعطن[١].

ولقد صدق الله رسولَه الرؤيا فتولىٰ الخلافةَ عمرُ بنُ الخطاب بعد أبي بكر رضي الله عنهما وقَويَ سلطانُ الإسلام وانتشرَ في مشارقِ الأرض ومغاربها، ففتِحَتْ بلادُ الشامِ والعراقُ، ومصرُ وأرمينيةُ وفارسٌ، حتىٰ إنه قيل إنَّ الفتوحاتِ في عهدِه بلغت ألفاً وستاً وثلاثين مدينةً مع سوادِها بُنِيَ فيها أربعةُ آلافِ مسجدٍ.

وكان رضي الله عنه مع سَعَةِ خلافته مُهْتَماً برعيته قائماً فيهم خيرَ قيام. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: إنَّ اللهَ أعزَّ به الإسلام، وأذَلَّ به الشركَ وأهلَه، وأقام شعائرَ الدينِ الحنيفِ ومنعَ من كُلِّ أمرٍ فيه نُزوعٌ إلىٰ نَقْضِ عُرَىٰ الإسلام، مطيعاً في ذلك اللهَ ورسولَه، وقَّافاً عندَ كتاب الله ممتثلاً لسنةِ رسولِ الله ﷺ، محتذياً حَذْوَ صاحبيه مشاوراً في أمورِه السابقين الأولين، مثلَ عثمانَ، وعليٍّ، وطلحة، والزبير، وغيرهم ممن له عِلْمٌ، أو رأيٌ أو نصيحةٌ للإسلام وأهلِه.

حتىٰ إنَّ العمدةَ في الشروط علىٰ أهلِ الذمةِ علىٰ شروطه فقد شرط رضي اللهُ عنه علىٰ أهلِ الذمةِ من النصارىٰ وغيرِهم ما ألزموا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

به أنفسهم من إكرامِ المسلمين والتميزِ عنهم في اللباس والأسامي وغيرها. وأن لا يُظْهِرُوا الصُّلُبَ علىٰ كنائسِهم، ولا في شيءٍ من طُرُقِ المسلمين. وأن لا يَنْشُروا كُتبَهم أو يُظْهِرُوها في أسواقِ المسلمين.

ولقد كان رضي الله عنه يمنعُ من استعمال الكفار في أمورِ الأمة، أو إعزازهم بعد أنْ أذلهم الله، قال أبو موسىٰ الأشعريُ رضي الله عنه: قلت لعمرَ رضي الله عنه إن لي كاتباً نصرانياً، فقال: ما لك قاتلك الله! أما سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؟! [المائدة: ٥١] ألا اتخذت حنيفاً، يعني مسلماً، قال: قلت يا أميرَ المؤمنين لي كتابتُه وله دينُه. قال: لا أُكرِمُهم إذ أهانَهم اللهُ، ولا أُعِزُّهم إذ أذلَّهم اللهُ، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

وكتب إليه خالدُ بن الوليد يقول: إن بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خَراج الشام إلا به، فكتب إليه عمرُ: لا تَستَعمِله، فكتب خالدٌ إلىٰ عمرَ: إنه لا غِنىٰ بنا عنه، فرد عليه: لا تستعملْه، فكتب خالدٌ: إذا لم نستعمله ضاعَ المال، فكتب إليه عمرُ: مات النصرانيُّ والسلام.

ولقد كانت هذه السياسةُ الحكيمةُ لعمرَ مِنْ مَنْعِ تولِّي غيرِ المسلمين لأمور المسلمين، وإن كانت شيئاً بسيطاً، كانت هذه السياسةُ مستوحاةً من سياسةِ النبيِّ ﷺ، حيث لَحِقَه مُشْرِكٌ ليُقاتِلَ

معه، فقال النبيُّ ﷺ: «إني لا أستعينُ بمُشْركٍ»(١) ولقد كان أميرُ المؤمنين عمرُ مع هذا الحزم والحيطة لأمور المسلمين في مجانبة أعدائهم والغلظة عليهم، سبباً قوياً لنصر الإسلام وعزة المسلمين.

وكان يكتب إلىٰ عماله يُحَذِّرُهم من الترفع والإسرافِ، كتب إلىٰ عُتبةَ بنِ فَرْقَدٍ وهو في أذْرَبيجانَ، فقال: يا عُتبةُ إنه ليس من كَدِّ أبيك، ولا مِنْ كَدِّ أمك، فأشْبِعَ المسلمينَ في رِحَالِهم مما تَشْبَعُ منه في رَحْلِك، وإياك والتَّنَعُمَ وذِيَّ أهلِ الشركِ، ولباسَ الحرير.

وكان لا يُحابي في دينِ الله قريباً ولا صديقاً، الناسُ عنده سواءٌ. يُروىٰ عنه أنه كان إذا نهىٰ عن شيءٍ جمعَ أهلَه فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنهم لينظرون إليكم نظرَ الطير إلىٰ اللحم، واللهِ لا أجدُ أحداً منكم فعلَ ما نَهَيْتُ عنه إلا أضعفتُ عليه العقوبة. وكان يقومُ في الناسِ في مواسمِ الحجِّ، فيقول: إني لا أبعثُ عليكم عُمَّالي ليضرِبُوا جُلُودكم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثُهم إليكم ليُعَلِّمُوكم دينكم ويَحْكُمُوا فيكم بسنةِ نبيِّكم، فمَنْ فَعلَ به سوىٰ ذلك فلْيرفعْه إلي.

وكان رضي الله عنه، مهتماً بأمورِ الرعيةِ صغيرِها وكبيرِها، خرج ذاتَ ليلةٍ إلىٰ الحَرَّة ومعه مولاه أسْلَمُ، فإذا نارٌ تُسَعَّرُ، فقال: يا أسلَمُ ما أظُنُّ هؤلاء إلا رَكْباً قَصَرَ بهم الليلُ والبردُ، فلما وصلَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مكانَها، إذا هي امرأةٌ معها صبيانٌ يتضاغون من الجوع، قد نَصَبَتْ لهم قِدْرَ ماءٍ على النار، تُسْكِتُهم به ليناموا، فقال عمرُ: السلامُ عليكم يا أهلَ الضوء، وكَرِه أن يقولَ: يا أهلَ النار، ما بالُكم وما بالُ هؤلاءِ الصبيةِ؟ يتضاغونَ؟ قالتِ المرأةُ: يتضاغون من الجوع. قال: فأيُّ شيءٍ في هذا القدر؟ قالت: ماءٌ أُسْكِتُهم به، أوْهِمُهم أني أصنعُ طعاماً حتىٰ يناموا، واللهُ بيننا وبين عمرَ فقال: يرحمُك اللهِ وما يَدْري عمرُ بكم، قالت: أيتولَّىٰ أمرَنا ويَغْفلُ عنا، فبكىٰ عمرُ رضي الله عنه، ورجعَ مُهَرْوِلاً فأتىٰ بعدْلٍ من دقيقٍ، وجِرابِ شَحْمٍ وقال لأسْلَمَ: احْمِلْه علىٰ ظَهْرِي قال: أنا أحْمِلُه عنك يا أميرَ المؤمنين، فقال: أنت تَحْمِلُ وِزْرِي يومَ القيامة؟ فحملَه حتىٰ أتىٰ المرأةَ فجعلَ يُصْلِحُ الطعامَ لها، وجعل ينفخُ تحت القِدْرِ والدخانُ يتخللُ من لِحْيتِه، حتىٰ نضجَ الطعامُ، فأنزلَ القِدْرَ وأفرغَ منه في صَحْفَةٍ لها، فأكلَ الصبيةُ حتىٰ شَبِعُوا، وجعلوا يَضْحَكُون ويتصارَعُون. فقالت المرأةُ: جزاكَ اللهُ خيراً، أنت أولىٰ بهذا الأمرِ من عُمَرَ، فقال لها عُمَرُ قولي خيراً.

وما زال رضي الله عنه قائماً بأمر الله ناصحاً لعبادِ الله إلىٰ أن قُتِلَ شهيداً في آخر شهر ذي الحجة سنة ٢٣ من الهجرة، خرج لصلاةِ الفجر، وكان إذا مرَّ بين الصفوف قال: استَوُوا حتىٰ إذا لم يَرَ فيهم خَلَلاً تقدَّم فكَبَّرَ، وربما قرأ سورة يوسف، أو النَّحْل، أو نحوَهما في الركعة الأولىٰ، حتىٰ يجتمع الناسُ فما هو إلا أن كَبَّرَ

فطعنَه غُلامٌ مجوسيٌّ. فتناولَ عُمَرُ يدَ عبدِ الرحمٰن بنِ عَوْفٍ فقدَّمَه ليُصَلِّي بالناس، ثم احتُملَ إلىٰ بيته، فجعل الناسُ يدخلون عليه ويُثْنُون عليه، فدخل عليه شابٌّ من الأنصار، فلما أَدْبَرَ إذا إزارُه يَمَسُّ الأرض. فقال: رُدُّوا عليّ الغلامَ، ثم قال له: يا ابنَ أخي ارفعَ ثوبَك، فإنه أبْقَىٰ لثَوْبِك، وفي لفظ أنقَىٰ لثَوْبِك وأتْقَىٰ لربِّك.

ودخل ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما عليه فقال: أليس قد دعا رسولُ الله ﷺ أنْ يُعِزَّ اللهُ بك الدينَ والمسلمين، فلما أسْلَمْتَ كان إسلامُك عِزّاً وظهَرَ بك الإسلامُ، وهاجَرْتَ فكانت هجرتُك فَتحاً، ثم لم تَغِبْ عن مشهَدٍ شهده رسولُ الله ﷺ من قتالِ المشركين، ثم قُبِضَ وهو عنك راضٍ، ووَازَرْتَ الخليفة بعدَه علىٰ مِنهاجِ النبيِّ ﷺ، ثم قُبِضَ الخليفةُ وهو عنك راضٍ، ثم وليتَ بخير ما وَلِيَ الناسُ، مَصَّرَ الله بك الأمصار، وجبَىٰ بك الأموالُ، ونفىٰ بك العدو، ثم ختمَ لك بالشهادة، فهنيئاً لك، فقال عمرُ: أتشهدُ لي بذلك عندَ الله يومَ القيامة؟ قال: نَعَمْ. قال: اللهم لك الحمدُ، ثم قال عمرُ لابنه عبدِ الله: يا عبدَ الله بنَ عمرَ، انطلق إلىٰ عائشة أمِّ المؤمنين فقل يقرأ عليك عمرُ السلام، وقل يستأذن عمرُ بنُ الخطاب أن يُدْفَنَ مع صاحِبَيه، يعني رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه، فدخل عبدُ الله علىٰ عائشةَ بعد أن سَلَّمَ واستأذن، فوجدها قاعدةً تَبْكِي، فأخبرَها بقول أبيه عُمَرَ، فقالت: كنت أريدُه لنفسِي ولأوثِرَنَّه به اليومَ علىٰ نفسِي. فرجع عبدُ الله فلما أقبل قيل هذا عبدُ الله. فقال

عمرُ: ارفعوني فأسندَه رجلٌ إليه، فقال: ما لدَيْكَ؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين، أذِنَت، قال: الحمدُ لله ما كان من شيء أهمَّ إليّ من ذلك، فإذا أنا مِتُّ فاحْمِلُوني، ثم سلِّمْ وقُلْ يستأذنُ عُمَرُ بنُ الخطابِ فإنْ أذِنَتْ لي فأدْخِلُوني، وإن رَدَّتْنِي رُدُّوني إلىٰ مقابرِ المسلمين، ففعلوا ذلك حينَ قُبِض، فأذِنَتْ فدُفِنَ مع صاحِبَيْه.

هكذا كانت سيرةُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في نفسه، وفي رعيته، قُنوتٌ لله، وقوةٌ في دين الله، وعدْلٌ في عبادِ الله، فكان من خيار الصحابة الذين قال اللهُ فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وكان الناسُ علىٰ عهده خيرَ القرون بعدها، فلما تغير الناسُ وتبدلت أحوالُهم وظلموا أنفسَهم تغيرت أحوالُ وُلاتِهم، وكما تكونوا يولىٰ عليكم، فنسأل الله تعالىٰ أن يصلح المسلمين، ويصلح ولاتهم، ويعيد لهم عزتهم وكرامتهم إنه جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي فضل نبيَّنا علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، واختار له من الأصحاب أفضلَ الأصحاب من العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ، وأشهدُ أنَ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ الأمينُ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أن اللهَ تعالىٰ اختار لنبيه من الأصحاب، أفضلَ الأصحاب، أكملَ الناس إيماناً، وأعلاهم قدراً، وأرجحَهم عقلاً، وأبرَّهم قصداً، وأقومَهم عدلاً، وأعمقَهم علماً، وأقلَّهم تكلفاً، اختارهم الله تعالىٰ لصُحبةِ نبيِّه، وإقامةِ دينِه، فقاموا بذلك أتمَّ القيام، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده حتىٰ علا دينُنا بين الأنام فلما تُوفِيَ رسولُ الله ﷺ، وانتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، خَلَفُوا نبيّهم في أمتِه ودينِه علىٰ الوجهِ الأكملِ الأوفىٰ، فكانوا أعلامَ الهدىٰ، ومصابيحَ الدُجَىٰ وهُداةَ مَنِ اهتدىٰ، فمنهم أبو بكر الصديق، خليفةُ النبي وصاحبُه في الرخاء والضيق، الذي من فضائله ونصحِه أن استخلف علىٰ أمة محمد ﷺ أبا حفص عُمَرَ بنَ الخطاب الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**إنْ يكن فيكم محدَّثون فعمر**»(١)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وأقسم ﷺ أن ما لقي الشيطان عمر سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجه، فقام بأعباء الخلافة بعد أبي بكر خيرَ قيام، وانتشر العدلُ في خلافته بين جميع الأنام، فإنه رضي الله عنه كان إذا نَهَىٰ الناسَ عن شيء جَمَعَ أهلَه فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنَّ الناسَ ينظرون إليكم نظرَ الطير إلىٰ اللحمِ، واللهِ لا أجد أحداً منكم فعلَه، إلا أضعفتُ عليه العقوبةَ، وكان إذا استعمل أحداً علىٰ عَمَلٍ قال له: إني لم استعملك علىٰ دماء المسلمين ولا أعراضِهم، ولكن نستعملك لتُقيمَ فيهم الصلاةَ وتَقْسِمَ بينَهم وتَحْكُمَ فيهم بالعدل، وكان يكتبُ إلىٰ عُمَّالِه أنْ يُوافُوه في الموسم فإذا وَافَوْهُ قام في الناس، فقال: أيها الناس إني والله ما أبعثُ إليكم عمالي ليضربوا أبشارَكم (يعني جُلودَكم) ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينَكم وسنةَ نبيكم، فمَنْ فُعِلَ به سوىٰ ذلك فليرفعْه إليّ، فواللهِ لأُقصنَّه منه[1] وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه: أن سَوِّ بينَ الناسِ في مجلسِك وجَاهِك حتىٰ لا يَيْأسَ ضعيفٌ مِنْ عَدْلِك، ولا يطمعَ شريفٌ في حَيْفِك ومر ببناء يُبْنَىٰ بحجارةٍ وجَصٍّ، فقال: لمَنْ هذا؟ فذكروا عاملاً من عُمّالِه علىٰ البَحْرَين، فقال: أبَتِ الدراهمُ إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها، وشاطَره مالَه، وكان رضي اللهُ عنه يقول: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة وليِّ اليتيم

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤١ (٢٨٦)، وأبو داود (٤٥٣٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

إنْ استغنيتُ اسْتَعْفَفْتُ، وإن افتقرْتُ أكلْتُ بالمعروف، فإذا أيسرْتُ قضيْتُ، وقال: سأخبرُكم بما استحلَّ من هذا المال، استحلَّ منه حُلَّتين: حُلَّةً للشتاء وحُلَّةً للصيف، وما يَسَعُني لحَجِّي وعُمْرَتي وقوتِ أهلِ بيتي وسهمي مع المسلمين كسهم رجل ليس بأرفعِهم ولا بأوضعِهم، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين يُصيبُني ما أصابَهم، وقال عبدُ الله بنُ عامرِ بن ربيعة: صَحِبْتُ عمرَ بنَ الخطاب من المدينةِ إلىٰ مكةَ في الحج ثم رجعنا فما ضُرِبَ له فُسْطاطٌ، ولا خِباءٌ ولا كان له بناء يستظل به، إنما يُلْقِي نطْعاً أو كِسَاءً علىٰ شجرة فيستظلُ تحتَه، وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: رأيت عُمرَ يطوفُ بالكعبةِ وعليه إزارٌ فيه إحدىٰ وعشرون رُقْعةً فيها آدم أي جلود، وكان رضي الله عنه يهتم بأمرِ الرعية اهتماماً شديداً، وقال أبو هريرةَ رضي الله عنه: لقد رأيتُه عامَ الرَّمادةِ وإنه ليَحْمِلُ علىٰ ظَهْرِه جرابَيْن وعكّةُ زَيْتٍ في يَدِه، وإنه ليَعْتَقِبُ هو وأَسْلَمُ فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة، قلت: قريباً، قال: فأخذت أعقبه فحملناه حتىٰ انتهينا إلىٰ حرار فإذا جماعة نحوٌ من عشرين بيتاً من محارب قال عمرُ: ما أقدمَكم؟ قالوا: الجَهْدُ فأخرَجُوا لنا جِلْدَ ميتةٍ مَشْوِياً كانوا يأكلونه ورِمّةَ العظامِ مسحوقةً، كانوا يستفُّونها قال: فطرح عُمَرُ رداءَه ثم نزل يطبخُ لهم ويُطعِمُهم حتىٰ شَبِعُوا، ثم أرسل أسلَمَ إلىٰ المدينة فجاء بإبلٍ فحَمَلهم عليها حتىٰ أنزلَهم الجَبَّانةَ، ثم كساهم ثم لم يزَلْ يختلفُ إليهم وإلىٰ غيرِهم حتىٰ رفع اللهُ ذلك،

وما زال قائماً في المسلمين بالعدل والإنصاف والسيرة المرضية والحزم والقوة بلا خلاف حتىٰ استشهد في آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة علىٰ يد غُلام مجوسيٍّ يقال له أبو لؤلؤة طعنَه في صلاة الصبح بسكينٍ ذات طَرَفيْن، فبقي بعد ذلك ثلاثَ ليالٍ ثم توفي رضي الله عنه وأرضاه، ودفن في حُجْرةِ عائشةَ بإذنها مع النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* * *

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ للهِ الذي أيد نبيَّنا محمداً ﷺ بنصرِه وبالمؤمنين، واختار له من الأصحاب والأنصار خيرَ أصحابٍ، وأنصارِ العالمين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ الأمينُ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا حكمتَه البالغةَ في شرعِه وخَلْقِه وتقديرِه، فإنه سبحانَه لما اختار نبيَّه محمداً ﷺ للرسالة بهذا الدين القويم، ونَشْرِه بين العالمين، اختارَ له من الأصحاب، أفضلَ أصحابِ الأنبياء، فقاموا بنُصرةِ الدين خيرَ قيامٍ، حتىٰ أظهرَه اللهُ علىٰ أيدي نبيِّه وصحابتِه بينَ الأنام، قاموا بذلك في حياةِ نبيِّهم وبعدَ مماتِه، ففتحوا القُلوبَ بالعلمِ والإيمان، والسيرةِ بينَ الناسِ بالعدلِ والإحسان، وعدمِ الظلمِ والطغيانِ، فكانوا أعلامَ الهُدىٰ ومصابيحَ الدُّجَىٰ وهُداةَ مَنِ اهتَدَىٰ، رضي اللهُ عنهم أجمعين فمنهم الخلفاء الأربعة الراشدون، الهداة المهتدون عبد الله، أبو بكر الصديق، وأبو حفص عمرُ بنُ الخطاب، وذو النورين عثمانُ بن عفانُ، وزوجُ فاطمةَ البتولِ عليُّ بنُ أبي طالب ابنُ عمِّ الرسول، وكان أفضلُهم صِدِّيقَ هذه الأمة الخليفةَ الأول لرسولِ الله ﷺ ورفيقَه

في الغار الذي نطق بما نطق به رسوله ﷺ عام الحديبية حين اشتد الأمرُ علىٰ كثيرٍ من المهاجرين والأنصار.

وثبّت الله به المسلمين عند وفاة رسول الله ﷺ ونصرَ اللهُ به الإسلامَ يومَ الردّة، وكان من بركتِه علىٰ هذه الأمة ونصحِه لها، أنْ استخلفَ عليها وزيره وقرينه عمرَ بن الخطاب الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «إنْ يكنْ فيكم محدثون أي مُلْهَمون موفّقون للصواب، فعُمر»[1]. وأقسَم ﷺ وهو الصادق المصدوق، إنه ما سلكَ عمرُ طريقاً ولا فَجّا إلا سلك الشيطانُ غيرَه، ولقد كان أميرُ المؤمنين عند حُسن ظنِّ أبي بكرٍ به، فقامَ بأعباءِ الخلافةِ خيرَ قيامٍ، ونظم طُرَق الأمةِ خيرَ نظام، حيث بناه علىٰ ما سارَ عليه النبيُّ ﷺ والخليفةُ من بعدِه، فكان رضي الله عنه يحكمُ بكتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ، ولا يخرج عنهما قيدَ أنملة، بل كان وقّافاً عندَ حدودِ الله يذكره الواحدُ من رعيّته ما نسيَه من أحكامِ الله ورسولِه، فيتقبل ذلك بانشراح صدر وطمأنينة، ويعترف بالفضلِ لمن ذكره به، وكان رضي الله عنه لا يحابي في دين الله قريباً ولا صديقاً، الناس عنده سواء، يروىٰ عنه أنه إذا نهىٰ الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وإنهم لينظرون إليكم نظر الطير إلىٰ اللحم، والله لا أجِدُ أحداً منكم فعل ما نهيتُ عنه إلا أضْعَفْتُ عليه العقوبة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكان يقوم في الناس في مواسم الحجِّ، ويقول: إني لا أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشارَكم ولا ليأخذوا أموالَكم ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينَكم، ويحكموا بسنةِ نبيِّكم، فمن فعل به سوىٰ ذلك فليرفعه إلي[١] وكان رضي الله عنه مهتماً بشؤون المسلمين حاضرها وغائبها، صغيرها وكبيرها، خرج في ليلة من الليالي إلىٰ الحرة هو ومولىٰ له، يقال له أسْلَمُ، فإذا نارٌ تُسَعَّرُ، فقال: يا أسلم ما أظنُّ هؤلاء إلا رَكْباً قَصُر بهم الليلُ والبردُ، فلما وصل مكانَها إذا امرأةٌ معها صبيانٌ يتضاغَوْنَ من الجوع، قد نصبَت لهم قِدْرَ ماءٍ علىٰ النار، تُهدِّئهم بهليناموا، فقال عمرُ: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الضوء، كره أنْ يقول يا أهل النار، ما بالُكم وما بالُ هؤلاءِ الصبيةِ يتضاغَوْنَ قالت المرأةُ: يتضاغَوْنَ من الجُوع، قال: فأيُّ شيءٍ في هذا القِدْر، قالت: ماءٌ أهدئهم به، أوْهِمُهم أني أصنع لهم طعاماً حتىٰ يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: يرحمك الله ما يدري عمر بكم، قالت: أيتولىٰ أمرنا ويغفل عنا، فذهب عمر وأتىٰ إليها بعدل دقيق فيه شحم فجعل يصلح الطعام لها، ويقول: ذري وأنا أُحرِّك، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته حتىٰ نضج الطعام، فأنزل القدر وأفرغ منه في صحفة لها، فأكل الصبية حتىٰ شبعوا

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤١ (٢٨٦)، وأبو داود (٤٥٣٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

وجعلوا يضحكون ويتصارعون، فقالت: جزاك الله خيراً أنت أولىٰ بهذا من عمر، قال لها عمر: قولي خيراً.

أيها المسلمون: هذا مثالٌ من أمثلةٍ كثيرة لما يعامل به عمر رعيته، وهكذا كان الولاة قائمين بأمر الله وبما يجب عليهم من حقوق الله وحقوق الرعية حين كانت الرعية قائمة بواجبها خائفة لربها، فلما بدلت الرعية وغيَّرت وظلمت أنفسها وعصت سلط عليهم الولاة بحسب تفريط الرعية وعصيانها، فكما يكون الناس يولي عليهم.

ولقد قتل أمير المؤمنين شهيداً في أواخر هذا الشهر من السنة ثلاث وعشرين من الهجرة فرضي الله عنه وأرضاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي فضّل نبيَّنا علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، واختار له من الأصحاب خيرَ أصحابٍ في العالمين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبينُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الأمينُ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربَّكم واعْرِفُوا الفضلَ لأصحابِ نبيِّكم ﷺ ورضي عنهم، فإنَّ اللهَ اختارَ لنبيِّه من الأصحاب أكملَ الناس إيماناً وأرجحَهم عقولاً وأعلاهم قدراً، وأغزرَهم علماً، وأقلَّهم تكلفاً، وأبرَّهم قصداً، وأمضاهم عزماً، وأقومَهم عدلاً، اختارهم اللهُ لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينِه، فقاموا بذلك أتمَّ قيامٍ وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، وانتصروا لدينِه ورسوله حتىٰ زَهَقَ الباطلُ وعلا نورُ الحقِّ فبدّد الظلامَ، ولما توفي رسول الله ﷺ والتحق بالرفيق الأعلىٰ خلفوا نبيَّهم في أمته ودينِه علىٰ الوجهِ الأكملِ الأوفىٰ، فكانوا أعلامَ الهدىٰ ومصابيحَ الدُّجىٰ، وهداةَ من اهتدىٰ، فكان منهم صِدِّيقُ هذه الأمةِ أبو بكر خليفةُ رسول الله ﷺ في أمته ورفيقه في الغار الذي نصر الله به الإسلام يوم الردة، فانتصر أيما انتصار، وكان من فضائله وبركته علىٰ هذه الأمة أنْ استخلف عليها صاحبَه وقرينَه أبا حفص عمر بنَ الخطاب الذي قال

فيه النبيُّ ﷺ: **«إن يكن فيكم محدَّثون فعمر»**(١) وأقسم ﷺ: **«أنه ما لَقِيَ الشيطانُ عُمَرَ سالكاً فجاً إلا سلكَ فجاً غيرَ فَجِّه»**(٢) فقام رضي اللهُ عنه بأعباءِ الخلافةِ خيرَ قيام وانتشر العدلُ في خلافته بين الأنام، وكان رضي الله إذا نهىٰ الناسَ عن شيءٍ جمعَ أهلَه، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا وإن الناسَ ينظرون إليكم نظرَ الطير إلىٰ اللحم، والله لا أجِدُ منكم أحداً فعلَه إلا أضْعَفْتُ عليه العقوبة وكان يكتُب إلىٰ عماله أن يُوافوه في الموسم، موسم الحج فإذا وافوه قامَ في الناس. فقال: أيها الناسُ إني واللهِ ما أبعثُ إليكم عمالي ليضربوا أبشارَكم ولا ليأخذوا أموالَكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينَكم وسنةَ نبيكم، فمَنْ فعلَ به سوىٰ ذلك فليرفعْه إلي، فوالله لأُقُصَنَّه منه، وكتب رضي الله عنه إلىٰ أبي موسىٰ: أن سَوّ بينَ الناس في مجلسك وجاهك حتىٰ لا ييأسَ ضعيفٌ من عدلِك، ولا يطمعَ شريفٌ في حيفك(٣).

وكان رضي اللهُ عنه مع عُلُو قدره ورفعَةِ منزلته متواضعاً لما أوجَبَ اللهُ عليه من حقوق رعيته، خرج هو ومولاه أسلَمُ إلىٰ حَرَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الدارقطني ٤/٢٠٧ والبيهقي ١٠/ ١٣٥ من حديث أبي بردة.

من حَرّات المدينة فإذا نارٌ تُسعَّرُ، فقال: يا أسلمُ إني أرىٰ هؤلاء رَكْباً قصُرَ بهم الليلُ والبردُ، فإذا هي امرأةٌ معها صبيانٌ لها يتضاغَوْنَ من الجوع، قد نصبَت لهم قِدْرَ ماءٍ علىٰ النار، تُهدِّئهم به ليناموا، فقال عمرُ: السَّلامُ عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فما بالُكم؟ قالت: قصُرَ بنا الليلُ والبردُ، فقال: ما بالُ هؤلاء الصبية يتضاغَوْنَ؟! قالت: من الجُوع، قال: وأيُّ شيءٍ في هذا القِدْر، قالت: ماءٌ أسكِتُهم به، أوْهِمُهم إني أصنع لهم طعاماً حتىٰ يناموا، الله بيننا وبين عمر، فقال: يرحمُك الله ما يدري عمر بكم، قالت: أيتولىٰ أمرنا ويغفل عنا، ثم ذهب عمر فحمل لها عَدْلُ دقيقٍ فيه شحم فحاول أسلمُ أن يحمله عنه فأبى عمر، وقال: أنت تحملُ عني وِزْري يوم القيامة؟ فوصل إلىٰ المرأة فجعل يصلحُ الطعام لها، ويقول: ذري وأنا أُحرِّك لك وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يخرج من خلل لحيته حتىٰ نضج، فأنزل القدر ثم أتته بصحفة فأفرغها حتىٰ شبع الصبية، فجعلت تقول: جزاك اللهُ خيراً أنت أولىٰ بهذا الأمر من عمر، قال لها عمر: قولي خيراً فإنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله، ثم تنحىٰ ناحيةً حتىٰ رآهم يضحكون ويصطرعون، فقال عمر: الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتىٰ أرىٰ فيهم ما رأيت.

وكان رضي الله عنه مع كمالِ عقلِه، وغزارة علمه، يشاور الصحابة رضي الله عنهم في الأمور الدينيةِ والدنيوية، ويأخذ رأيَهم

وكان مع شدته عظيمَ الخوفِ من الله تعالىٰ، وقافاً عند حدود الله، سمع قارئاً يقرأ سورة الطور، فلما انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٥٢] سقط ثم تحامل إلىٰ منزله، فمرض شهراً من ذلك، وخطب الناسَ ذات يوم علىٰ أن لا يُغالوا في مُهورِ النساء، ولا يزيدُوا علىٰ أربعمائة درهم، فمَنْ زاد ألقيتُ الزيادةَ في بيتِ المال، فلما نزل اعترضَتْهُ امرأةٌ من قريش، فقالت: يا أميرَ المؤمنين: نهيت الناسَ أنْ يزيدُوا في مهر النساء علىٰ أربعمائة درهم، قال: نَعَمْ، قالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] فقال: اللهم غفراً كلُّ الناس أفقه من عُمرَ، ثم صعد المنبر، ورخَّصَ للناس فيما شاؤوا وكان رضي الله عنه، عظيمَ النصح للرعية، فقيل له: إن هاهنا رجلاً من الأنبار، حافظاً كاتباً فلو اتخذته كاتباً، فقال: قد اتخذتُ إذن بطانةً من دونِ المؤمنين، وكان في بيته بعد أنْ طعنَه أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة، فجاء الناسُ يثنون عليه، فإذا فيهم شاب إزارُه، يمسُّ الأرض، فقال له عمرُ: يا ابنَ أخي ارفع ثوبَك، فإنه أبقىٰ لثوبك وأتقىٰ لربِّك، فكان رضي الله عنه خير والٍ، لخير شَعبٍ، فإنه قد ثبت بقول النبيّ ﷺ أنَّ قرنَه خيرُ القرون، فكان وُلاتُهم خيرَ الوُلاة، فلما بدَّلت الشعوبُ وغيَّرت وظلمَت أنفسَها وفرَّطَتْ، تغيرت الوُلاةُ وسُلِّطُوا علىٰ رعيتهم بحسَب الحال، وكما تكونون يولىٰ عليكم، اللهم أصلح ولاة المسلمين ورعاياهم،

اللهم ومن قام بهذا الدين فانصره وأيده، ومن قام ضدَّ هذا الدين فاخذله وأضعفه واجعل كيده في نحره، وعَجِّل له بإحدى الحسنيين للمسلمين إما الصلاح وإما الهلاك، وإبداله بمصلح للمسلمين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعْرِفُوا حكمتَه البالغةَ في شرعِه وخَلْقِه وتقديرِه فإنه سبحانَه اختار نبيَّه محمداً ﷺ للرسالة إلىٰ الخلق بهذا الدينِ الكامل لينشرَه بين العالمين واختار له من الأصحاب أفضلَ الناس بعدَ النبيين، أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعمقَها علماً وأقومَها عملاً وأقلَّها تكلفاً، جاهدوا في الله حق جهاده في حياة نبيهم وبعد وفاته، فنصر الله بهم الدينَ ونصرَهم به وأظهرَهم علىٰ كلِّ الأديان وأهلها. كان منهم الخلفاءُ الراشدون الأئمةُ المهديون الذين قَضَوْا بالحقِّ وبه كانوا يعدلون، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في مستقبل الزمان وماضيه تشهدُ بذلك أفعالُهم وتَنطِقُ به آثارُهم، أبو بكر الصديق عبدُ الله بنُ عثمانَ وأبو حفص الفاروق عمرُ بنُ الخطاب وأبو عبد الله ذو النورين عثمانُ بنُ عفان وأبو الحسن ابنُ عمِّ النبي ﷺ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكان

أفضلُهم خليفةَ رسول الله ﷺ ورفيقَه في الغار الذي نطق بما نطق به رسولُ الله ﷺ عام الحديبية حين اشتد الأمرُ علىٰ كثير من المهاجرين والأنصار، وثبَّت اللهُ به المسلمين يوم وفاة النبيِّ ﷺ ونصرَ الله به الإسلام حين ارتد من ارتد من العرب بعد موت النبيِّ ﷺ، وكان من بركته علىٰ هذه الأمة ونُصحِه لها ووُفورِ عقلِه وصِدْقِ فراسَته أنْ استخلف علىٰ الأمة بعدَه وزيره وقرينه عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ: **«لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ مُحَدَّثون يُكَلَّمون من غير أنْ يكونوا أنبياء، فإنْ يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عُمرُ»**[١] وقال ﷺ يخاطب عمرَ: **«والذي نفسي بيده ما لَقِيكَ الشيطانُ سالكاً فجاً قط إلا سلك فجّاً غير فجك»**[٢] وسأل عمرو بنُ العاص رسولَ الله ﷺ عن أحبِّ الرجالِ إليه فقال: **«أبو بكر»**، قال: ثم مَنْ، قال: **«عمرُ بن الخطاب»**، وعدَّ رجالاً[٣]، وأخبر النبيُّ ﷺ أنه كان ينزع من بئر فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين يعني دلواً أو دلوين، قال: **«ثم أخذها ابنُ الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غرباً فلم أرَ عَبقرياً من الناس يَفْرِي فَرِيَّه حتىٰ ضرب الناس**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

بعطنٍ»[١] ولقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيا فتولىٰ الخلافةَ عمرُ بنُ الخطاب بعد أبـي بكر رضي الله عنهما وقَوِي سلطانُ الإسلام وانتشر في مشارق الأرض ومغاربها، ففتُحت بلادُ الشامِ والعراقُ ومصرُ وأرمينيةُ وفارسٌ حتىٰ إنه قيل: إنَّ الفتوحات في عهده بلغت ألفاً وستاً وثلاثين مدينة مع سوادها بُنِيَ فيها أربعةُ آلاف مسجدٍ، وكان رضي الله عنه مع سَعَةِ خلافته مهتماً برعيته قائماً فيهم خيرَ قيام، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحمه الله: إنَّ اللهَ أعزَّ به الإسلام وأذلَّ به الشركَ وأهلَه وأقام شعائرَ الدين الحنيفِ ومنع من كل أمر فيه نزوعٌ إلىٰ نَقْضِ عُرىٰ الإسلام، مطيعاً في ذلك للهِ ورسوله، وقَّافاً عند كتاب الله ممتثلاً لسنة رسول الله ﷺ، محتذياً حَذْوَ صاحبيه مشاوراً في أموره السابقين الأولين مثل عثمان وعلي وطلحة والزبير وغيرهم ممن له علم ورأي أو نصيحة للإسلام وأهله، حتىٰ إنَّ العمدةَ في الشروط علىٰ أهل الذمة علىٰ شروطه، فقد شرط رضي الله عنه علىٰ أهل الذمة من النصارىٰ وغيرهم ما ألزموا به أنفسهم من إكرام المسلمين والتميز عنهم في اللباس والأسامي وغيرها، وأن لا يُظهروا الصليبَ علىٰ كنائسهم ولا في شيء من طرق المسلمين، وأنْ لا ينشروا كُتُبَهم أو يُظْهِرُوها في أسواق المسلمين، ولقد كان رضي الله عنه يمنع من استعمال الكفار في أمور الأمة أو

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

إعزازهم بعد أن أذلَّهم الله، قال أبو موسىٰ الأشعريُ قلت لعمرَ رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً فقال: مالك قاتلك الله أما سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] ألا اتخذت حنيفاً يعني مسلماً، قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابتُه وله دينُه، قال: لا أُكرِمُهم إذ أهانهم الله، ولا أُعِزُّهم إذ أذلَّهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله. وكتب إليه خالد بن الوليد يقول: إنَّ بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خراج الشام إلا به فكتب إليه عمرُ: لا تستعمله، فكتب خالدٌ إلىٰ عمرَ أنه لا غنًى بنا عنه، فرد عليه: لا تستعمله فكتب خالدٌ إذا لم نستعمله ضاع المالُ فكتب إليه عمرُ مات النصراني والسلام.

ولقد كانت هذه السياسة الحكيمة لعمر من منع تولي غير المسلمين لأمور المسلمين وإن كانت شيئاً بسيطاً كانت هذه السياسة مستوحاةً من سياسة النبيِّ ﷺ حيث لحقه مشرك ليقاتل معه، فقال النبي ﷺ: «**إني لا أستعينُ بمشرك**»(١)، ولقد كان أميرُ المؤمنين عمرُ رضي الله عنه مع هذا الحزم والحيطة لأمور المسلمين في مجانبة أعدائهم والغلظة عليهم سبباً قوياً لنصرِ الإسلام وعزةِ المسلمين، وكان يكتبُ إلىٰ عماله يُحَذِّرُهم من الترفعِ والإسراف، كتب إلىٰ عُتبةَ بن فرقدٍ وهو في أذْرَبيجان فقال: يا عتبةُ أنه ليس من كَدِّ أبيك ولا من كدِّ أمك، فأشبعِ المسلمين في

(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٨١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

رِحَالِهم مما تَشْبَعُ منه في رَحْلِك، وإياك والتنعمَ وزِيَّ أهلِ الشِّرك ولباسِ الحرير، وكان لا يُحابي في دين الله قريباً ولا صديقاً، الناس عنده سواء، يروىٰ عنه أنه كان إذا نهىٰ عن شيءٍ جمعَ أهله فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنهم لينظرون إليكم نظرَ الطيرِ إلىٰ اللحمِ، واللهِ لا أجِدُ أحداً منكم فعلَ ما نهيتُ عنه إلا أضْعَفْتُ عليه العقوبة، وكان يقومُ في الناس في مواسم الحج فيقول: إني لا أبعثُ عليكم عمالي ليضربوا جُلودَكم ولا ليأخذوا أموالَكم، ولكن أبعثُهم إليكم ليُعلموكم دِينكم ويَحْكُموا فيكم بسنةِ نبيِّكم فمَنْ فَعَلَ به سوىٰ ذلك فليرفعْه إليَّ وكان رضي الله عنه مهتماً بأمور الرعية صغيرها وكبيرها، خرج ذاتَ ليلةٍ إلىٰ الحَرَّةِ ومعه مولاه أسلَمُ فإذا نار تُسَعَّرُ فقال: يا أسلمُ ما أظنُّ هؤلاء إلا رَكْباً قصُرَ بهم الليلُ والبردُ، فلما وصل مكانها إذ هي امرأةٌ معها صبيانٌ يتضاغَوْنَ من الجوع، قد نصبَت لهم قِدْرَ ماءٍ علىٰ النار، تسكتهم به ليناموا، فقال عمرُ: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الضوء، وكره أنْ يقول: يا أهل النار، فما بالُكم؟ وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون، قالت المرأة: يتضاغون من الجُوع، قال: وأيُّ شيءٍ في هذا القِدْر، قالت: ماءٌ أسكِتُهم به، أوْهِمُهم إني أصنع طعاماً حتىٰ يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: يرحمُك الله ما يدري عمر بكم، قالت: أيتولىٰ أمرنا ويغفل عنا، فبكىٰ عمر رضي الله عنه ورجع مُهرولاً فأتىٰ بعدل من دقيق وجراب شحم وقال لأسلمُ: احمله على ظهري قال: أنا عنه

أحمله عنك يا أمير المؤمنين، فقال: أنت تحملُ وزري يوم القيامة؟ فحمله حتىٰ أتى المرأة فجعل يصلحُ الطعام لها، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته حتىٰ نضج الطعام، فأنزل القدر وأفرغ منه في صحفة لها، فأكل الصبيةُ حتىٰ شبعوا، وجعلوا يضحكون ويتصارعون فقالت المرأة: جزاك الله خيراً أنت أولىٰ بهذا الأمر من عمر، قال لها عمر: قولي خيراً[(١)].

وما زال رضي الله عنه قائماً بأمر الله ناصحاً لعباد الله إلىٰ أن قُتِلَ شهيداً في آخر شهر ذي الحجة سنة ٢٣ من الهجرة، خَرَجَ لصلاة الفجر وكان إذا مرَّ بين الصفوف قال: استوُوا. حتىٰ إذا لم ير فيهم خَلَلاً تقدَّمَ فكبَّر، ورُبَّما قرأ سورةَ يوسفَ أو النحل أو نحوهما في الركعة الأولىٰ حتىٰ يجتمع الناس، فما هو إلا أنْ كبر فطعنه غلامٌ مجوسيٌّ، فتناول عمرُ يدَ عبد الرحمٰن بن عوفٍ فقدَّمه ليُصلِّي بالناس، ثم احتُمل إلىٰ بيتِه فجعلَ الناسُ يدخلون عليه ويُثنون عليه، فدخل عليه شابٌّ من الأنصار فلما أدبرَ إذا إزارَه يَمَسُّ الأرض، فقال: رُدُّوا عليَّ الغلام، ثم قال له: يا ابنَ أخي ارفعْ ثوبَك فإنه أبقىٰ لثوبك. وفي لفظ: أنقىٰ لثوبك وأتقىٰ لربِّك، ودخل ابن عباس رضي الله عنهما عليه فقال: أليس قد دعا رسولُ الله ﷺ أنْ يُعِزَّ اللهُ بك الدينَ والمسلمين، فلما أسلمت كان إسلامُك عزّاً، وظهرَ بك الإسلامُ، وهاجرت فكانت هجرتُك فتحاً،

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٦٨.

ثم لم تَغِبْ عن مشهدٍ شَهِدَه رسولُ الله ﷺ من قتال المشركين، ثم قُبِضَ وهو عنك راضٍ، ووازرت الخليفة بعدَه علىٰ منهاجِ النبي ﷺ ثم قُبِضَ الخليفةُ وهو عنك راضٍ، ثم وَلِيْتَ بخيرِ ما ولى الناسُ، مصَّر اللهُ بك الأمصار، وجبىٰ بك الأموال، ونفىٰ بك العدوَّ، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئاً لك. فقال عمر: أتشهد لي بذلك عند الله يوم القيامة قال: نعم، فقال: اللهم لك الحمد، ثم قال عمر لابنه عبد الله: يا عبدَ الله بن عمر انطلق إلىٰ عائشة أمِّ المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام وقل: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطاب أنْ يُدفَنَ مع صاحبيه يعني رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه، فدخل عبدُ الله علىٰ عائشة بعد أنْ سلَّمَ واستأذن فوجدها قاعدةً تبكي، فأخبرها بقول أبيه عمر فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنَّه به اليوم علىٰ نفسي، فرجع عبدُ الله فلما أقبل قيل هذا عبد الله فقال عمرُ: ارفعوني فأسندَه رجلٌ فقال: ما لَدَيْك قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين أذِنَتْ قال: الحمدُ لله ما كان من شيءٍ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا فاحملوني ثم سلِّم وقُلْ يستأذنُ عمرُ بنُ الخطاب، فإن أذِنتْ لي فأدخلوني وإن رَدَّتْني رُدُّوني إلىٰ مقابرِ المسلمين ففعلوا ذلك حين قُبِضَ فأذِنَتْ فدُفِنَ مع صاحبيه.

هكذا كانت سيرةُ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه في نفسه وفي رعيته، قُنوتٌ لله وقوةٌ في دين الله وعدلٌ في عبادِ الله، فكان من خيار الصحابة الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ

ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وكان الناسُ علىٰ عهده خيرَ القرون بعدهم فلما تغير الناسُ وتبدلت أحوالُهم وظلموا أنفسَهم تغيرت أحوالُ وُلاتهم، وكما تكونون يُولَّىٰ عليكم، فنسأل الله تعالىٰ أن يُصْلِحَ المسلمين ويُصلِحَ وُلاتَهم ويعيد لهم عِزَّتَهم وكرامتَهم إنه جوادٌ كريمٌ.



القسم العاشر

الأخلاق والآداب

مكارمُ الأخلاق

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ من شاء من عباده فهداهم إلىٰ أعلىٰ الأخلاقِ، وأكملِ الآداب، وخَذَل من شاء منهم بحكمته، فانحطوا في أسافل الأخلاق ورذائل الآداب، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الكريمُ الوهاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أحسنُ الناس خلقاً، وأعلاهم أدباً، فقد أدبه ربُّه فأحسنَ تأديبه، وكان خُلُقه القرآن، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والمتمسكين بهديهم إلىٰ يوم يجازى فيه المسيءُ بإساءته، والمحسنُ بالإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وخالقوا الناسَ بخُلُقٍ حَسَن، فإن أكملَ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً، ألا وإن مِن مكارمِ الأخلاق: إفشاءُ السلام بينكم. فسلِّموا علىٰ مَن تلقونَه من إخوانِكم، فإنَّ خيركم مَن يبدأ بالسلام. سلِّموا علىٰ الصغيرِ والكبير، والوضيعِ والشريف. سلِّموا باللفظ ولا تُسلِّموا بالإشارة. إلا أنْ يكونَ المُسَلَّمُ عليه لا يسمعُ لبعدٍ أو صَممٍ. فاجمعوا بين اللفظِ والإشارة.

وردّوا السلامَ علىٰ مَن سلَّم عليكم ببشاشةٍ، وبشرٍ وانطلاقٍ. فإنَّ من المعروفِ أنْ تلقىٰ أخاك بوجهٍ طلق. ردّوا السلامَ باللفظ، فقولوا: وعليكم السَّلام. وإذا سلّم أحدُكم فلم يردَّ عليه صاحبُه

فليعد السلام مرةً ثم مرةً، لعلّه لم يسمعْ. فإنْ كان قد سَمِعَ فالإثمُ عليه، وإذا قامَ أحدُكم مِن المجلس فليسلِّم علىٰ مَن فارقَهم.

ألا وإنَّ من مكارمِ الأخلاق: أنْ يكونَ الرجلُ صادقاً في قولِه، وافياً بوعدِه، صريحاً في أمرِه، رحيماً بإخوانه المؤمنين، مُعظِّماً لهم التعظيمَ اللائقَ بهم. فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنة.

ألا وإنَّ من مكارمِ الأخلاق: أنْ يكونَ الإنسانُ حسنُ المعاملة في أهلِه، ومَن يتصل به في معاملةٍ، أو وظيفةٍ، أو غيرهما فقد قال النبيُّ ﷺ: **«رَحِمَ اللهُ امرأً سَمْحَاً إذا باع، سَمْحَاً إذا اشترىٰ، سَمْحَاً إذا قضىٰ، سَمْحاً إذا اقتضىٰ»**[1]، وقال أنسٌ رضي الله عنه: **«خدمتُ النبيَّ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قال لي: أفٍّ قطّ، ولا قال لشيءٍ فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعلْه ألا فعلته»**[2].

ومن مكارم الأخلاق: أنْ تحملَ ما يحصلُ من إخوانِك علىٰ أحسنِ المحامِل، إذا وجدت له مَحملاً. فإنَّ الإنسانَ ربما يُطلقُ الكلمة، أو يفعل الفعلَ، لا يُلقي له بالاً، ولا يكون عن سُوء نيةٍ. وإذا اعتذر إليك أخوك فاقبل عذرَه، فإنه ما زاد اللهُ عبداً بعفو إلا عزّاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

ومن مكارمِ الأخلاق: أنْ يكونَ الإنسانُ مالكاً لنفسِه عند الغضب. فلا يقولُ ما لا يُحمد عُقباه، وليوطِّن نفسَه علىٰ مجابهةِ الأمور. ويتلقاها بحزمٍ وانشراحٍ. فإنَّ ذلك أبعدُ به عن الغضبِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

اللهم اهدنا لأحسنِ الأخلاق والأعمالِ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيءَ الأخلاقِ والأعمال لا يصرف عنا سيئها إلا أنت. اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء يا رب العالمين، اللهم صَلِّ وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



التحذير من مساوىء الأخلاق

الحمدُ لله الذي منّ علىٰ من شاءَ من عباده فهداهم إلىٰ أحسن الأخلاق وأعلىٰ الآداب، وخَذَلَ من شاء منهم بحكمته فانحطوا في مساوىء الأخلاق وأسافل الآداب، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك العظيم الوهاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، وينهىٰ الأمة عن راذل الأخلاق، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا مساوىءَ الأخلاق، فإنّ الأممَ تنحط بالأخلاق. وكان النبيُّ ﷺ يقول: «**اللهم جنّبني مُنكرات الأخلاق والأعمال، والأهواء والأدواء**»[(١)] يعني: الأمراض. وكان يقول: «**اللهم اصرِفْ عني سيِّءَ الأخلاق والأعمالِ لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[(٢)].

إن من مساوىء الأخلاق ما ذكره النبيُّ ﷺ بقوله: «**أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصْلَةٌ منهن كانت فيه خَصْلَةٌ من النفاق حتىٰ يدعَها: إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حَدَّث كَذَب، وإذا**

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩١) عن زياد بن علاقة، عن عمّه قطبة بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه.

عاهدَ غَدَر، وإذا خاصَم فَجَر»[١]. فهذه الخِصالُ الذميمة من خِصال المنافقين، يجبُ علىٰ كلِّ مُؤمن يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر أن يتجنَّبَها.

الخَصلة الأولىٰ: الخيانةُ عند الائتمان. ويدخلُ في ذلك الخيانةُ في الأموالِ والأسرارِ والولايات. فمن ائتمنكَ علىٰ ماله لإصلاحِه أو تنميته، فلم تعمل فيه فأنت خائنٌ. ومن أعطاك مالاً تبيعه فحابيتَ فيه قريباً أو صديقاً، فأنت خائن. ومن ولاه اللهُ علىٰ يتيمٍ، ففرّط في حضانتِه وتأديبِه وحِفظ مالِه، فهو خائنٌ، ومن حدَّثه أخوه بسرٍّ فأفشاه فهو خائنٌ. ومن تولّىٰ ولايةً صغيرةً كانت أو كبيرةً أو توكّل علىٰ شيءٍ مؤتمناً عليه فلم يعمل فيه بالأصلح فتلك خيانةٌ.

وأما الخَصْلة الثانيةُ من خِصال المنافقين فهي: الكَذب وبئسَ المطية الكذب. فإنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفُجور، وإنَّ الفُجور يهدي إلىٰ النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرىٰ الكذبَ حتىٰ يُكتبَ عند الله كذاباً. الكذب أن تحدِّث أخاك حديثاً وهو خلافُ الواقع جاداً أو هازلاً، سواء ترتَّب علىٰ ذلك مضرة عليه أم لا. وأما ما يقوله بعضُ العوام إنَّ الكذبَ حلال، إذا لم يقطع محلاً من حلاله. فهذا القول قولٌ بلا علم، فإنَّ الشارع لم يرخِّص في الكذبِ إلا في الحَرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل زوجته، وحديثها إياه فيما يترتب عليه مصلحة الاجتماع والائتلاف بينهما. وعن النبيِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ﷺ، أنه قال: «**ويلٌ للذي يحدِّث فيكذب ليُضحِكَ به القوم، ويلٌ له، ثم ويلٌ له**»(١).

والخَصْلة الثالثة من خصال المنافقين: الغدرُ بعد العهْدِ، فيعاهده في أمرٍ من الأمور، ويُعطيه ذمّتَه ثم يغدر به ولا يفي بعهدِه. ومِن صفات المُنافقين أنهم إذا وعدوا أخلفوا الموعدَ. أما المؤمنُ فلا يُخلف وعدَه إلا بعذر، ثم يعتذرُ من صاحبه، ويبيِّن له عذرَه إذا كان في ذلك مصلحةٌ بلا مضرة. ومن صفات المنافقين أيضاً: أنهم ينذرون ولا يُفُون بالنذر، فيقول أحدُهم: إنْ أعطاني اللهُ كذا وكذا فاللهِ عليَّ نذر أنْ أصلي أو أصوم أو أتصدّق أو أفعل كذا وكذا من الأمور التي تقرّب إلىٰ الله. فإذا حصلَ له مطلوبُه لم يفِ بنذرِه. فهذا قد استوجب أنْ يعاقبه الله بنفاقٍ في قلبِه حتىٰ يموت علىٰ النفاق.

الخَصْلة الرابعة من خِصال المنافقين المذكورة في هذا الحديث: «**إذا خاصم فجر**» والفجورُ في الخصومة: أنْ يدعي الإنسانُ ما ليس له أو يُنكر حقاً ثابتاً عليه. فهذا أمرٌ مُحرّم عليه، ولا ينفعه أن يحكمَ له القاضي به، وهو يعلم أنه لا حقَّ له به. فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنكم تختصمون إليَّ فلعلَّ بعضكم أنْ يكون ألحنُ بحجته مِن**

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢، والدارمي (٢٧)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٣٣) وأبو داود (٤٩٩٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٥٥)، والترمذي (٢٣١٥)، والحاكم ١/ ٤٦، والبيهقي ١٠/ ١٩٦ من حديث بهز بن حكيم ابن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

بعضٍ، فأقضي له علىٰ نحو ما أسمع منه، فمن قطعْتُ له من حقِّ أخيه شيئاً، فإنما أقطع له قطعةً من النار»[١] وقال: «**من اقتطعَ حقَّ امرىء مُسلم بيمينه فقد أوجبَ اللهُ له النار، وحرّم عليه الجنة**» فقال له رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسولَ الله؟ قال: «**وإن كان قضيباً مِن أراك**»[٢] وقال: «**من حَلَف علىٰ يمينٍ يقتطع بها مالَ امرىءٍ مسلمٍ هو فيها فاجرٌ لقي الله وهو عليه غضبان**»[٣].

فاتقوا الله عباد الله، ولا تجعلوا أحكامَ القُضاة بما تعلمون أنه لا حقَّ لكم فيه حُجّة. فإنَّ ذلك لا ينفعكم شيئاً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧) من حديث أبي إمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

برُّ الوالدين

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم من حقِّه وحقوق عبادِه، ألا وإن أعظمَ حقوقِ العبادِ عليكم حقُّ الوالدين، وحقّ الأقاربِ. فقد جعلَ اللهُ ذلك في المرتبةِ التي تلي حقَّ الله المتضمن لحقّه، وحقَّ رسولِه، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأوصىٰ وصيةً خاصةً بالوالدين، فقال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ [لقمان: ١٤]، وبين العلةَ في ذلك حثاً للأولاد علىٰ الاعتناء بهذه الوصية فقال: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ [لقمان: ١٤] أي ضعفاً علىٰ ضَعفٍ، ومشقةً علىٰ مشقةٍ، في الحمل وعندَ الولادة، ثم في حضنه في حجرِها وإرضاعه قبل انفصاله. فقال تعالىٰ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

ولقد جعل النبيُّ ﷺ برَّ الوالدين مقدماً علىٰ الجهاد في سبيل الله، ففي الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «**الصلاةُ علىٰ وقتِها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**برُّ الوالدين**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»[١]. وفي صحيح مسلم أنَّ رجلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ، فقال: أبايعك علىٰ الهجرةِ والجهادِ، أبتغي الأجرَ من الله قال: «**فهل من والديك أحدٌ حيٌّ**»، قال: نعم، بل كلاهما. قال: «**فتبتغي الأجرَ من الله**» قال: نعم. قال: «**فارجع إلىٰ والديك، فأحسِن صحبتهما**»[٢].

وفي حديث إسنادُه جيد، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إني أشتهي الجهادَ ولا أقدرُ عليه قال: «**هل بقي من والديك أحدٌ؟**» قال: نعم أمي. قال: «**قابل اللهَ في برِّها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج، ومعتمر، ومجاهد**»[٣].

ولقد أوصىٰ اللهُ تعالىٰ بصحبةِ المعروف للوالدين في الدنيا، وإن كانا كافرين، بل وإن كانا يأمران ولدهما المسلم أنْ يكفرَ بالله،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٧٦٠)، والضياء في «المختارة» ٥/ ٢٢٦، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٣٨ إلىٰ أبي يعلىٰ والطبراني وقال: ورجالهما رجال الصحيح غير ميمون بن نجيح.

لكن لا يُطيعهما في الكفرِ. فقال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ ـ أي بذلا جهدهما ـ ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥].

وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمَتْ عليَّ أمي وهي مشركةٌ، وكان أبو بكر قد طلقها في الجاهلية، فقدمت علىٰ ابنتها أسماء في المدينة بعد صلح الحديبية، قالت أسماءُ: فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، قدمَتْ عليَّ أمي وهي راغبة، أي راغبة في أنْ تصلها ابنتها أسماء بشيء، أفأصلُ أمي يا رسولَ الله؟ قال: «نعم صلي أمك»(١).

أيها المسلمون: إنَّ برَّ الوالدين يكون ببذلِ المعروفِ والإحسانِ إليهما، بالقول، والفعل، والمال. أما الإحسانُ بالقول فأنْ تخاطبهما باللينِ واللطف، مستصحباً كلَّ لفظٍ طيّب يدلُّ علىٰ اللين والتكريم.

وأما الإحسانُ بالفعل، فأنْ تخدمهما ببدنك ما استطعتَ من قضاءِ الحوائج، والمساعدةِ علىٰ شؤونهما، وتيسير أمورهما وطاعتهما في غير ما يضرّك في دينك أو دنياك. والله أعلمُ بما في ذلك، فلا تفت نفسَك في شيءٍ لا يضرّك بأنّه يضرّك، ثم تعصهما في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣) من حديث أسماء رضي الله عنها.

وأما الإحسانُ بالمال، فأن تبذلَ لهما مِن مالك كلَّ ما يحتاجان إليه طيبةً به نفسُك، منشرحاً به صدرك، غير متبع له بمنة بل تبذله وأنتَ ترىٰ أنَّ المنة لهما في قبوله، والانتفاع به.

وإنَّ برَّ الوالدين كما يكونُ في حياتهما يكون أيضاً بعد موتهما. فقد أتىٰ رجل من بني سلمة إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، هل بقي من برِّ أبويّ شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاةُ عليهما**» يعني الدعاء لهما، «**والاستغفارَ لهما، وإنفاذُ عهدهما**ـ أي: وصيتهما ـ **من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما، وإكرامُ صديقهما**»[1]، رواه أبو داود.

اللهُ أكبرُ ما أعظم برُّ الوالدين وأشملُه، حتىٰ إكرام صديقهما وصلته من برهما. وفي صحيح مسلم عن عبد اللهِ بن عُمر بن الخطاب، رضي الله عنهما أنه كان يسيرُ في طريقِ مكةَ راكباً علىٰ حِمارٍ يتروح عليه إذا مَلَّ الركوبَ علىٰ الراحلةِ فمرَّ به أعرابيٌّ، فقال: ألستَ فلان ابن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار. وقال: اركب هذا وأعطاه عمامةً كانت عليه، وقال: اشدُد بها رأسَك فقالوا: لابن عمر: غَفَرَ اللهُ لك، أعطيتَه حماراً كنت تروح عليه وعمامة تشدُّ بها رأسك فقال ابن عمر: إنَّ أبا هذا كان صديقاً

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله عنه.

لعمر، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ من أبرّ البرِّ صلةُ الرجلِ أهلَ ودّ أبيه»(١).

أيها المسلمونَ: هذا بيانُ منزلة البرِّ وعظيمُ مرتبته. أما آثارُه، فهي الثوابُ الجزيلُ في الآخرة، والجزاءُ بمثلِه في الدنيا، فإنَّ مَنْ برَّ بوالديه برَّ به أولادُه، ومن آثار برّ الوالدين: تفريج الكُربات، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيتُ إلىٰ غارٍ فدخلوه، فانطبقَتْ عليهم صخرةٌ، فسدّته عليهم. فتوسّلوا إلىٰ الله بصالح أعمالِهم أنْ يفرّجَ عنهم. فقال أحدُهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأىٰ بي طلبُ الشجر يوماً، فلم أرِح عليهما حتّىٰ ناما، فحلبتُ غَبوقهما فوجدتهما نائمين، فلبثتُ والقدحُ علىٰ يدي أنتظر استيقاظهما، حتىٰ برقَ الفجرُ، فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرّج عنا ما نحنُ فيه من هذه الصخرة. فانفرجَت قليلاً وتوسّلَ صاحباه بصالح أعمالهما، فانفرجَت كلُّها، وخرجوا يمشون(٢).

وإنَّ في برّ الوالدين سعةُ الرزق، وطولُ العُمر، وحُسن الخاتمة فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ سَرَّه

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أن يُمدَّ له في عُمره، ويوسّع له في رزقه، ويُدفع عنه ميتةُ السوء. فليتق اللهَ، وليصل رحمه»[١]. إسناده جيد. وبرُّ الوالدين أعلىٰ صلة الرحم، لأنهم أقربُ الناس إليك رحماً.

أيها الناسُ: إنه لا يليقُ بعاقلٍ مُؤمنٍ أنْ يعلمَ فضلَ برِّ الوالدين، وآثاره الحميدةِ في الدنيا والآخرة، ثم يُعرض عنه ولا يقومُ به، أو يقوم بالعقوقِ والقطيعةِ. فلقد نهىٰ اللهُ تعالىٰ عن عقوقِ الوالدين، في أعظمِ حالٍ يشقّ علىٰ الولدِ برهما فيها. فقال تعالىٰ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

ففي حال بلوغِ الوالدين الكِبر، يكون الضعفُ البدنيُّ والعقليُّ منهما، وربما وصلا إلىٰ أرذل العُمر الذي هو سببٌ للضجرِ والمَللِ منهما. وفي حالٍ كهذه نهىٰ اللهُ الولدَ أنْ يتضجرَ أقلَّ تضجّرٍ من والديه، وأمره أن يقولَ لهما قولاً كريماً، وأنْ يخفضَ لهما جناحَ الذلِّ مِن الرحمة، فيخاطبهما مخاطبةَ مَن يستصغرُ نفسَه أمامَهما، ويعاملهما معاملة الخادم الذي ذلَّ أمام سيده، رحمةً بهما، وإحساناً إليهما، ويدعو لهما بالرحمةِ كما رحماه في صِغره، ووقت حاجته فربّياهُ صغيراً.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

إنَّ علىٰ المؤمن أنْ يقوم ببرّ والديه، وأنْ لا ينسىٰ إحسانَهما إليه، حين كان صغيراً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضَراً. وأمه تسهرُ الليالي من أجلِ نومِه، وتُرهق بدنَها من أجلِ راحتِه. وأبوه يجوبُ الفيافي، ويُتعبُ فكرَه وعقلَه وجسمَه، من أجل حصوله علىٰ معاشِه، والإنفاقِ عليه. ولكلٍّ منهما برّ بجزاءِ عمله. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، مَن أحقُّ الناس بحسن صحبتي؟ قال: **«أمُّكَ. قال: ثم مَن؟ قال: أمُّكَ. قال: ثم من؟ قال: أمُّكَ. قال: ثم من؟ قال: أبوك»**[1].

وفقنا الله جميعاً لبر أمهاتنا وآبائنا، ورزقنا في ذلك الإخلاص وحسن القصد والسداد، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

برُّ الوالدين

الحمدُ لله الذي وَفَقَ برحمته من شاء للقيام بحقّ الله وحقوقِ المخلوقين، ومنعَ بحكمته من شاء عن القيام بما أوجب عليه من ذلك، فكان من الخاسرين، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل النبيين والمرسلين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ عليكم من حقوقِ الوالدين، فإنَّ الوالدين لهما عليكم حقٌّ كبيرٌ، وذلك لأنهما أحسنا إليكم أعظمَ إحسانٍ. أحسنا إليكم بتحصيلِ المطالب، ودفعِ المكارِه حينما كنتم صغاراً، لا تملكون لأنفسِكم ضرّاً ولا نفعاً، ولا جَلباً للخير، ولا دفعاً للشرِّ، كانا يرعيان مصالحَكم، وأنتُم عاجِزون، ويدعوان الله لكم وأنتم غافلون، إنْ أصابتكُم السراءُ، فالسرورُ لهما، وإن أصابتكم الضرّاءُ، فالمصيبةُ عليهما.

يسهران لسهرِكم، ويتألمان لألمكم. فالقيامُ بحقِّهما اعترافٌ بالجميل، وسبُبٌ للسعادة في الدنيا والآخرة. وإضاعةُ حقوقِهما، نُكران للجميل، وشقاوةٌ في الدنيا والآخرة.

كيف تنسىٰ فضلَ الأم، وأنت الذي أتعبتَها حملاً، وأشغلتَها طفلاً؟ لقد حملتْكَ في بطِنِها تسعةَ أشهرٍ، وهناً علىٰ وهنٍ، ولقد حملتك بين يديها زمناً بعد زمنٍ، ولقد أزالَتْ عنك الأذىٰ والأقذار وشغلَت فكرَها آناءَ الليل والنهار، كيف تنسىٰ فضلَ أبيك؟ وهو الذي يسعىٰ لك في طلبِ الأرزاقِ، ويحرِص علىٰ توجيهِك إلىٰ الخيرِ والرشاد.

فاتقوا اللهَ أيها الأولاد، وقوموا بحقِّ والديكم بالبرِّ والإحسان، برّوهما بالقولِ والفعل والمال. ألينوا لهما القولَ باللسان، واخدموهما مُتواضعين، ووسّعوا عليهما بالأموال باذلين. ولا تُتبعوا ذلك بالمنِّ والأذىٰ، فتصبحوا خاسرين.

وأطيعوا والديكم فيما يأمرون إلا في معصيةِ الله ورسوله، فإنّه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق. واعلموا أنَّ للبرِّ ثواباً عاجلاً، وثواباً آجلاً. فمن بَرَّ بوالديه بَرَّ به أولادُه، البرُّ وصلةُ الرحم سببٌ لطولِ العُمر وسعة الرزق. ومَن برَّ بوالديه ووصلَ أقاربَه، جعلَ اللهُ له مِن كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضِيقٍ مخرجاً.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلىٰ الله؟ قال: «**الصلاةُ علىٰ وقتها**» قلت: ثمَّ أيّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»[1]، واستأذن النبيَّ ﷺ رجلٌ في الجهاد،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فقال له: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[١]. واستشاره آخر في الجهاد فقال له النبيُّ ﷺ: «**ألك والدان؟**» قال: نعم. قال: «**ألزمهما، فإنَّ الجنةَ تحتَ أرجلهما**»[٢]. وعن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سرّه أنْ يُمَدّ له في عُمره، ويُزاد في رزقه، فليبرَّ والديه، وليصل رحِمَه**»[٣].

وفي قصة الثلاثةِ الذين انطبقَ عليهم الغارُ، فتوسَّلُوا إلىٰ الله بأعمالهم الصالحة أن يفرجه عنهم قال أحدُهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صِبيةٌ صغارٌ وكنت أرعىٰ لهم فإذا رُحْتُ عليهم فحلبتُ لهم بدأتُ بوالديَّ أسقيهما قبل ولديّ، وأنه نأىٰ بي طلب الشجر يوماً، فما أتيتُ حتىٰ أمسيتُ فوجدتُهما قد ناما. فحلبتُ كما كنتُ أحلب، فجئتُ بالحِلَاب، فقمتُ عند رؤوسهما أكرهُ أنْ أوقظهما مِن نومها، وأكره أنْ أبدأ بالصبية قبلَهما، والصبيةُ يتضاغون عند قدمي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتىٰ طلعَ الفجرُ. وتوسل صاحباه بأعمالٍ أخرىٰ ففرّجَ اللهُ عن الجميع، فخرجوا يمشون[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢/ ٢٨٩، وانظر «مجمع الزوائد» ٨/ ١٣٨.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وجاء رجل إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقـال: يا رسولَ الله، هل بقيَ من برِّ والديّ شيءٌ أبرهما به بعدَ موتهما؟ قـال: **«نعم، الصلاةُ عليهما ـ يعني الدعاء لهما ـ والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»**[(١)].

واعلموا أيها الأولاد أنَّ مِن أكبر الكبائر عُقوق الوالدين، وأنَّ عُقوقهما سببٌ في الدنيا للقطيعة، وفي الآخرة للعالةِ والفضيحةِ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٢-٢٤].

وقال النبيُّ ﷺ: **«ثلاثةٌ حرَّم اللهُ عليهم الجنةَ مُدمن الخمر والعاقُّ والديوثُ الذي يُقِرُّ الخَبَث في أهله»**[(٢)]. وأنتم أيها الوالدان اتقوا اللهَ في أولادِكم، وأعينوهم علىٰ برِّكم، وذلك بالتوجيه السليم، والتأديب والتقويم الذي أمركم الله به. ولا تضيعوا حقوقَهم من التأديب، فيسلطوا عليكم، ويمنعوا حقوقكم مِن البرِّ،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥) وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٦٩، والنسائي ٥/ ٨٠، وأبو يعلىٰ (٥٥٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٨٠)، والحاكم ١/ ٧٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفي الباب من غير واحد من الصحابة.

فمن أضاعَ أمرَ اللهِ في أولادِه أضاعوا أمرَ الله فيه، والجزاءُ من جِنس العمل.

إنَّ مِن المُؤسف حقاً، أنْ يرىٰ الإنسانُ أولادَه الصغار الذين يقدرُ علىٰ تأديبهم، يراهم يتركون ما أوجبَ اللهُ مِن الصلاةِ وغيرها، ويفعلون ما حرَّم اللهُ من الشتم والسبِّ وغيرِهما، وهو لا يبالي بذلك. ألا وإنَّ هؤلاء الجنس من الوالدين، قد عصوا ربَّهم وظلموا أنفسَهم، وظلموا أولادَهم، بل ظلموا الجيلَ المُقبل، لأنه إذا لم يُربِّ أولادَه سرىٰ داؤُهم إلىٰ غيرِهم.

فنسألُ اللهَ الكريمَ المنّان أنْ يوفقنا جميعاً لإصلاحِ مُجتمعنا، وتقويمِ أنفسنا وأولادِنا، وأنْ لا يكلنا إلىٰ أنفسِنا ولا إلىٰ غيرِه طرفةَ عينٍ. وصلّىٰ الله وسلّم وبارَك علىٰ نبيِّه محمّد وصحبِه وأتباعِهم إلىٰ يومِ الدين.



صلة الأرحام

الحمدُ للهِ الذي خلقَ مِن الماء بَشراً، فجعلَه نَسباً وصِهراً، وأوجبَ صِلةَ الأنسابِ، وأعظمَ في ذلك أجراً. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أعدها ليوم القيامةِ ذُخراً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أعظمُ الناسِ قدراً، وأرفعُهم ذِكراً صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه الذين قاموا بالحقِّ وكانوا به أحرىٰ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وصِلوا ما أمرَ اللهُ به أنْ يُوصل من حقوقه، وحقوقِ عباده. صِلوا أرحامَكم، والأرحامُ والأنسابُ هم الأقاربُ وليسوا كما يفهم بعضُ الناسِ أقاربُ الزوج أو الزوجةِ. فإنَّ أقاربَ الزوج أو الزوجة هم الأصهار. فأقاربُ زوج المرأة أصهارٌ لها، وليسوا أنساباً لها ولا أرحاماً وأقاربُ زوجةِ المرء أصهارٌ له وليسوا أرحاماً له ولا أنساب، إنما الأرحامُ والأنسابُ هم أقاربُ الإنسانِ نفسه، كأمّه وأبيه، وابنه وبنته، وكلّ من كان بينَه وبينه صلةٌ من قِبل أبيه، أو من قِبل أمّه، أو من قِبل ابنه أو من قِبل ابنته.

صِلوا أرحامكم بالزيارات والهدايا والنفقات، صلوهم بالعطف والحنانِ، ولينِ الجانب، وبشاشةِ الوجه، الإكرامِ والاحترامِ، وكلِّ ما يتعارف الناسُ من صلة.

إنَّ صلة الرحم ذكرىٰ حسنة، وأجرٌ كبيرٌ، إنها سببٌ لدخول الجنة، وصلةُ الله للعبدَ في الدنيا والآخرة.

اقرأوا إنْ شئتم قول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٢].

وفي الصحيحين: عن أبي أيوب الأنصاريّ رضي الله عنه، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، أخبرني بما يدخلني الجنة، ويُباعدني من النار. فقال النبيُّ ﷺ: «**لقد وفق**» أو قال: «**لقد هُدي كيف قلت؟**» فأعادها الرجل، فقال النبيُّ ﷺ: «**تعْبدَ اللهَ ولا تُشرك به شيئاً، وتُقيم الصلاةَ، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك**» فلما أدبر، قال النبيُّ ﷺ: «**إنْ تَمسَّكَ بما أمَرْتُ به دخل الجنة**»(١).

صلةُ الرحم سببٌ لطولِ العُمر، وكثرة الرزق. قال النبيُّ ﷺ: «**من سرَّه أنْ يبسطَ له في رزقِه، وأن ينسأ له في أثرِه، فليصل رحِمَه**»(٢) متفق عليه، وقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ خلق الخَلْقَ حتىٰ إذا فرغ قامت الرحمُ، فقالت: هذا مقامُ العائذ بك مِن القطيعة، قال الله: نعم، أما ترضينَ أنْ أصلَ من وصلك، وأقطعَ من قطعك؟ قالت:**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

بلىٰ. قال: **فذلك لك»**[١]. وقال ﷺ: **«الرحم متعلقةٌ بالعرش، تقول: مَن وصلني وصلَه الله، ومَن قطعني قطعَه الله»**[٢] متفق عليه، ولقد بيَّن رسولُ الله ﷺ، أنَّ صلة الرحم أعظم أجراً من العتق. ففي الصحيحين عن ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسولَ الله، أشعرت أني أعتقت وليدتي؟ قال: **«أو فعلت»** قالت: نعم. قال: **«أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعْظَمُ لأجرك»**[٣].

أيها الناسُ: إنَّ بعضَ الناس لا يصل أقاربَه إلا إذا وصلوه، وهذا في الحقيقةِ ليس بصلةٍ، فإنه مكافىء، إذ إن المروءة والفطرة السليمة تقتضي مكافأة من أحسن إليك قريباً كان أم بعيداً. يقول النبيُّ ﷺ: **«ليس الواصِلُ بالمكافىء، ولكن الواصلُ الذي إذا قطعت وصلها»**[٤] أخرجه البخاري.

فصِلوا أرحامكم وإن قطعوكم، وستكون العاقبة لكم عليهم. فقد جاء رجل إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ لي قرابة أصلهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٩٤)، ومسلم (٩٩٩) من حديث ميمونة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٦٣، والبخاري (٥٩٩١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ. فقال: «**إنْ كُنْتَ كما قلت، فكأنما تسفهم الملَّ** ـ أي الرماد الحار ـ **ولا يزال مَعَكَ مِن الله ظهيرٌ عليهم** ـ أي معين عليهم ـ **ما دمت علىٰ ذلك**»[(١)] رواه مسلم.

واحذروا أيها المؤمنون من قطيعةِ الرحم، فإنها سبب للعنة الله وعقابه. يقول الله عزّ وجلَّ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣] ويقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

ولقد تكفل اللهُ سبحانَه للرحمِ بأنْ يقطعَ مَنْ قطعها، حتىٰ رضيَتْ بذلك وأعلنته. فهي متعلقةٌ بالعرش، تقول: ومَن قطعني قطعَهُ اللهُ. وعن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يدخلُ الجنةَ قاطعُ رحم**»[(٢)] متفق عليه، وأعظمُ القيطعةِ قطيعةُ الوالدين، ثم من كان أقرب فأقرب من القرابة. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**ألا أنبئُكُم بأكبرِ الكبائر**» ثلاث مرات، قلنا: بلىٰ يا رسول الله

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

قال: **«الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين»**[١] سبحان الله ما أعظم عقوق الوالدين، ما أشد إثمه إنه يلي الإشراك بالله تعالىٰ.

إنَّ عقوقَ الوالدين قطعُ برِّهما والإحسان إليهما، وأعظمُ من ذلك أن يتبَع قطعُ البرِّ والإحسانِ بالإساءةِ والعدوان، سواء بطريقٍ مباشرٍ أم غير مباشر. ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال: **«مِنْ الكبائر شتمُ الرجل والديه»** قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: **«نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبَّ أمه»**[٢].

استبعد الصحابةُ رضي الله عنهم أنْ يشتمَ الرجلُ والديه مباشرةً ولعمرُ اللهِ إنه لبعيدٌ، لأنه يُنافي المروءةَ، والذوق السليم. فبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ ذلك قد لا يكون مباشرةً، ولكن يكون عن طريق التسبب بأن يشتم الرجلُ والدي شخصٍ، فيقابله بالمثل ويشتم والديه. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: حدثني رسولُ الله ﷺ، بأربعِ كلمات: **«لعنَ اللهُ من ذبحَ لغيرِ الله، لعن اللهُ مَن لَعَنَ والديه، لَعَنَ اللهُ من آوىٰ محدثاً، لَعَنَ اللهُ مَن غيَّر منارَ الأرض»**[٣] رواه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فيا عبادَ اللهِ: يا مَن آمنوا باللهِ ورسولِه، انظروا في حالِكم، انظروا في أقاربكم. هل قمتم بما يجب عليكم من صلة؟ هل ألنتم لهم الجانبَ؟ هل أطلقتم الوجوهَ لهم؟ وهل شَرَحْتُم الصدورَ عند لقائِهم؟ هل قُمْتُم بما يجب لهم من محبةٍ وتكريمٍ واحترامٍ؟ هل زُرتموهُم في صحّتهم تودداً؟ وهل عُدتموهم في مرضهم احتفاءً وسؤالاً؟ هل بذلتُم ما يجبُ بذلُه لهم من نفقةٍ وسدادِ حاجةٍ؟

فلننظر: إنَّ مِن الناس من لا ينظرُ إلىٰ والديه الذين أنجباه وربياه إلا نظرَ احتقارٍ وسخريةٍ وازدراء، يُكرم امرأتَه ويهين أمّه، ويقرّبُ صديقَه ويُبعد أباه، إذا جلس عندَ والديه، فكأنه علىٰ جمر يستثقل الجلوسَ ويستطيل الزمن، اللحظةَ عندهما كالساعة أو أكثر، لا يخاطبهما إلا ببطءٍ وتثاقلٍ، ولا يُفضي إليهما بسرٍّ ولا أمرٍ مهم، قد حرَم نفسه لذةَ البرِّ وعاقبته الحميدة.

وإنَّ من الناس من لا ينظر إلىٰ أقاربه نظرةَ قريبٍ لقريبه، ولا يعاملهم معاملةً تليق بهم. يخاصمهم في أقلِّ الأمور، ويعاديهم في أتفهِ الأشياء، ولا يقوم بواجب الصِّلةِ لا في الكلام ولا في الفِعال ولا في بذلِ المال. تجده مثرياً وأقاربُه محاويج، فلا يقومُ بصلتهم، بل قد يكونون ممن تجبُ نفقتُهم عليه لعجزهم عن التكسّب، وقدرتِه علىٰ الإنفاق عليهم فلا ينفق، وقد قال أهلُ العلم: كل مَن يرثُ شخصاً مِن أقاربه فإنه تجبُ عليه نفقتُه إذا كان مُحتاجاً عاجزاً عن التكسّب، وكان الوارث قادراً علىٰ الإنفاق. لأن

الله تعالىٰ يقول: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي مثل ما علىٰ الوالد من الإنفاق، فمن بخلَ بما يجبُ عليه مِن هذا الإنفاق، فهو آثمٌ مُحاسَب عليه يومَ القيامة، سواءٌ طلبه المستحقُّ منه أم استحيا وسكَت.

عبادَ اللهِ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وصِلوا أرحامَكم، واحذروا مِن قطيعتِهم. واستحضروا دائماً ما أعدَّ اللهُ تعالىٰ للواصِلين مِن الثواب، وللقاطعين من العقاب، واستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيء من حقوق الله تعالىٰ وحقوق الخلق

الحمدُ لله العليمِ الخبيرِ القويِّ القديرِ العزيزِ الحكيمِ، خلق كُلَّ شيء فأتقنه صنعاً وتقديراً، وشرع الشرائعَ فأحكمها عملاً وتنظيماً، فسبحانه من إلـٰهٍ عظيمٍ وخالقٍ حكيمٍ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً أرجو بها النجاةَ من العذابِ الأليمِ والفوزِ بدار النعيم المقيم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين وحجَّةً علىٰ العبادِ أجمعين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديهم القويم وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ الله لم يخلقكم عبثاً ولن يترككم سُدىٰ، وإنما خلقكم لحكمةٍ بالغةٍ وشرَعَ لكم شرائعَ كاملةً ليبلوكم أيكُم أحسنُ عملاً، خلقكُم وسترجعون إليه وشرَعَ لكم الدين وستُحاسبون عليه، فاستعدوا للقاء ربِّكم وأعدوا الجواب عما سيسألكم يقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٦-٨].

أيها الناسُ: إنَّ لربِّكم عليكم حقاً، وإن لأنفسكم عليكم حقاً، فأعطوا كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه حتىٰ تخرجوا من الدنيا وقد غنمتم الدنيا والآخرة، ولا تفرِّطوا في هذه الحقوقِ فتخسروا الدنيا والآخرة.

أيها الناسُ: لقد ذَكَرَ اللهُ حقوقه وحقوق عباده في كثيرٍ من آياتِ القرآن الكريم، وإنَّ من أجمعِ الآياتِ في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

إنَّ أعظمَ الحقوقِ عليكَ هو حَقُّ اللهِ تعالىٰ الذي خلقك فسواك وأمدك بالرزق ورباك وسخَّر كلَّ شيءٍ لمنفعتك ومصلحتك ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣] وما بكم من نعمة فمن الله، وإن حقه عليك أنْ تعبده ولا تشرك به شيئاً، بأن تَقُومَ بكلِّ ما يحبُّه ويرضاه محبةً له وتعظيماً له وطلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، لا تُقَدِّم علىٰ عبادته النفس ولا الولد ولا الأهل ولا المال، لأن كل هذا يزول وتبقىٰ عبادته. ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦] ولقد فرَّط كثيرٌ من الخلقِ في عبادةِ اللهِ فمنهم من عَبَدَ الأوثانَ، ومنهم من عَبَدَ الجاهَ، ومنهم من عَبَدَ المال كما قال النبيُّ ﷺ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدينار تَعِسَ عبد الدرهَم تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَة»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أفْرَطَ كثيرٌ من الناس في محبة الدنيا فشغلته عن طاعة الله وصارت أكبرَ همِّه ومبلغَ علمه، شَغَلَتْ قَلْبَه عند منامِه، وشَغَلَتْ قَلْبَه في يقظته وشَغَلَتْ قَلْبَه عند أكلِه وشُربِه، وفي ممشاه ومجلسه وحتىٰ في عبادته وصلاته، قلبُه مَشْغُول بها يسعىٰ لها بكلِّ طريق، ويحتالُ لتحصيلها بكل وجه. وهذا الانشغال التام سوف يؤثر علىٰ عبادةِ اللهِ ويصرفُ القلبَ عن الاتجاه إليه، ولم يذكر الله حقوق الرسل في هذه الآية لأن حقوقهم من حقوق الله حيث إنهم رسله القائمون بإبلاغ وحيه ودينه إلىٰ الخلق وبَعْدَ ذلك ذكرَ اللهُ حقوقَ الوالدين لأن حقَّهما عليك أعظمُ حقوقِ القرابة، لأن لهما عليكَ من الفضلِ والإحسانِ ما ليس لغيرهما من القيامِ بالمؤونة والتربية والتعب الجسميِّ والفكريِّ من أجل راحتك كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤] إنهما يسهرانِ لتنام، ويتعبان لتستريح، ويجوعان لتشبع، ولن يعرف قدر الوالدين إلا من رزق الأولاد. جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله إني أشتهي الجهادَ ولا أقدرُ عليه قال: **هل بقي من والديك أحد؟** قال: أمي. قال: **قابل اللهَ في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاجٌّ ومعتمرٌ ومجاهدٌ**. وجاءه آخر يستشيره في الجهاد فقال النبي ﷺ: **ألك والدان؟** قال: نعم. قال: **الزمهما فإنَّ الجنةَ تحتَ أرجلهما**. وكما يكون بِرُّ الوالدين في الحياة يكون أيضاً بعد الممات، فقد جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله هل بقي من برِّ أبوي شيءٌ أبرهما به بعد موتهما؟ قال: **نعم الصلاة**

عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلةُ الرحمِ التي لا توصل إلا بهما وإكرامُ صديقهما[١]. وبعد حقوقِ الوالدين حقوقُ الأقارب من جهة الأب أو من جهة الأم. قال النبي ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»**[٢].

ومن الحقوق حقوقُ اليتامىٰ وهم الذين مات آباؤهم قبلَ بلوغهم فانكسرت قلوبُهم بفقدِ القائمِ عليهم الموجِّه لهم فكان من محاسن الإسلام الأمر بالإحسان إليهم بالقول والفعل حتىٰ يُجبرَ ما بهم من النقص حتىٰ قال النبيُّ ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وأشار بإصبعه السبابة والوسطىٰ[٣].

ومن الحقوقِ حقوقُ المساكين، وهم الفقراء الذين أسكنهم الفقرُ، وكلما كان المسكينُ أشَدَّ حاجةً وأقوىٰ تعففاً كان الإحسان إليه أفضل وأولىٰ، والساعي علىٰ الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله.

ومن الحقوقِ الواجب مراعاتها حقوقُ الجار، فإنْ كان قريباً فله حقان، حق الجوار وحق القرابة، وإنْ كان أجنبياً لا قرابة بينك وبينه فله حقٌّ واحدٌ حقُّ الجوارِ ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] وقد عَظَّمت السنةُ حَقَّ الجارِ حتىٰ قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره**»[١]. وقال ﷺ: «**والله لا يُؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن**» قيل: يا رسولَ الله لقد خَابَ وخَسِرَ من هذا؟ قال: «**من لا يأمن جارَه بوائقُه**» قالوا: وما بوائقه؟ قال: شره. وقال ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه**»[٢].

ومن الحقوق حقوقُ الصاحبِ بالجنب، وهو الزوج فعلىٰ كلِّ واحدٍ من الزوجين أنْ يقوم بمراعاة حقوق الآخر ويُحسن عشرته.

ومن الحقوق الواجب مراعاتها حَقُّ ابن السبيل، وهو المسافر المحتاج، فإنَّ المسافر غريبٌ بعيدٌ عن أهله غَيْرَ معروفٍ بين الناس فحاجته للمساعدة أعظم من غيره.

ومن الحقوق حقوقُ المملوكين من آدميين وغيرهم، فالواجبُ علىٰ المؤمن مراعاة هذه الحقوق التي أمر الله بها ليكون بذلك قائماً بطاعة الله محسناً إلىٰ عباد الله.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

نماذج من الآداب الإسلامية

الحمدُ لله الذي وفَّقَ مَن شاء من عبادِه لمكارمِ الأخلاق، وهداهم لما فيه فلاحُهم وسعادتُهم في الدنيا ويوم التلاق. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكريمُ الخلاق، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الخلق علىٰ الإطلاق، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتأدبوا بما أدبكم الله به علىٰ لسان رسوله ﷺ، فإنَّ الله بعثه ليتمم مكارمَ الأخلاق، فتممها بقوله وفعله، وترك الأمةَ علىٰ طريقٍ بيضاء، لا يزيغُ عنها إلا هالِك مُرتاب.

إنَّ الآدابَ التي شرَعَها اللهُ علىٰ لسانِ رسولِه ﷺ آدابٌ شاملة عامةٌ، آدابٌ في الأكلِ والشرب، وآدابٌ في اللباسِ والنومِ، وآدابٌ في معاملة الناس، وآدابٌ في كلِّ شيءٍ.

أما الآدابُ في الأكل والشرب، فقد علّمَ رسولُ الله ﷺ أمتَه أن يقولوا عند الأكل والشرب: باسم الله. وأخبرَ أن مَن لم يُسمِّ اللهَ شاركه الشيطانُ في أكلِه وشربِه، وأمرَهم أنْ يأكلوا باليمينِ ويشربوا باليمين.

ونهاهم عن الأكلِ بالشمالِ والشرب بالشمال، وقال: **«إنَّ الشيطانَ يأكلُ بشماله، ويشربُ بشماله»**[١] وأمرَ الآكلَ مع غيره أنْ يأكلَ مما يليه. وقال: **«إنَّ الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمدُه عليها، ويشربُ الشربةَ فيحمده عليها»**[٢].

وأما اللباس، فالسنة فيه أنْ يبدأ عندَ اللباس باليمين، فيُدخل يدَه اليُمنىٰ قبل اليسرىٰ، ورجله اليُمنىٰ في النعال والسراويل قبل اليُسرىٰ. وأما عند الخلع فيبدأ باليسرىٰ قبل اليُمنىٰ وإذا لبس شيئاً جديداً، فيحمد الله الذي رزقه إياه من غيرِ حولٍ منه ولا قوة.

ورغَّب أمتَه في لباسِ الثوبِ الجميل. فقال: **«إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال»**[٣] وحرّم علىٰ ذكورِ أمته لباس الحريرِ والذهب، وأنْ يكونَ لبس الرجل نازلاً عن كعبيه. وقال: **«ما أسفلَ مِن الكعبين ففي النار»**[٤] وقال: **«ثلاثةٌ لا يكلِّمه اللهُ يومَ القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ، المُسبلُ، والمنانُ، والمُنفقُ سلعتَه بالحلفِ الكاذب»**[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٥، وابن ماجه (٣٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٤١٨، ومسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وأما النومُ، فالسنةُ فيه أنْ ينامَ علىٰ الجنبِ الأيمنِ، وأنْ ينامَ علىٰ طهارةٍ، ويذكر اللهَ حتىٰ يغلبه النومُ، ويقرأ آيةَ الكُرسي، فإنَّ مَن قرأها في ليلةٍ لم يزل عليه مِن اللهِ حافظٌ، ولا يقربه شيطانٌ حتىٰ يُصبحَ.

وكان النبيُّ ﷺ إذا استيقظَ مِن منامه يقول: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور**»[1]، وقال: «**إذا استيقظَ أحدُكم من نومه، فليقل: الحمدُ لله الذي ردَّ عليّ رُوحي وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره**»[2].

وأما الآدابُ في معاملةِ الناس، فقد جاء ﷺ بأكملها، فحثَّ علىٰ حسن الخُلُقِ. وقال: «**أكملُ المؤمنينَ إيماناً أحسنُهم خُلقاً**»[3] وقال: «**لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئاً، ولو أنْ تلقىٰ أخاك بوجهٍ طلق**»[4]، وأمر بكلِّ ما يَجْلِبُ المودةَ والمحبّة بين المُؤمنين، وجعل في ذلك أجراً وخيراً فقال ﷺ: «**واللهِ لا تدخلوا الجنةَ حتىٰ تُؤمنوا، ولا تُؤمنوا حتىٰ تحابوا، ألا أدلكم علىٰ شيءٍ إذا فعلتموه**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي ضمن حديث رقم (٣٤٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٠، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

تحاببتُم، أفشوا السلامَ بينكم»(١) وقال: «إنَّ أولىٰ الناس بالله من بدأهم بالسلام»(٢) وأمرَ بالصدقِ في كلِّ شيء وقال: «إنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنةِ، ولا يزال الرجلُ يصدقُ، ويتحرّىٰ الصدقَ، حتىٰ يُكتبَ عند الله صديقاً»(٣).

وشملت الآدابُ الإسلامية كلَّ شيء، حتىٰ الرجل عندما يريد أن يقضي حاجة بولٍ أو غائطٍ. فقد جعلَ له آداباً، فعندما يريدُ الدخول إلىٰ محلِّ قضاءِ الحاجةِ، يقول: بسم الله، أعوذُ باللهِ من الخُبث والخبائث. ويقدّم رجلَه اليُسرىٰ، وإذا خرَجَ قدَّم رِجله اليُمنىٰ، وقال: غفرانك الحمدُ لله الذي أذهبَ عني الأذىٰ وعافاني.

ومِن الآداب الإسلامية، أنْ يستعملَ الإنسانُ يدَه اليُمنىٰ عند الأخذِ والعطاء. فيأخذ بيمينِه، ويُعطي بيمينه. ولا يستعملُ اليسار، إلا عند الحاجة.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ، وتأدّبوا بما بلغكم مِن الآداب الإسلامية، لترتقوا إلىٰ الكمالِ الخلقي، والتعاملي، وتفوزوا بخير الدنيا والآخرة. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٤٢، ومسلم (٥٤) (٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٩٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٣٨٤، والبخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

وأخيراً أنَّ الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقال ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن يَسَّرَ علىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سترَ مُسلماً ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عون أخيه»[(١)] وقال ﷺ: «كُلُّ سلامى من الناسِ عليه صدقة، كلَّ يومٍ تطلعُ فيه الشمس: تَعْدِلُ بين اثنين صدقة وتُعينُ الرجلَ في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خطوةٍ تمشيها إلىٰ الصلاة صدقةٌ، وتميطُ الأذىٰ عن الطريق صدقةٌ»[(٢)] وقال: «مَنْ سرَّه أنْ يُنجيه الله من كُرَبِ يومِ القيامة فلينفس عن مُعْسرٍ أو يضع عنه»[(٣)].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

آدابٌ إسلامية

الحمدُ لله الذي بَيَّنَ لنا أفضلَ المسالك وأحسنَ الآداب، ووفَّق مَن شاء من عبادِه لسلوكها وهو الحكيمُ الوهاب، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلكُ وله الحمدُ وإليه المرجعُ والمآب، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي قامَ بالأخلاقِ الفاضلةِ وأتمَّها وحذَّر أمتَه من سفاسفها وأرذلها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين تمسكوا بآدابه وانتهجوا مناهجها وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ ما يتصفُ به الناسُ من الأخلاق علىٰ وجهين، فأخلاقٌ فاضلةٌ شريفةٌ حثَّ الدِّينُ عليها وأمرَ بها، وأخلاقٌ رذيلةٌ سافِلةٌ حذَّرَ عنها وزهَّد بها. ألا وإنَّ مِن الأخلاقِ الفاضلةِ برُّ الوالدين بالإحسانِ إليهما قولاً وفِعلاً في الحياةِ وبعد الممات. ألا وإنَّ مِن برِّهما بعدَ الموت الدعاءُ لهما والاستغفار لهما، وإنفاذ وصيتهما، وصلةُ الرحم التي لا توصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقهما.

ومِن الأخلاق الفاضلة: صلةُ الأرحام وذلك بتعاهدهم بالبرِّ والإنفاق، ولطفِ الكلام، فإنَّ مَن وصَل رحِمَه وصَلَه اللهُ، ومن قطعَه قَطعَه اللهُ، ومن الأخلاق الفاضلة: حُسن الجِوار وذلك بإكرام الجارِ والتودّد، وذلك بلطفِ القولِ له، والهديةِ إنْ كان غنياً، وبالصدقة إنْ كان فقيراً. فما زالَ جبريلُ يوصي النبيَّ ﷺ بالجارِ

حتَّىٰ ظنَّ أنه سيورثه. وحتىٰ قال النبيُّ ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: **«إذا طبختَ مرقةً فأكثر ماءَها وتعاهد جيرانك»**[١].

ومِن الآداب الإسلامية الفاضلةِ إفشاءُ السَّلام وإظهارُه، بأن تقول لأخيك المُسلم: السلامُ عليكم، وتشير مع ذلك للبعيدِ ولمن لا يسمع. ومَن سلّم مرةً ولم يُسْمِع فليعدها ثلاثاً، ومن ردَّ السلام فليقل: وعليكمُ السلامُ، ولا يقتصر علىٰ قول أهلاً وسهلاً. ويسلِّم الصغيرُ علىٰ الكبيرِ، والراكبُ علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعدِ، والقليلُ علىٰ الكثير[٢]، و**«أولىٰ الناس باللهِ من يبدؤهُم بالسلام»**[٣].

ومِن الآداب العالية ما أمر به النبيُّ ﷺ أمتَه فقد أمرَهُم ﷺ بسبعٍ: بعيادةِ المريضِ، واتباعِ الجنائز، وتشميتِ العاطِس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، إفشاءِ السلام، وإبرارِ المُقسم: يعني أنَّ مَن حلف عليك أن تفعلَ أو يتركَ شيئاً فمن حقِّه عليك أن تبرَّ بيمينه ولا تحنثه. ومعنىٰ تشميت العاطس: أنْ تقولَ لمن عطَسَ وحمِدَ الله: يرحمُكَ اللهُ، ويُجيبك بقوله: يهديكُم اللهُ ويُصلِح بالَكم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٦٢٣١-٦٢٣٤) من أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٩٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ألا وإنَّ مِن الآداب الفاضلة: لينُ الجانبِ وبشاشةُ الوجه، وسماحةُ الخُلق لجميع المخلوقين، وأنْ لا يضمر لهم بغضاً ولا حسداً، ولا غلاً، لينال بذلك حباً منهم وإجلالاً وقرباً.

ومن حُسن الأخلاق: حُسن السلوك في المعاملات. بأنْ يكونَ المرءُ سمحاً إذا باعَ، سمحاً إذا اشترىٰ، سمحاً إذا قضىٰ ما عليه، سمحاً إذا اقتضىٰ، وأنْ يكون وافياً بما شُرِط عليه من الشروط الصحيحة، ولا يتحيّل علىٰ إسقاطِها بأنواعِ الحيل الباطلة الخسيسة.

ألا وإنَّ مِن الأخلاقِ الفاضلةِ التأدب بالآداب عند الأكلِ والشرب فليسمِّ اللهَ عند الأكل والشرب، وليحمد اللهَ تعالىٰ إذا فرَغ وليأكل باليمين ويشرب باليمين، فإنَّ الأكلَ والشرب بالشمال من التشبه بالشياطين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

وفقني اللهُ وإياكم لأحسن الأخلاق وأقومها، ورزقنا بمنّه القيام بعبادته، فرائضها وسننها، وتوفانا علىٰ التوحيد والإيمان، وأعاذنا من الشرك والطغيان والعصيان، إنه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.

آداب إسلامية

الحمدُ للهِ الذي أتم علينا نعمتَه وأكملَ لنا الدينَ وشرَعَ لنا من الأعمالِ الصالحاتِ أنواعاً وأصنافاً لنتقرَّب بها إلىٰ ربِّ العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له أكرمَ الأكرمين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ المرسلين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله واعلموا أنَّ الإنسانَ إذا أصبح كان عليه لكلِّ عظمٍ من عظامِه صدقةٌ لكنها صدقة لا تختص بالمال بل تعم جميع ما يقرب إلىٰ الله من الأقوال والأعمال، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ سلامى من الناسِ عليه صدقة كُلَّ يومٍ تطلعُ فيه الشمسُ**» ثم بَيَّنَ النبي ﷺ نوع هذه الصدقة فقال: «**تَعْدل بين اثنين صدقة وتعينُ الرجلَ في دابته فتحمله عليها أو ترفعُ له عليها متاعَه صدقةً والكلمةُ الطيبةُ صدقةً وبكلِ خطوةٍ تمشيها إلىٰ الصلاةِ صدقة وتميطُ الأذىٰ عن الطريقِ صدقة**»[1] فجعل النبيُّ ﷺ العدل بين اثنين صدقة، فمن عدل بين اثنين في القضاء بينهما أو عدل بينهما فأصلح بينهما فهو له صدقة، ومن عدل بين

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أولاده فيما يجب العدل عليه فيه بينهم فهو له صدقة، ومن عدل بين زوجتيه في القسم فهو له صدقة، وجعلَ النبيُّ ﷺ إعانةَ الرجلِ في دابته صدقة، فمن وجد رجلاً لا يستطيع الركوب إلىٰ دابته فأمسكها حتىٰ يركبَ أو حملَه عليها فذلك صدقةٌ ومن وجدَ شخصاً يريدُ أن يحملَ علىٰ دابتِه شيئاً فساعده علىٰ حمله أو أمسكَ دابتَه له فهو صدقة، وجعلَ النبيُّ ﷺ الكلمةَ الطيبةَ صدقةً والكلمةُ الطيبةُ تشمل كُلَّ قولٍ يقرّبُ إلىٰ الله تعالىٰ فالأمرُ بالمعروفِ صدقة، والنهيُ عن المنكر صدقة، وبكلِّ تسبيحةٍ أو تكبيرة أو تهليلةٍ صدقة، وتعليمُ العلم النافع صدقة، وابتداءُ السلام ورده صدقة، وجعل النبيُّ ﷺ بكلِّ خطوةٍ يخطوها العبدُ إلىٰ الصلاة صدقة، وكلما بعدت طريقُ الصلاةِ كانت الصدقات أكثر. وهذا من أكبرِ فضائل صلاة الجماعة في المساجد وجعل النبيُّ ﷺ إزالة الأذىٰ عن الطريق صدقة، فمن عَزَلَ حجراً أو شوكةً أو عظماً عن طريق الناس فذلك صدقة يثاب عليها ويؤجر، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَرَّ رجلٌ بغصنِ شجرةٍ علىٰ ظهر طريق فقال: «**والله لأنحينَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة**»[١]، وفي رواية: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة** ـ أي يروح فيها ويجيء كما شاء ـ **في شجرة قطعها من ظهر الطريق**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٤) (١٢٨) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كانت تُؤذي الناس»(١)، وفي رواية: **«بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجدَ غُصَنَ شوكٍ علىٰ الطريقِ فأخَّره فشكر الله له فغفر له»**(٢)، ويدخل في إماطة الأذىٰ عن الطريق تسهيل الطرقات الصعبة التي تشق علىٰ من سلكها وتؤذيهم فإنَّ في إصلاحها وتسهيلها إزالة لأذاها ومشقتها، فمن ساهم في ذلك بماله أو بدنه فقد فعل خيراً، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاةِ الله والإحسانِ إلىٰ عبادِ الله فسوفَ يلقىٰ الذكرَ الطيبَ في الدنيا والثوابَ الجزيلَ في الأخرىٰ إن شاء الله.

وفقني اللهُ وإياكم إلىٰ المسارعةِ في الخيراتِ والمساهمةِ في جميع المشاريعِ النافعة وجعل عملنا خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته إنه قريبٌ مجيبُ الدعوات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٤) (١٢٩) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) (١٦٤)، و(١٩١٤) (١٢٧) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نماذج من الآداب الفاضلةِ وضدّها

الحمدُ لله الذي أرسلَ رُسلَه بالهُدىٰ ودين الحقِّ ليُخرج الناسَ من الظلمات إلىٰ النور ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فهدىٰ به من الضلالة ويصّر به من العمىٰ وهدىٰ به إلىٰ صراط مستقيم، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من العذابِ الأليم والفوزَ بالنعيمِ المقيمِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ الكريم صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتخلّقوا بمكارمِ الأخلاقِ وتجنّبوا أراذلها، فإنكم إنْ فعلتم ذلك هُديتم إلىٰ سنة نبيِّكم ونلتُم سعادةَ الدنيا والآخرة.

أيها المسلمونَ: لقد جاء الإسلامُ آمراً وداعياً ومُرغِّباً في مكارمِ الأخلاق، وناهياً ومُحذراً عن مساوىء الأخلاق. ألا وإن مِنْ مكارمِ الأخلاق لزوم الصدق في الأقوالِ والأفعال، فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ والبرُّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عند الله صِديقاً[1] ولقد أمرَ اللهُ بالصدقِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وأثنىٰ علىٰ أهله فقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤] ولقد رفع الله للصادقين ذكرَهُم في حياتهم وبعد مماتهم، فكانوا محلَّ ثقةِ الناس، ويذكرهم تطيبُ المجالسُ ويثنىٰ عليهم.

ألا وإنَّ من مساوىء الأخلاق أنْ يكون الإنسانُ كاذباً في قولِه وفعلِه فإنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجورِ وإنَّ الفجورَ يهدي إلىٰ النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّىٰ الكذب حتىٰ يُكتبَ عند الله كذاباً. ولقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ في كتابه أنَّ الكذبَ من صفاتِ من لا يُؤمنون بآيات الله فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥] وقد جعل النبيُّ ﷺ الكذب من علامات النفاق فقال: «**آيةُ المنافقِ ثلاث، إذا حدَّث كذب، وإذا وعدَ أخلفَ وإذا اؤتمنَ خان**»(١) واللهُ سبحانه وتعالىٰ بحكمتِه وضَع الكاذبين في الموضع اللائق بهم فكانوا محلاً للقدح وعدم الثقة وذلك جزاء الكاذبين.

ألا وإن من مكارِم الأخلاق أنْ يعاملَ الرجلُ الناسَ بالنصيحةِ والمعاملةِ الحسنة، يعاملهم بما يجبُ أنْ يعاملوه به، يعاملهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بالصراحة فلا يخون ولا يغدر ولا يغش، فالخيانةُ والغدرُ والغشُ أخلاقٌ ذميمةٌ يحذر منها الدينَ ويستقبحها كلُّ عقلٍ سليمٍ وهي من الفسادِ في الأرض. وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ في كتابِه أنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين ولا يُصلح عمل المفسدين، وأخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة يُعرف به ويخزىٰ به بين الناس يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان وقال ﷺ: «**مَنْ غشنا فليس منا**»[١] وقال: «**ما مِنْ عبدٍ يسترعيه اللهُ عَزَّ وجل رعيةً يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ رعيته إلا حرَّم اللهُ عليه الجنة**»[٢].

أيها المسلمونَ: إنَّ من المؤسف جداً أنْ يتخذَ بعضُ المسلمين من هذه الأخلاق الذميمة أخلاقاً له فيهلك نفسَه ويحط معنويته وينقص إيمانه، لقد كان بعضُ الناس يتخذُ الكذبَ شطارةً ومهارةً فيقابل هذا بوجهٍ وهذا بوجهٍ وشَرُّ الناسِ ذو الوجهين ثم يفتي نفسه بأن الكذب مباح. إلا ما كان يتضمن أكلاً للمال فيجمع بين الكذب علىٰ الناس والكذب علىٰ الشريعة وإنَّ من أقبح الكذب أنْ يقرن الكاذبُ قولَه باليمين الكاذبة، وأقبح من ذلك أنْ يتضمنَ كذبه أكلاً للمال بالباطل أيضاً فيجتمع له ثلاثُ مساوىء، الكذبُ والحلف عليه وأكل المال بغير حق، وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

حَلَفَ علىٰ يمينٍ يقتطعُ بها مالَ امرىءٍ مُسْلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»(١) وهذا ربما يُوجد عند البيعِ والشراءِ والخصومة تجده أنه يحلف أنها سيمت كذا وكذا، وهو يكذب ولكن قصده أنْ يأخذ من أموال الناس زيادة ثمن، تجده يحلف عند القاضي أن ليس في ذمته لفلان كذا وهو كاذب. ويرىٰ بعض الناس أنَّ الغشَّ والخداع حذقٌ وعقلٌ وغنيمةٌ وكسبٌ فيفرح إذا غشَّ غيرَه أو خدعه ويرىٰ أنَّ ذلك منقبة له ورفعة، والواقعُ أنَّ الغشَّ سفهٌ وغرمٌ ووضيعةٌ وهلاكٌ وخسارةٌ فاتقوا الله أيها المسلمون والزموا الأخلاقَ الفاضلةَ وتجنَّبوا الأخلاقَ السافلة وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

وفقني اللهُ وإياكم لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ورزقنا الصدق في الأقوال والأعمال، وجنبنا منكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواءِ والأدواء إنه جواد كريم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

نماذج من حقوق المسلم علىٰ المسلم

الحمدُ لله الذي جعل المؤمنين أخوةً في الإيمان وشبَّهَهُم في دعمِ بعضِهم بعضاً، وشدِّ بعضِهم بعضاً، وقيامِ بعضِهم ببعض بالبنيان وشرعَ لهم من الأسبابِ ما تقومُ به تلك الأخوة وتستمرُ علىٰ مدىٰ الزمان. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له في الألوهية والأسماء والصفات والسلطان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث إلىٰ جميع الإنس والجان صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنكم في الدِّين أخوة، وأنَّ هذه الأخوة والرابطةُ الدينيةُ أقوىٰ مِن كلِّ رابطةٍ وصلةٍ، فيوم القيامة لا أنساب بينكم ولكن ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فحقّقوا أيها المسلمون هذه الأخوة بالتحاب بينكم والتآلف ومحبة الخير بعضكم لبعض، والتعاون علىٰ الخير، وفعلِ الأسبابِ التي تُقوي ذلك وتنمّيه، واجتناب الأسباب التي تُضعف ذلك وتنقصه. فالأمةُ لا تكونُ أمةً ولا يجتمعُ لها قوة حتىٰ تكونَ كما وصفها نبيُّها ﷺ، بقوله: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

أيها الأخوةُ: لقد شرع اللهُ لكم ما يُقوي اتحادَكم، ويُنمي المحبةَ بينكم، ويُزيل العداوةَ والفرقة. شرَع لكم أن يُسلِّم بعضُكم علىٰ بعضٍ، فالسلامُ يغرسُ المحبةَ، والهجر يُوجِبُ البغضاء والوحشة. فإذا لقيَ بعضُكم بعضاً فليسلِّم عليه، وخيرُكم مَن يبدأ بالسلام. وليجبه المسلم عليه ببشاشة وانطلاقِ وجهٍ بجوابٍ يسمعه، ويكون مثل سلامه أو خيراً منه. وشرَع لكم أنْ يعودَ بعضُكم بعضاً إذا مرضَ فـ«**مَنْ عاد مريضاً ناداه مُنادٍ من السماء: طبتَ وطابَ ممشاك ومن عادَ أخاه المُسلم لم يزلْ في خُرفةِ الجنةِ حتىٰ يرجعَ**» قيل: يا رسولَ الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»[1] وإذا عادَ أحدُكم المريضَ فليوسّع عليه الأمرَ، ويقول ما يفرحه من ذِكر ثوابِ الصابرين، وانتظارِ الفرج، وأنه طيّبٌ ولا بأسَ ويفتح له باب التوبة واغتنامِ الوقت بالذكر والقراءةِ والتسبيحِ وغيرِها مما يقرّبُ إلىٰ الله.

وشرَع لكم الإصلاحَ بين الناس. فقد قال الله تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] وفي الحديث: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي أيوب: «**ألا أدلُّكَ علىٰ تجارة؟**» قال: بلىٰ يا رسولَ الله. قال: «**تسعىٰ في إصلاحِ بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارِب بينهم إذا تباعدوا**»[2]،

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٢٦، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٥)، وابن ماجه (١٤٤٣)، والترمذي (٢٠٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٩٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

فالموفَّق إذا رأىٰ بين اثنين عداوة وتباعداً سعىٰ بينهما في إزالةِ تلك العداوة والتباعد، حتىٰ تنقلبَ العداوةُ صداقةً والتباعد قُرباً، وفي هذه الحال يحصلُ علىٰ خيرٍ كثير وأجرٍ كثير.

ولقد شرعَ اللهُ لكم إذا سمعتُم العاطس المُسلم يحمد اللهَ أن تقولوا له: يرحمُك الله. ويردَّ عليكم يهديكم الله ويُصلح بالكم. وشرعَ لكم المهاداةَ فيما بينكم، وأخبرَ أنَّ الهديةَ تُذهِبُ السخيمةَ وتُوجبُ المحبةَ، وكلُّ أمرٍ يُوجب ارتباطَ المُسلمين واتحادهم فهو مشروعٌ ومأمورٌ به، ومن ذلك تشاور أهلِ الرأي في الأمورِ العامةِ التي تهمُّ المسلمين، فإذا اجتمعَ المسلمون علىٰ أمورِهم وتشاوروا بينهم فيها فما أحراهم بالتوفيق إلىٰ الصواب، وما أقربَهم من النجاح.

وفي مقابل ذلك نهىٰ اللهُ تعالىٰ عن كلِّ ما يُوجب تفرّق المسلمين وتباعدهم، فنهىٰ أنْ يهجرَ الرجلُ أخاه فوقَ ثلاث، يُدبِرُ هذا ويُدبرُ هذا، فلا يُسلِّم أحدُهما علىٰ الآخر، ولا يزيلُ الوحشةَ والعداوة التي بينهما. وهذا خُلق ذميمٌ لعب الشيطانُ به علىٰ بعضِ الناس حتّىٰ أوقَعُهم فيه، فتجدُ الرجلين كلٌّ منهما يحبُّ الخيرَ، ويعمل ما يعمل منه ويُعدَّ مِن أهلِ الديانة، ولكن الشيطانُ قد خدعَه فكان يهجرُ أخاه، ولم يعلم المسكينُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاه المسلم فوقَ ثلاثٍ فمن هَجَرَ فوق ثلاثٍ فمات دخلَ النار»**[1] وقال

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ﷺ: **«تُعرضُ الأعمالُ في كلِّ اثنين وخميس فيغفرُ اللهُ في ذلك اليوم لكلِّ امرىء لا يشركُ بالله شيئاً، إلا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتىٰ يصطلحا»**(١).

ولقد جاء الشرعُ بتحريمِ النميمةِ والسعي بين الناس بالإفسادِ بينهم. فقالَ النبيُّ ﷺ: **«لا يدخلُ الجنةَ نمام»**(٢) ونهىٰ عن السباب والشتم، لأن ذلك يُحدث العداوةَ والبغضاء، فتآلفوا أيها المؤمنون بينكم، وأزيلوا العداوةَ والبغضاءَ من بينكم، وكونوا عبادَ الله إخواناً.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

من حقوق المسلمين

الحمدُ لله الذي فاوت بين عباده في كلِّ الأمور، فمنهم مطيعٌ ومنهم عاصٌ، ومنهم شكورٌ ومنهم كفورٌ، فسبحان من له الحكمة البالغةُ والنعمةُ السابغة في المشروع والمقدور، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في عبادته وربوبيته، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ أنبيائِه ورسلِه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومتبعه وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ بحكمتِه جعلَ للخيرِ والشرِّ خزائن، وجعل لهذه الخزائن مفاتيح، فطوبىٰ لمن كان مفتاحاً للخير، ومغلاقاً للشرّ، وويلٌ لمن كان مفتاحاً للشرِّ، ومغلاقاً للخيرِ. فكونوا رحمكم الله مفاتيح للخير، ومغاليق للشرِّ، قوموا بالنصيحةِ والتوجيه القيِّم والإرشاد، سالكينَ بذلك طريقَ الحكمةِ والسداد، وبشِّروا ولا تُنفِّروا، ويسِّروا ولا تُعسّروا. فإنَّ دينَـكم هذا دينُ يُسرٍ، ولن يشاده أحدٌ إلا غلبَه. فمن رأيتموه مُقبلاً علىٰ الطاعةِ، حريصاً عليها، فشجِّعوه، وأعينوه، ورجُّوه الخيرَ والثواب وأملوه.

من رأيتموه حريصاً علىٰ إقامةِ الصلوات مع الجماعة فأثنوا عليه، وبيِّنوا له الأجرَ العظيم، وأنّ من اعتادَ المسجدَ فهو من المؤمنين. ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

ومن رأيتموه باراً بوالديه، فحثّوه علىٰ استمراره في ذلك، وبيِّنوا له ثمرته في الدنيا والآخرة، وأنه كما يدين يُدان. فمن كان باراً بوالديه، كان له مع الأجر المدخر عند الله ثوابَ في الدنيا، بأن يبرَّ به أولادُه.

ومن رأيتموه قائماً بما أوجبَ اللهُ عليه مِن حُسن الرعاية في أهلِه وأولاده، فرغِّبوه في ذلك، وبيّنوا له أنه يحصِّلُ بذلك أجراً عظيماً، وبراءةً لذمته، وإصلاحاً لأهلِه وأولاده. وجزاءً عاجلاً بأن يُسخّر له أولادُه بالقيام بحقِّه وبرّه، كما قام بحقِّهم في التأديب والتوجيه.

ومن رأيتموه صَدوقاً في معاملته للناس، يعاملُهم بالنصح والصدق مجانباً الغشّ والكذب، فأثنوا عليه بينَ الناس، ليكون ذلك تشجيعاً له ولغيرِه علىٰ حُسن المعاملة.

وهكذا في جميع طُرقِ الخير، كونوا لأهلِها مُساعدين، ولهم شاكرين مُثنين، لما في ذلك مِن التعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، الذي هو مِن صفاتِ المؤمنين، ومن أعانَ علىٰ الخيرِ بدلالةٍ أو إشارةٍ، أو مساعدةٍ كان له مثل أجرِ فاعلِه من غيرِ أن يُنقص من أجرِ فاعلِه شيءٌ. فالحمد لله ربِّ العالمين.

وإذا رأيتم من شخصٍ تفريطاً في واجبٍ أو انهماكاً في معصيةٍ، فأسدوا إليه النصيحةَ والموعظةَ، وكونوا معه في الملاطفةِ في

إرشادِه، ونصحه بمنزلة الطبيب مع المريض، فإنَّ مرض المعاصي أعظم خطراً مِن مرضِ الأبدان.

فانظروا إلىٰ مريض المعاصي نظرةَ معظِّمٍ لحرماتِ الله، راحمٍ لعباد الله، ولا تيأسوا فتجبنوا وتضعفوا، وبيِّنوا له ضرر المعاصي له خاصةً، وعلىٰ المجتمعِ عامةً، وإنَّ مخالفةَ النفوس في هواها أمرٌ شاق، ولكن ليصبر علىٰ مخالفة هواه، ويحتسب الأجرَ علىٰ ذلك من مولاه، وما هو إلا أنْ يمرّن نفسَه علىٰ فعلِ الطاعةِ، وعلىٰ اجتنابِ المعصية حتىٰ يكونَ ذلك سهلاً عليه ويسيراً، ويكسب بذلك أجراً وثواباً كثيراً.

فلو سلكَ المُسلمون هذا الطريقَ الذي مشىٰ عليه النبيُّ ﷺ، وأصحابُه مِن التعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، واتخاذ الوسائل المُجدية لسدِّ أبوابِ الشرور والمفاسد، وتوطيد أركان الخير والمصالح لأفلحوا في الآخرة والأولىٰ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

من حقوق المسلم علىٰ المسلم

الحمدُ لله الذي شَرعَ لنا أكملَ الشرائعَ وأوفاها، وأمرَنا بقضاء حقوقِه وحقوقِ عبادِه، ورتَّب الأجرَ لمن قامَ بهذه الحقوق وقضاها، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً تُنجي من الجحيم مَن أخلص بها وعمِلَ بمقتضاها، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أكملُ البريةِ إيماناً وخلقاً وأهداها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وقوموا بما فَرضَه اللهُ عليكم من حقوقِه، وحقوقِ عبادِه، وأدوها كاملةً موفرَّة، قبل أن تُطابلوا بها حين لا درهم ولا دينار. واعلموا أنَّ من حقوقِ المسلم خمساً: ردُّ سلامه إذا سلّم، وعيادته إذا مرض، واتباع جنازته إذا مات، وإجابة دعوته إذا دعاك، وتشميته إذا عطس فحمد الله. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: أمرنا رسولُ الله ﷺ بسبعٍ: **بعيادةِ المريض، واتباع الجنائزِ، وتشميتِ العاطِس، ونصرِ المظلوم، وعون الضعيفِ، وإفشاءِ السلام، وإبرارِ المُقسم**(١).

فأما عيادةُ المريض، فإنها سنةٌ مؤكّدة. وكلّما كان المريضُ أقربُ نسباً، أو صحبة أو جواراً، كان أعظمُ حقاً. وينبغي لمن عادَ

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

المريضَ أنْ يتكلّم بما يُناسب الحال، ويُدخل السرورَ عليه. لينشرحَ بذلك صدرُه، ويزولَ غمُّه، ويُخفَّف من مرضِه.

وأما اتباعُ الجنائز، فإنّ فيه أجراً عظيماً، قالَ النبيُّ ﷺ: **«مَنْ شهِدَ الجنازة حتىٰ يُصلّىٰ عليها، فله قيراطٌ، ومن شهِدها حتىٰ تُدفن، فله قيراطان»**(١) قيل: يا رسولَ الله، وما القيرطان؟ قال: **«مِثْلُ الجبلين العظيمين»** قال عبدُ الله بن عمر لما سمع بهذا الحديث: لقد فرّطنا في قراريط كثيرة **«وما مِن رجلٍ مسلم يموتُ فيقومُ علىٰ جنازتِه أربعونَ رجلاً لا يُشركون بالله شيئاً إلا شفَّعهم الله فيه»**(٢). فشيِّعوا رحِمَكم اللهُ الجنائزَ محتسبين الأجرَ في الذّهابِ والإياب، قائمين بحقوقِ أخيكم المُسلم، واللهُ عنده حُسنُ الثواب. وافشوا السلامَ بينكم، علىٰ من عرفتموه ومن لم تعرفوه، وليسلِّم الصغيرُ علىٰ الكبير، والقليلُ علىٰ الكثير، والراكبُ علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعِد. فإنْ لم يسلِّم فسلِّم أنتَ عليه، فإنَّ أولىٰ الناس بالله من بدأهم بالسلام.

ومن سَلَّم عليه أخوه فليردّ عليه السلام، فإنّ ردّ السلامِ فرضٌ واجبٌ علىٰ من سُلِّم عليه **«لا يحقرنَّ أحدُكم من المعروفِ شيئاً، ولو أنْ يلقىٰ أخاه بوجهٍ طلق»**(٣). وإذا لقي أحدُكم أخاه وسلَّم عليه

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٤٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

فليصافحه. فإنه ما مِن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفرَ اللهُ لهما قبل أن يفترقا، ولا ينحني أحدُكم عندَ السلام، لا لصغيرٍ ولا لكبيرٍ، فإن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن ذلك.

وإذا عطسَ أحدُكم فليضع علىٰ وجهه ما يغطيه ثم ليقل الحمدُ لله، فيقول له مَن سمعه: يرحمُك الله، فيردّ عليه: يهديكُم اللهُ ويُصلح بالكم. فإنْ عطس ثلاثَ مرّات، وأنت تقول له: يرحمُك اللهُ في كلِّ مرةٍ، فقل له في الرابعة: عافاك الله.

وانصروا إخوانكم ظالمين أو مظلومين، فأما نَصْرُ الظالم فأن تمنعه من الظلم وتزجره عنه، وأما نصر المظلوم فأن تعينه علىٰ ردِّ مظلمته، ودفع الظلم عنه، وأميطوا الأذىٰ عن الطريق، فإنّه صدقةٌ. وأعينوا مَن احتاج إلىٰ عونِكم، فإنه صدقةٌ، ومن حَلَف علىٰ إنسانٍ أن يفعلَ شيئاً أو يتركه، فإنه ينبغي للمحلوفِ عليه أن يُبرّ بيمينه فإنَّ ذلك من الخير والمعروف، فإنْ لم يفعل وقطعَ يمينه كان علىٰ الحالِف كفارةُ اليمين إلا أنْ يكونَ قال في يمينه إن شاءَ الله، فإن مَن قال في يمينِه إن شاءَ الله، فلا كفارةَ سواءٌ جهر بقول إن شاء الله، أو أسرَّ بذلك. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نماذج من حقوق المسلم على أخيه

الحمدُ للهِ الذي رَبَطَ بين المؤمنين بالأخوة الإيمانية ونماها، وشَرَعَ لهم من الأسباب المتنوعة التي تثبت بها أركان تلك الأخوة، وتقوي عراها، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، فأعظم به رباً وإلـٰهاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ البريةِ وأهداها صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين قاموا بما أوجبَ الله عليهم من حقوقِه وحقوق عباده علىٰ أكمل الوجوه وأعلاها، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما طلعت الشمسُ وأشرقَ ضياها وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأدّوا ما أوجبَ اللهُ عليكم من حقوقِه وحقوقِ إخوانكم المؤمنين، وتخلّقوا بآدابِ الإسلامِ والدِّين. فإنَّ التخلّق بها سببٌ للخيراتِ والبركات، والإعراض عنها سبَبٌ للشرورِ والمهلكات. واعلموا أنَّ للمسلم علىٰ المُسلم حُقوقاً كثيرةً، فمن حُقوق المُسلم أنْ تُسلِّم عليه إذا لقيته فتقول: السلامُ عليكم، وإن كان بعيداً أو لا يسمعُ فاجمع بينَ السلام والإشارة، ليعرفَ أنك تُسلِّم عليه. والسنةُ أنْ يُسلِّم الصغيرُ علىٰ الكبير، والقليلُ علىٰ الكثير، والراكبُ علىٰ الماشي، والماشي علىٰ الواقف، وخيرُ الرَّجلينِ مَن يبدأ صاحبَه بالسلام. وإذا لم يُسلِّم مَن يُطلب منه ابتداءَ السلام فليسلِّم الآخر، ولا يتركون السنة.

كيف يليقُ بالمؤمن أنْ يقابِلَ أخاه فيعرض عنه ولا يُسلِّم عليه، وهو يعلمُ ما في ذلك من الفضل والإحسان. فإنّ السلامَ يُزيلُ العداوةَ

والبغضاءَ، ويحلّ الحبَّ والمودةَ والإخاء. وليردّ أحدُكم السلامَ بقوله: وعليكم السلامُ وإن زادَ ورحمةُ اللهِ وبركاتِه أهلاً وسهلاً كان أحسن، ولا يقتصرُ أحدُكم في ردِّ السلام على قوله: أهلاً وسهلاً.

ومِن حقوق المُسلم على المُسلم: أنْ تنصحه إذا استنصحك، فتشيرُ عليه بما تحبّه لنفسِك. فإنَّ من غشَّ فليس منا، فإذا شاورَك في معاملةِ شخصٍ أو في تزويجِه أو غيرِ ذلك، فإنْ كنتَ تعلم منه خيراً فأرشده إليه، وإن كنتَ تعلمُ منه شراً فحذِّره، وإن كنتَ لا تدري عنه فقل له: لا أدري عنه.

وإنْ طلب أنْ تبيِّن له شيئاً مِن الأمور التي تقتضي البعدَ عنه فبينه له. فإنَّ النبيَّ ﷺ جاءَته فاطمةُ بنتُ قيس تستشيره في نكاح رجلين خطباها من المُسلمين فقال لها: «**أما فلان فصُعلوك لا مالَ له، وأما فلانٌ فلا يضعُ العصا عن عاتقه**» وفي رواية: «**إنه كان ضراباً للنساء، ولكن أنكحي أسامةَ بن زيد**»[1] فبيّن النبيُّ ﷺ للمرأةِ ما بين الرجلين من العيوب، لأن هذا مِن باب النصيحة.

ومن حقوق المُسلم على المُسلم: أنْ يقول له إذا عطسَ فحمِدَ الله يرحمُك الله. فيرد: يهديكم الله ويُصلح بالكم، فأما إذا عطس فلم يحمد الله فلا تقل له يرحمُك الله.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٤٨٠) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

ومن حقوق المُسلمِ علىٰ المسلمِ: أنْ يعودَه إذا مرِضَ، فمن عادَ أخاه المُسلم لم يزل يجني ثمار الجنة حتىٰ يرجعَ. وينبغي لمن عادَ المريضَ أنْ يوسّع له في أجله، ويُدخل السرورَ عليه، مثل أن يقول: أنت اليوم طيّب، أنت أحسن من قبل. وينبغي أنْ يذكّره بفرصة الوقت، ويقول له: قد أعطاكَ اللهُ فراغاً تستطيعُ أن تعمرَه بالتسبيحِ والتهليلِ والتحميدِ والتكبيرِ والقراءةِ ونحو ذلك، وأن يذكِّره الوصيةَ بما عليه من حقوقِ اللهِ وحقوقِ الناس. فإنَّ الوصية بما علىٰ الإنسانِ مطلوبةٌ في حقِّ الصحيحِ فكيف في حقِّ المريض. وينبغي لمن جَلَس عند المريضِ أنْ لا يُطيلَ الجلوسَ عنده إلا أن يراه مُنبسطاً به ومُنشرحاً فليتبع المصلحة، وإذا رأيت المريض يحبُّ أن تقرأ عليه فبادره بالقراءة عليه قبلَ أنْ يسألها.

واعلموا أنَّ البشاشةَ وطلاقةَ الوجهِ لإخوانكم مِن الأمورِ التي تُثابون عليها. فمن كان مُتصفاً بها فليحمد اللهَ وليسأله المزيدَ من ذلك، ومن لم يكن مُتصفاً بها فليمرِّن نفسَه عليها، فإن الإنسانَ لا يزالُ يمرّن نفسَه علىٰ الأخلاقِ الفاضلةِ حتىٰ تكونَ من سجاياه وطبائعه. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحبُّ في الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي أوجبَ علىٰ المؤمنين تبادل الحب والود فيما بينهم، وحَرَّم علىٰ المؤمنين موالاة أعدائهم من الكفار والمنافقين، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم إلىٰ يومِ الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واغرسوا فيما بينكم نوىٰ المحبةِ في الله. واجعلوا محبّتكم تابعةً لما يحبُّه ربّكم، فما أحبَّه اللهُ من الأعمالِ والأشخاصِ والأمكنة، فأحبّوه. فإنَّ النبيَّ ﷺ سُئل عن الرجل يُحبُّ القومَ، ولما يلحق بهم فقال النبيُّ ﷺ: **«المرءُ مع من أحبَّ»**[1] وذلك أنَّ محبةَ الإنسانِ للشيء يوجب ميله إليه، وإرادتُه له. فإذا كان الرجلُ مُحباً لله، صارَ مُتبعاً لأوامرِ الله لأنه يرجو بذلكَ الوصولَ إلىٰ محبوبه.

وإذا كان الرجلُ مُحباً لرسول الله ﷺ حرص بقدر محبّتِه علىٰ معرفةِ سُنته، والعمل بها، والتأسي والاقتداء به، لأنَّ هذا من ضرورةِ المحبةِ الصادقةِ أن يعملَ المُحبُّ مثل عملِ محبوبِه. وإذا كان مُحباً لرسولِ الله ﷺ، حرِصَ بقدر محبّتِه علىٰ نشرِ سُنته،

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

وهديِه بين الناس. وعلىٰ الذود دونها بما يستطيعُ من المالِ والبيانِ والنفسِ.

وإذا كان محباً للمؤمنين، حرص بقدرِ محبتِه لهم علىٰ إيصال الخير إليهم، ودفع الشرِّ عنهم، وكانت آلامهم آلاماً له، وآمالهم آمالاً له، وإذا كان محباً للمؤمنين، كان حريصاً بقدرِ محبّتِه لهم علىٰ انتصارهم وظهورِهم، وأنْ تكونَ الكلمةُ العليا لهم، وأنْ يخذلَ كلَّ من قام ضد دعوتهم وعقيدتهم.

فمحبةُ اللهِ ورسولِه، وعبادِه المؤمنين، هي أساسُ الفلاح في الدنيا والآخرة، وهي أوثقُ عُرىٰ الإيمان. قال النبيُّ ﷺ: **«لا يُؤمن أحدُكم حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والناسِ أجمعين»**[١]. وقال ﷺ: **«ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ بهن حلاوةَ الإيمان: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يحب المرء لا يُحبهُ إلا لله، وأنْ يكره أنْ يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذَه اللهُ منه، كما يكره أن يُقذف في النار»**[٢]. وقال حبر الأمة، وتُرجمان القرآن عبدُ الله بن عباس: **«مَن أحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنما تنالُ ولايةُ الله بذلك، ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإن كثُرت صلاتُه وصومُه، حتىٰ يكون كذلك»**.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٦) و(٦٩٤١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

وقد كانت عامةُ مُؤاخاة الناس اليوم علىٰ أمرِ الدنيا، وذلك لا يُجدي علىٰ أهلِه شيئاً، فمن وجدَ مِن نفسه محبةً لله ورسولِه وعبادِه المؤمنين، فليحمد ربَّه عليه، وليسأله الزيادةَ والثبات. ومن لم يجدْ من نفسِه ذلك، فليعلم أنْ في قلبِه مرضاً خطيراً، وليبادِر إلىٰ دوائِه قبل أنْ يموتَ قلبُه، ليبادر إلىٰ دوائِه بالإقبال علىٰ الله والاستعانة به والإلحاح في دعائِه أن يُنعم عليه بمحبتِه، ومحبةِ رسولِه، ومحبةِ المؤمنين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

مُقتضىٰ الأخوة الإسلامية

الحمدُ لله الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ وديـن الحقِّ، فهدىٰ بـه من الضلالةِ وبصّر به من العمىٰ، وجمعَ به بعد الفُرقة وألَّف به بعد العداوة، والحمدُ لله الذي جعلَ التآخي بينَ المؤمنين من مقتضيات الإيمان، وأوجبَ عليهم ما يُقوِّمُ هذه الأخوة من الدعائمِ والأركان ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملك الحقُّ الديان، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أشرفُ بني الإنسان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وحقِّقوا إيمانكم بتحقيقِ ما أمرَكُم به نبيِّكم ﷺ، طلباً وخبراً. فإنَّ السعادةَ لا تحصلُ إلا بامتثالِ أمرِ اللهِ ورسولِه، والسير علىٰ نهجِه وطريقِه.

أيها الناس: قال النبيُّ ﷺ: «المسلمُ أخو المُسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كانَ اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ عن مُسلم كربةً فرَّجَ اللهُ عنه كربةً مِن كُربات يومِ القيامة، ومن سترَ مُسلماً ستَره اللهُ يومَ القيامة»[1]. هكذا أخبر النبيُّ ﷺ، بأن المسلمَ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أخو المسلم، وأمرَ بذلك في قوله: «**وكونوا عباد الله إخواناً**»[١] فهذه الأخوةُ التي أمرَنا بها ليست أخوةٌ في اللسانِ فحسب. ولكنها أخوةٌ عميقةٌ كامنةٌ في النفوسِ والقلوب، غِراسها إخلاصُ الودِّ، وثمراتُها المعاملةُ الحسنةُ لأخيك والذبّ عنه، أخوةٌ تقتضي أنْ تحبَّ لأخيك ما تُحبُّ لنفسك، تحبّ أنْ يكونَ صالحاً، أنْ يكونَ عزيزاً، أن يكونَ قوياً، أنْ يكونَ غنياً، أنْ يكونَ متخلّقاً بالأخلاقِ الفاضلةِ، كما تحبُّ لنفسِك أنْ تكون كذلك، تسعىٰ في نصحِه وإرشادِه وتقويمِه، سالكاً بذلك أحسنَ السُّبل لحصولِ المقصودِ كما تحبُّ أنْ يُسعىٰ لك في هذا، تكرهُ لأخيك ما تكره لنفسِك، فتكره أنْ يكونَ فاسداً، أنْ يكون ذليلاً، أنْ يكون ضعيفاً، أنْ يكون مُتخلفاً بالأخلاقِ السافلة. تكره ذلك كلَّه لأخيك كما تكرهَه لنفسك، لا يكفيكَ إذا كان أخوكَ ورأيتَه علىٰ حالٍ لا تُحبّها لنفسِك أنْ تدعو الله له بإصلاحِ حالِه بل أدعُ اللهُ له، واستعنْ باللهِ علىٰ فعل الأسبابِ التي تُنقذه مما تكره، مِن واجبات هذه الأخوة أنْ لا تظلمه؛ لا تظلمه في دمه، ولا تظلمه في مالِه، ولا تظلمه في عِرضه كما أنت تكره أن تُظلم في هذه. هل مِن الأخوة أنْ تأكلَ مالَ أخيك بغيرِ حقٍّ؟ هل من الأخوةِ أن تعتدي علىٰ حُقوقِه؟ هل من الأخوة أن تقطعَ رزقَه فتبيعَ علىٰ بيعه؟ أنْ تؤجِّر إجارتَه، أنْ تفالح علىٰ مفالحته، أن تخطبَ علىٰ خِطبته هل ذلك من الأخوة؟ هل من

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

الأخوة أن تخدَعه، أن تغدرَ به إذا عاهدتَه أن تغشّه إذا عاملتَه؟ هل مِن الأخوة أن تتبعَ عوراتِه فتعلنها، وتنظر إلىٰ حسناتِه بعين الأعشىٰ فتسترها؟ هل مِن الأخوة أنْ تعتدي علىٰ عِرضِه فتأكل لحمَه ميتاً في كلِّ مجلسٍ؟

لقد شاعت هذه المسألةُ في الناس، وتهاونوا بها واحتقروها مع أنها مِن كبائر الذنوب، سُئل النبيُّ ﷺ عن الغيبة فقال: «**هي ذِكرك أخاك بما يكره**» قيل: يا رسولَ الله أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إنْ كان فيه ما تقول، فقد اغتبتَه، وإنْ لم يكن فيه ما تقولُ، فقد بهته**»[١] ولقد صارت الغيبة في مجتمعنا عند بعض الناس مِن فواكه المَجالِس حتّىٰ لا تعمر مجالِسُهم إلا بها. نسألُ اللهَ لنا ولهم الهداية.

نعودُ إلىٰ الحديث: فإذا رسولُ الله ﷺ يقول: «**ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجته**» ما أعظمَ هذا من ثوابٍ نقدٍ عاجل يكون لأخيك الحاجة فتقوم بها وتعينه عليها، فيقوم الله بحاجتك ويعينك عليها فحقيق بمن آمن بهذا. وكلنا نؤمنُ به إن شاء الله حقيق أن يكون في حاجات إخوانه دائماً يغيث الملهوف، وينصرُ المظلومَ، ويعين العاجز، ويُصلح بين المتخاصمين، ويؤلف بين المتعاديين، ويقضي حاجة من لا يستطيع قضاءها، فيُطعم الجائعَ، ويكسو العاري، ويَسقي الظمآنَ، ويدلُّ الأعمىٰ علىٰ الطريق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومَن كان في حاجةِ أخيه قليلةً كانت أو كثيرةً، كان اللهُ في حاجته، والجزاءُ مِن جنسِ العمل. ومَن كان اللهُ في حاجتِه فلا بدَّ أنْ تُقضىٰ حاجته وتيسّر أمورُه. قال النبيُّ ﷺ: **«المُسلمُ أخو المسلمُ لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مُسلم كُربةً من كُرب الدنيا فرَّجَ اللهُ عنه كربةً من كُربات يومِ القيامة، ومن ستَر مُسلماً ستَره اللهُ يومَ القيامة»**(١).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الحثُّ علىٰ الاجتماعِ والتحذير من الفرقةِ

الحمدُ لله الذي منّ علينا بدينٍ هو أكملُ الأديان في العبادات والمعاملات، وأقومها بمصالح الخلق الدينية والدنيوية، الفرديةِ والاجتماعية في جميع الحالات، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، فاطر الأرض والسمٰوات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الهادي إلىٰ أعلىٰ المقامات صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما توالت الدهور والأوقات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحمدوا ربّكم علىٰ ما أنعمَ به عليكم مِن نعمةِ الدنيا والدِّين، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم مِن التحابِّ والتعاون والاجتماع علىٰ المصالح، لتكونوا مِن الفائزين، اجتمعوا ولا تفرّقوا، وتعاونوا ولا تخاذلوا، وتآلفوا ولا تنافروا، وكُونوا في جميع أعمالِكم مُخلصين. إن بالاجتماعِ تتفقُ الكلمةُ، وتتبادل الآراءُ، وتتمُّ المصالح. إن المصالحَ العامةَ لا ينبغي أنْ تكونَ هدفاً للأغراضِ الشخصيةِ والعلوّ الفردي، إن المصالحَ العامةَ يجبُ أنْ تكون فوق جميع المستوياتِ التي دونها، يجبُ أن تكونَ مقصودةً بذاتها ولذاتها. يجب أن تدرسَ مِن جميع النواحي، وأن تستخلصَ فيها جميع الآراء. ثم ينظر فيما يمكن من الطرق الموصلة إليها، فيتفق عليها ويمشي عليها.

وأن الإنسان متىٰ خلصت نيتُه وصلح عملُه بالاجتهادِ والنظرِ في المصالح وسلوكِ أقربِ الطرق الموصلةِ إليها متى اتصف بهذين

الأمرين: الإخلاص والاجتهاد في الإصلاح صلحت الأشياء وقامت الأمور، ومتىٰ نقص أحد الأمرين إما الإخلاص وإما الاجتهاد فإنه يفوت من المصلحة، إن بعض الناس إذا نظرَ إلىٰ الأمور نظرَ إليها نظرةَ استغلالٍ لمصلحتِه الخاصةِ، أو نظر إليها نظرةً قاصرةً من جانبٍ واحدٍ. وبذلك تختلُّ الأمورُ وتفوتُ المصالح.

أيها الناسُ: إنَّ الواجبَ علينا كأبناء وطنٍ واحدٍ أن نسعىٰ لهدفٍ واحدٍ، هو إصلاحُ هذا البلد إصلاحاً دينياً ودنيوياً بقدر ما يمكن، ولن يمكن ذلك، حتىٰ تتفق كلمتنا ونترك المنازعات بيننا والمعارضات التي لا تُحقِّق هدفاً. بل ربما تفوت مقصوداً وتعدم موجوداً، إن الكلمة إذا تفرَّقت دخلت الأمورَ الأهواءُ والضغائنُ، وصار كلُّ واحدٍ يسعىٰ لتنفيذ كلمته، وإن تبيَّن أن الحقَّ والعدلَ في خلافها. ولكن إذا اجتمعنا من أولِ الأمرِ ودرسنا الموضوعَ من جميعِ جهاتِه، واتفقنا علىٰ ما نراه مُمكناً نافعاً من غيرِ أن ننظرَ إلىٰ مصالحنا الخاصة، حصَلَ لنا بذلك خيرٌ كثيرٌ.

وثقوا أيها المواطنون أنكم متىٰ أخلصتم النيةَ وسلكتم الحكمةَ في الحصول علىٰ المطلوب، فإن الله سيُيسِّر لكم الأمورَ، ويُصلح لكم الأعمال، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها المؤمنون: لقد مثَّل النبيُّ ﷺ المؤمنَ للمؤمنِ بالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً، وهذا هو المثال الصحيح لكل شعبٍ مؤمنٍ أن تتعاونَ

أفرادُه في إقامةِ بنائِه، بحيث يكون الغرضُ تشييدُ هذا البناء وتماسكه وتراصه بحيث يكمل بعضُه بعضاً، ويقوِّم بعضُه ببعض. فلا إيمانَ كاملٌ مع التفرّق ولا بناءَ محكم مع التفكك. أرأيتم لو أخذ من البناء لبنةٌ ألا ينقص هذا البناءُ فكيف إذا كانت اللبنات متناثرةً متنافرةً بل كلُّ واحدةٍ تهدمُ الأخرىٰ، وتزلزلها.

فيا أيها الناسُ: اجتمعوا علىٰ الحقِّ، وتعاونوا عليه، ولا تبعدوا شططاً، ولا تقولوا باطلاً وتناصحوا فيما بينكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون.

أقولُ قولي هذا وأسأل الله تعالىٰ أنْ يجمعنا علىٰ ما فيه الخير والصلاح في ديننا ودنيانا، إنه جوادٌ كريم، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الحثُّ علىٰ الألفةِ والتحذير من النميمة

الحمد لله الذي شرع لنا أكملَ الشرائعَ وأوفاها، وأمرَنا بقضاء حقوقِه وحقوقِ عبادِه ورتَّب الأجر لمن قام بهذه الحقوق وقضاها، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً تُنجي من الجحيم من أخلص بها، وعمل بمقتضاها، ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ البريةِ إيماناً وخُلقاً وأهداها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأصلحوا ذاتَ بينكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه، إنْ كنتم مؤمنين، ولا تكونوا كالذين تفرّقوا، واختلفوا مِن بعد ما جاءَهم البينات. وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ. فوالله لا تدخلوا الجنةَ حتّىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتّىٰ تحابوا، ولا يؤمن أحدُكم حتىٰ يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه.

ألا وإن التحابّ لا يكون إلا بفعلِ أسبابِه وغرس نواه، ولن يكون إلا بعدَ إصلاحِ النية، والاتفاق علىٰ المصالح والأهداف. لن يكون التآلفُ والتحاب إلا بعدَ أن يشعرَ الجميعُ بأنهم جَسدٌ واحدٌ، ويدٌ واحدُةٌ، يعملون لأهدافٍ متحدةٍ، ومصالح متفقة. لا يكون غرض الواحد إلا صلاح الجميع وقيام مصالح الوطن، ودفع مفاسدة، والقضاء علىٰ بذورِها ما أمكن.

أما إذا كان الواحدُ يسعىٰ لتحقيق أغراضِه الشخصية، وتنفيذِ أهوائه والتي ليس فيها شيءٌ، من المصالح العمومية، فإنَّ المجتمعَ سيتبدّد إلىٰ أحزابٍ وأضرابٍ، وإلىٰ مشاحناتٍ ومُعاداةٍ، وأغراض. وبذلك تفوتُ مصالحُ البلاد، ويخيّم عليها الشرُّ والفسادُ، ويشعرُ الناس بأن بعضَهم لبعضٍ أعداء، ويتحيّن كلُّ واحدٍ لأخيه الفرص ليوقعه في الردىٰ، بالتفرق تحصل المحن والإحن والبغضاء، وبالتفرق تحصل الخلافات والمعاداة وتكثر الأدواء، وبالتفرق يكثر القيلُ والقالُ، وتكثُر النميمةُ بين الناس. فبئست الداء العضال.

لقد باعَ أناسٌ دينَهم بما نشروه من النميمة، فأفسدوا مجتمعَهم تجد الواحدُ يتصنّع بالنميمةَ، وينقل كلمةَ التفريق والفساد، كأنما حازَ غنيمةً. وما علم المسكينُ أنه يجرُّ علىٰ نفسِه الإثمَ والوبال، وأنه سوف يُحاسَب علىٰ ذلك أبلغَ الحساب. والنكال. فقد مرَّ النبيُّ ﷺ علىٰ قبرين، فقال: **«إنهما ليُعذبان وما يعذَّبان في كبيرٍ ـ أي ما يُعذبان في أمرٍ يكبر عليهما، ويشقُّ عليهما تركه ـ أما أحدُهما فكان لا يستترُ مِن البول، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»**[1].

النميمةُ هي أنْ تقولَ للشخص إن فلاناً يقولُ فيك كذا وكذا، مما يقتضي حدوث البغضاء والإفساد بينهما. وكلما كان ضرر

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

النميمة أعظم وأكثر، كان إثمها أشدُّ وأكبر. فليحذر النمام عقابَ الله، وليتجنب الإفسادَ بين عبادِ الله، قبل أن ينزلَ به الأمرُ، فلا يجدُ سبيلاً للخلاص. ويتمنىٰ أن يعودَ ليصلح عمله ولات حين مناص.

أما من نُقِلَتْ إليه النميمةُ، فينبغي أن يزجرَ ناقلها، وأن يوبِّخَه أعظمَ توبيخٍ حتىٰ يرتدعَ عن فعلِه. هذا الفعل القبيح. فقد كان ﷺ يقول لأصحابه: «**لا يُحدثني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً، فإني أحبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصدر**»[١].

هذا هو الخلقُ الكامل العظيمُ، وهذا هو السداد، والرأي السليم. فإن مَن كانت هذه حالُه بقي مطمئن القلب مُنشرح الصدر، سليم السريرةِ، عيشُه رغد ولا يجدُ في نفسِه عداوةً ولا غِلاًّ ولا حسداً، عكس من كان يتشوّق ويتطلع لنقلِ الكلام إليه، وربما بحثَ ونقّبَ وأبدىٰ الرغبةَ في الحصول عليه، فإن هذا يكثر في مجلسِه القيلُ والقالُ، ويَتكلّم عندَه المُفسِد المُغرِض، والكاذب في المقال. لأن الناس إذا رأوا منه محبةً للكلام، نقلوا إليه كلَّ غثٍّ وسمينٍ غيرَ مُبالين بما يحدثُ عن ذلك من المفاسِد والخصام بين المُسلمين والمؤمنين.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٩٥، والترمذي (٣٨٩٦)، وأبو داود (٤٨٦٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٣/ ٣٩٤ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فاتقوا الله عبادَ الله، ودعوا التفرق والاختلاف، واسعوا لمصالح دينِكم ووطنِكم بالحكمةِ والرزانةِ والاتزان، ولا تستمعوا لأقوالِ الفسّاد، فأكثرها تَصنُّعٌ وبهتانٌ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثُّ علىٰ الألفةِ بين المسلمين والمودة

الحمدُ لله الذي جَعلَ المؤمنين أخوةً في الإيمانِ فكانوا في شدِّ بعضِهم بعضاً وتعاونهم كالبنيان وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له الرحيمُ الرحمٰن، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الإنسان صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنكم أخوة في دين الله وأن هذه الأخوة أقوىٰ من كلِّ رابطةٍ وصِلةٍ فيوم القيامة لا أنسابَ بينكم ولكن الإخلاء يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين، فنمّوا أيها المسلمون هذه الأخوة وقووا تلك الرابطة بفعل الأسباب التي شرعها الله لكم ورسولُه، اغرسوا في قلوبِكم المودةَ والمحبةَ للمؤمنين فأوثق عُرىٰ الإيمان الحبُّ في الله والبغضُ في الله ومَن أحبَّ في اللهِ وأبغضَ في اللهِ ووالىٰ في اللهِ وعادىٰ في الله فإنما تُنال ولايةُ الله بذلك.

أيها المسلمون: إن الأمةَ لا تكون أمةً واحدةً ولا يحصلُ لها قوةٌ ولا عزةٌ حتىٰ ترتبطَ بالروابطِ الدينيةِ حتىٰ تكون كما وصفها نبيُّها ﷺ بقوله: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً**»(١). لقد أرست

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

الشريعةُ أسسَ تلك الروابط والأواصر فشَرَعَ اللهُ ورسولُه للأمةِ ما يؤلِّف بينها ويقوّي وحدتها ويحفظ كرامتها وعزتها ويجلب المودةَ والمحبة.

شرع للأمةِ أن يُسلِّم بعضُهم علىٰ بعضٍ عند ملاقاتِه فالسلامُ يغرس المحبةَ ويقوّي الإيمانَ ويُدخل الجنةَ قال ﷺ: «**والله لا تدخلوا الجنةَ حتىٰ تؤمنوا ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أفلا أُخبركم بشيءٍ إذا فعلتموه تحاببتُم أفشوا السلامَ بينكم**»[1]، وخيرُ الناس من بدأهم بالسلام، فإذا لقي أحدُكم أخاه المسلم فليقل: السلامُ عليكم وليردّ عليه أخوه بجوابٍ يسمعه فيقول وعليكم السلام ولا يكفي أن يقول أهلاً وسهلاً أو كلمةً نحوها حتىٰ يقول: وعليكم السلامُ ولا يحلُّ للمسلم أن يهجرَ أخاهُ المسلمَ لأن ذلك يُوجب الكراهةَ والبغضاء والتفرّق إلا أن يكونَ مجاهراً بمعصيةٍ ويكون في هجرِه فائدةٌ تردعه عن المعصيةِ فالهجرُ بمنزلةِ الدواء إن كان نافعاً بإزالةِ المعصيـة أو تخفيفها كان مطلوباً وإلا فلا. قال النبيُّ ﷺ: «**لا يحلُّ للمسلمِ أن يهجرَ أخـاه فوقَ ثلاث**»[2] فمن هجرَ فوقَ ثلاث فمات دخلَ النار. وقال ﷺ: «**تُعرض الأعمالُ علىٰ الله في كلِّ اثنين وخميس فيغفر اللهُ في ذلك اليوم لكلِّ امرىء لا يُشـرك بالله شيئاً**

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤)، وأحمد ٢/ ٣٩١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتىٰ يصطلحا»(١).

وشرَع للأمةِ أن يعودَ بعضُهم بعضاً إذا مرضَ، فعيادةُ المرضىٰ تجلبُ المودةَ وترقِّق القلبَ وتزيدُ في الإيمانِ والثوابِ فمن عادَ مريضاً ناداه منادٍ من السماءِ طِبتَ وطابَ ممشاكَ، ومن عاد أخاه المسلم لم يزل في جنىٰ الجنة حتىٰ يرجعَ وينبغي لمن عادَ المريض أن لا يطيلَ الجلوسَ عندَه إلا إذا كان يرغب ذلك وينبغي أن يذكِّره بما أعدَّ الله للصابرين من الثوابِ وما في المصائبِ من تكفيرِ السيئات وأن لكلِّ كربةٍ فرجة ويفتح له بابَ التوبة والخروج من حقوقِ الناس واغتنامِ الوقتِ بالذكرِ والقراءةِ والاستغفارِ وغيرها مما يقرِّبُ إلىٰ الله ويرشده إلىٰ ما يلزمه من الوضوءِ إن قدرَ عليه أو التيمم وكيف يُصلِّي فإنَّ كثيراً من المرضىٰ يجهلون كثيراً من أحكامِ الطهارةِ والصلاةِ ولا يحقرَنَّ أحدُكم شيئاً من تذكيرِ المريض وإرشاده فإنَّ المريضَ قد رقَّت نفسُه وخشَعَ قلبُه فهو إلىٰ قبول الحقِّ والتوجيه قريب.

وأمر بالإصلاح بين الناس ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] وأخبر أن ذلك هو الخير ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١١٤]. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعدل بين اثنين صدقة**» إن الإصلاح بين الناس رأبٌ للصدع ولمٌّ للشعث وإصلاحٌ للمجتمع كلِّه وثوابٌ عظيمٌ لمن ابتغىٰ به وجهَ الله إن الموفّق إذا رأىٰ بين اثنين عداوةً وتباعداً سعىٰ بينهما في إزالةِ تلك العداوة والتباعد حتىٰ يكونا صديقين متقاربين.

وأمر باجتماع المسلمين علىٰ كلمةِ الحقِّ والتشاورِ بينهم في أمورهم حتىٰ تتمَّ الأمورُ وتنجح علىٰ الوجه الأكمل فإن الآراء إذا اجتمعت مع الفهم والدراية وحسن النية تحقَّق الخيرُ وزالَ الشرُّ بإذن الله تعالىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ القاعدةَ الأصيلةَ بين المسلمين أن يسعوا في كلِّ أمرٍ يؤلِّف بين قلوبِهم ويجمع كلمتَهم ويوحِّد رأيهم وأن ينابذوا كل ما يضادّ ذلك ومن أجلِ ذلك حَرُم علىٰ المسلمين أن يهجرَ بعضُهم بعضاً إلا لمصلحةٍ شرعيةٍ وإنك لترىٰ بعضَ المسلمين حريصاً علىٰ الخير وجاداً في فعله لكن غرَّه الشيطانُ في هجرِ أخيه المسلم من أجلِ أغراضٍ شخصيةٍ ومصلحةٍ دنيويةٍ ولم يعلم أن الإسلامَ الذي منّ الله به عليه أسمىٰ وأعلىٰ من أن تؤثر الأغراضُ الشخصيةُ أو المصالحُ الدنيويةُ في الصلةِ بين أفرادِه وحرم علىٰ المسلمين أن يوقع العداوة بينهم بالنميمةِ ويسعىٰ في الإفسادِ يأتي إلىٰ شخصٍ فيقول لـه: قال فيك فلانٌ كذا وكذا فيُلقي العداوةَ بينهما ولم يعلم أنه بنميمتِه هذه أصبحَ من المفسدين في الأرض

المتعرضين لعقوبة الله فقد مرَّ النبيُّ ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليُعذبان وما يُعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يَستبرىء من البول وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»[1] وقال ﷺ: «لا يدخل الجنةَ نمامٌ»[2] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) (١٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ الصدقِ والتحذير من الكذب

الحمدُ لله الذي هدانا إلىٰ أكملِ الآداب وفتحَ من أبوابِ الخيرِ والفلاحَ كلَّ بابٍ، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، الكريمُ الوهابُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أحسنُ الخلق خُلقاً بلا ارتياب، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم المآب وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا مع الصَّادقين وأحسنوا في معاملةِ الخالِق ومعاملةِ الخَلْقِ إن كنتُم مؤمنين. فعليكم بالصدق فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزالُ الرجل يصدُق ويتحرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عندَ اللهِ صديقاً. الصادقون في أقوالهم وأفعالهم محبوبون عند الله وعند الناس، تطيب المجالس إذا ذُكروا، وتطمئن القلوب بأخبارِهم إذا أخبروا، ويجدون ثمرةَ صدقِهم في الدنيا وفي القبور، وإذا حُشروا تلهج لهم الألسنةُ بالثناء، وتصافيهم القلوبُ بالمودةِ والإخاء. الصدقُ يدخل في الاعتقادات والأقوال والأفعال.

فأما صدق الاعتقاد: فأن يكونَ الإنسانُ في عمله مخلصاً، لا يريدُ بعمله رياءً ولا سمعةً، وأما صدقُ الأقوالِ فأن يكون الإنسانُ فيما أخبرَ به صادقاً، وكلامُه مطابقاً للواقع وموافقاً، لا يُخبر بخلافِ

الحقيقة، لا جاداً ولا مازِحاً، ولا مُخاصماً ولا مُدافعاً. يخبرُ بالصدقِ في حالةِ الضيق والرخاء، وفي حالةِ الغضب والرضا وفي معاملاته كلِّها. من إجارةٍ وبيعٍ وشراء.

وأما صدقُ الأفعال: فأن يكونَ في عبادتِه للنبيِّ ﷺ مُتَّبِعاً، وفي معاملاته ناصحاً مجتهداً، إن عمل لغيرِه صنعةً أجادَها وأتقنها، وأن توكّل لغيرِه حَفِظَ الوكالةَ واجتهدَ لها.

وإياكم والكذب، فإن الكذبَ يهدي إلى الفُجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذِبُ ويتحرّى الكذبَ حتّى يُكتَبَ عند الله كذاباً. فالكذبُ ممقوتٌ عندَ اللهِ وعندَ خلقِه. إن أخبَر فأخبارُه لا يوثَقُ بها. ألا وإن الكذبَ يكونُ في الاعتقادات، والأفعال، والأقوال.

فالكذب في الاعتقاد أن يكون الإنسان في أعمالِه مُرائياً لا يريدُ من أعمالِه إلا أن يمدَحه الناسُ عليها، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وأما الكذبُ في الأقوال: فأنْ يُخبرَ الإنسانُ بخلافِ الحقيقةِ والواقع. فإن هذا لا يحلُّ ولا يجوز، سواءٌ ترتَّب على كذبِه أكلُ مالِ الغيرِ أو ظلمه، أو لم يترتب عليه شيءٌ من ذلك. ولقد كان بعضُ الناس يقول: إن الكذبَ الذي لا يقطعُ محلاً من حلالِه لا

بأسَ به. وهذا ليس بصحيحٍ فكلُّ الكذب بجميعِ أنواعِه حرامٌ وقبيحٌ إلا ما كان فيه مصلحةٌ أكثرُ من مفسدتِه كالكذب في الحربِ علىٰ الأعداء، وفي الإصلاحِ بين الناس لإزالةِ العداوةِ والبغضاء. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أنا زعيمٌ ببيتٍ في وسطِ الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً**»[١].

لكنْ الكذبُ درجاتٌ متفاوتةٌ فكلما كان ضَررُه أكثرُ كان إثمُه أكبر. وأما الكذبُ في الأفعال فمعناه أن يكونَ فعلُه مخالفاً لقوله، مثل أن يُظهِرَ النصحَ في صنعتِه وهو يغشُّ فيها، ومثل أن يُظهِرَ سلعتَه بمظهرٍ طيّبٍ وهي علىٰ خِلاف ذلك.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، ولازموا الصدقَ في جميعِ حالاتِكم لعلكم تُفلحون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ الصدقِ
وقصة كعب بن مالك وصاحبيه

الحمدُ للهِ الذي أمرَ بالصدقِ جميعَ المؤمنين، ورفَع ذِكرَ الصادقين بين العالمين، وأهان الكاذبين ووضعَ ذِكرَهم في الأسفلين، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الملك الحقُّ المبين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الصادقين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وكونوا مع الصادقين، اصدقوا مع الله، واصدقوا مع عبادِ الله، فإن الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، وما يزالُ الرجلُ يَصدُقُ ويتحرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتَبَ عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذبَ يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وما يزال الرجلُ يكذب ويتحرىٰ الكذب، حتىٰ يُكتب عند الله كذاباً.

أيها المسلمون: إنَّ الصدقَ بجميع أنواعه محمودٌ، إن الصادقَ محبوبٌ إلىٰ الله، وإلىٰ الخَلْق. إن اللهَ يرفعُ ذِكرَه، ويزيدُ أجرَه، وإن أبينَ دليلٍ علىٰ ذلك ما يحصلُ من ثناءِ الناسِ علىٰ الصادقين في حياتهم وبعد مماتهم، أخبارهم مقبولةٌ، وأمانتُهم موثوقةٌ، قد أفلحَ الصادقون، وخابَ الكاذبون.

هذا كعبُ بن مالك رضي الله عنه، صدَق اللهَ ورسولَه، فرفعَ اللهُ ذِكرَه، وأنزلَ في شأنه قرآناً يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة. تَخلّف رضيَ الله عنه عن غزوة تبوك، فلم يخرج مع النبيِّ ﷺ بلا عُذْرٍ.

فلما رجعَ النبيُّ ﷺ جاء المُتخلِّفون مِن أهل النفاق يعتذرونَ كذباً، فيعذرهم ويكلُ سرائرهم إلىٰ الله. ثم جاء كعبٌ فتبسَّمَ النبيُّ ﷺ في وجهه تبسم المُغضب، وقال له: ما خلَّفك؟ فقال: والله لقد علمتُ لو حدثتك اليومَ بحديثِ كذبٍ، ترضىٰ به عني ليوشكنَّ اللهُ أن يُسخطكَ عليّ، ولئن حدثتك بصدق تجد عليّ فيه. إني لأرجو عقبىٰ ذلك من الله عز وجل، والله ما كان لي من عذر. قال النبيُّ ﷺ: **«أما هذا فقد صدق، فقم حتىٰ يقضي الله فيك»**.

وكان معه رجلان من المؤمنين، تخلفا بدون عُذرٍ، فنهىٰ النبيُّ ﷺ الناسَ عن كلامِهم. قال كعبٌ رضي الله عنه: فاجتَنبنا الناسُ، وتغيّروا لنا، حتىٰ تنكَّرت لي في نفسي الأرضُ، ولقد كنتُ أطوفُ في الأسواقِ ما يكلمني أحدٌ، وآتي رسولَ الله ﷺ، وهو في مجلسِه بعد الصلاة، فأسلِّم عليه، وأقولُ في نفسي: أحرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا.

حتىٰ إذا طالَ ذلك عليّ مِن هجرِ المُسلمين، تسلقتُ حائطَ أبي قتادةَ وهو ابنُ عمي، وأحبُّ الناسِ إليّ، فسلَّمت عليه. فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلتُ: يا أبا قتادة أنشدك اللهُ، هل تعلم أني أحبُّ اللهَ ورسولَه. فسكَتَ فأعدتُ عليه، فسكَتَ، ثم أعدتَ، فسكت. فقال: اللهُ ورسولُه أعلم. ففاضت عيناي وتوليت.

فبينما أنا أمشي في أسواقِ المدينة، إذا بنبطي معه كتابٌ من ملك غسان فيه: أما بعد: فقد بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، فالحقْ بنا نواسِكَ أي نجعلك مثلنا. فقلت: وهذا من البلاء، فقصدت به التنور فسجرته به.

وصدقَ كعبٌ أنَّ هذا من البلاء والامتحان، ولكنَّ الإيمانَ الراسخ في قلبِ كعبٍ والصدقَ الثابت في عقيدته، منعاه أن يستجيبَ لهذه الدعوةِ المغرية، التي جاءت في وقتٍ مناسب لولا تثبيت الله لكعب بن مالك، علىٰ أنه رضي الله عنه كان في ذلك الوقت في أعزِّ شبابه ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال كعب فلما مضَتْ أربعونَ ليلةً إذا برسول الله ﷺ، يأتيني يقول: إنَّ رسولَ الله ﷺ، يأمرُك أن تعتزلَ امرأتَك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: اعتزلها ولا تقربها. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتىٰ يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء.

فلبثنا عشر ليالٍ حتىٰ كمل لنا خمسون ليلة. فبينما أنا جالس علىٰ ظهر بيتٍ من بيوتِنا علىٰ الحالِ التي ذكرَ اللهَ قد ضاقَتْ عليّ نفسي، وضاقتْ عليّ الأرضُ بما رحُبَتْ. سمعتُ صارخاً علىٰ جبلِ سلعٍ يقول بأعلىٰ صوته: أبشرْ يا كعبُ بن مالك، فخررتُ ساجداً لله، عرفتُ أنَّ اللهَ قد جاء بالفرج بالتوبةِ علينا.

وانطلقت أقصدُ رسولَ الله ﷺ، وتلقاني الناسُ فوجاً فوجاً، يهنؤنني بتوبةِ الله، حتىٰ دخلتُ المسجدَ، فسلَّمتُ علىٰ النبيِّ ﷺ والناس حوله. فقال وهو يبرق وجهُه من السرور: أبشر بخيرِ يومٍ

مرَّ عليك مُنذ ولدتْكَ أمُّكَ. قلت: أمن عندك يا رسولَ الله، أم من عندِ الله: قال: «من عند الله». قلتُ: يا رسولَ الله، إنما نجاني اللهُ بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيتُ. فوالله ما تعمدت كذبةً منذ قلتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ إلىٰ يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني اللهُ فيما بقي(١).

أيها المسلمون: هذه والله هي الغبطةُ، والنعمةُ، والفائدةُ الكبيرةُ انظروا إلىٰ هؤلاء الثلاثة الذين صدقوا فأدّبهمُ اللهُ بهذا الهجرِ مِن رسوله وأصحابِه، وانظروا إلىٰ هذا الإيمان التام من الصحابةِ هجروا أقاربهم، وبني عمهم امتثالاً لأمرِ رسولِ الله ﷺ.

حتىٰ إذا ضاقَتْ الحالُ وتراكمَتْ الكُربات، جاء الفرجُ مِن الله، فتابَ عليهم وأعلنت توبتُهم في كتابِ الله، تتلوها الأمةُ إلىٰ يوم القيامة أما الذين نافقوا، وكذبوا فأنزل الله فيهم: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

أيها المسلمون: اعتبروا بهذه الآيات، وانظروا ما تختارون لأنفسكم فلن يرضىٰ المؤمن إلا أن يكون من الصادقين المتقين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب رضي الله عنه.

الحث على الصدق

الحمدُ لله الذي وعدَ الصادقين علىٰ صِدقهم أفضلَ العطايا والهِبات، وأنالهم بذلك أرفع المقامات وأعلىٰ الدرجات، وتوعَّد الكاذبين علىٰ كذبهم بالخِزي والخذلان والعقوبات، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الحكم العدل، ليجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ ويجزي المسيئين بالسيئات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أصدقُ الخَلق في الأقوال والأفعال والاعتقادات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم في السِّيَرِ المحمودات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا مع الصّادقين، فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنّةِ، ولا يزالُ الرجلُ يصدُق ويتحرّىٰ الصدقَ، حتىٰ يُكتبَ عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجورَ يهدي إلىٰ النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذِب ويتحرىٰ الكذب، حتّىٰ يُكتَبَ عندَ الله كذاباً.

إن الصدقَ مِن علاماتِ المُؤمنين، وإن الكذبَ مِن علامات المنافقين. الصدقُ بجميعِ أنواعِه محمودٌ، والكذبُ بجميعِ أنواعِه مذمومٌ وممقوتٌ، لقد رُفعَ ذِكرُ الصادقين بين العالمين، فأصبحوا في كلِّ المجالس محمودين، وفي صدقهم ومعاملتِهم أئمةً للصادقين.

وإنَّ أبرزَ مثالٍ علىٰ ذلك ما جرىٰ لكعب بن مالك، وصاحبيه، رضيَ اللهُ عنهم. فإن النبيَّ ﷺ لما غزا غزوةَ تبوك، تأخّر عنه كعب، وصاحباه بلا عُذرٍ، فلما قدم النبيُّ ﷺ منها دخلَ المسجدَ، صلّىٰ ركعتين، ثم جلسَ للناس كما كانت عادتُه ﷺ إذا قدم من سفرٍ، فجاءَه المُتخلِّفون يعتذرون إليه ويحلفون له، فيعذرهم، ويكلُ سرائرَهم إلىٰ الله عزّ وجلّ.

قال كعب: حتىٰ جئتُ فسلَّمتُ عليه، فتبسَّمَ تبسم المُغضَب، ثم قال: **«تعال»** فجئتُ أمشي حتىٰ جلستُ بين يديه فقال: **«ما خلّفك» «ألم تكن قد اشتريت ظهراً»** قلت: يا رسولَ الله إني لو جلستُ عند غيرِك من أهل الدنيا، لرأيتُ أن أخرجَ من سخطِه بعذرٍ لقد أُعطيتُ جدلاً، ولكني واللهِ لقد علمتُ لئن حدثتكَ اليومَ بحديثِ كذبٍ ترضىٰ به عني، ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ، ولئن حدّثتك بصدقٍ، تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو عقبىٰ ذلك مِن الله عزَّ وجلَّ. والله ما كان لي مِن عذرٍ، وما كنت أفرغَ ولا أيسرَ مني حين تخلّفت عنك. فقال النبيُّ ﷺ: **أما هذا فقد صدق، فقمْ حتىٰ يقضيَ اللهُ فيك.**

قال كعب: ونهىٰ رسولُ الله ﷺ عن كلامِنا أيها الثلاثة مِن بين مَن تخلَّف عنه، فاجتَنبنا الناسُ، وتغيروا لنا حتىٰ تنكَّرت لي في نفسي الأرضُ. فلبثنا علىٰ ذلك خمسينَ ليلةً. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتِهما يبكيان. وأما أنا فكنتُ أشدَّ القومِ وأجلدُهم. فكنتُ أشهدُ الصلاةَ وأطوفُ في الأسواق، فما يكلمني أحدٌ. وآتي

رسولَ الله ﷺ، وهو في مجلسِه بعد الصلاةِ فأسلّم عليه، وأقولُ في نفسي: أحرَّكَ شفتيْه بردِّ السلام عليّ أم لا.

ثم أصلّي قريباً منه، وأسارقه النظرَ. فإذا أقبلتُ علىٰ صلاتي نظرَ إليّ فإذا التفتُ نحوه أعرضَ عني، حتىٰ إذا طالَ ذلك عليّ من هجر المسلمين تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي، وأحبُّ الناسِ إليّ فسلمتُ عليه فوالله ما ردَّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك اللهَ هل تعلم إني أحبُّ اللهَ ورسولَه؟ قال: فسكت، فأعدتُ عليه، فسكتَ، ثم أعدتُ عليه، فسكت. فقال: الله ورسولُه أعلم. ففاضَتْ عيناي وتوليتُ.

فبينما أنا أمشي في أسواقٍ إذا بنبطيٍّ من أنباط الشام، ومعه كتابٌ من ملك غسّان، وإذا فيه: أما بعد: فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وإنَّ الله لم يجعلك في دار هوانٍ ولا مضيعة، إلحق بنا نواسِك. فقلت حين قرأته: وهذا أيضاً مِن البلاء. فقصدت به التنور فسجرته به.

فلما مضَت أربعون إذا برسول رسول الله ﷺ، يأتيني يقول: يأمركَ رسولُ الله ﷺ أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها، أم ماذا أفعل؟ فقال: بل اعتزلها، ولا تقربها. وأرسل إلىٰ صاحبي بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتىٰ يقضي في هذا الأمر ما يشاء.

قال كعب: فلبثنا عشرَ ليالٍ، حتىٰ كمل لنا خمسونَ ليلةً، ثم صليتُ صلاةَ الصبح، صباحَ خمسين ليلة علىٰ ظهرِ بيتٍ من بيوتنا.

فبينما أنا جالِسٌ علىٰ ظهرِ بيتٍ من بيوتنا علىٰ الحالِ التي ذكرَ اللهُ تعالىٰ، قد ضاقَت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرضُ بما رحُبَت، سمعتُ صارخاً علىٰ جبلِ سلع يقول بأعلىٰ صوته: أبشر يا كعبُ بن مالك، فخررتُ ساجداً لله عزّ وجلّ، عرفتُ أنْ قد جاء الفرجُ من الله بالتوبةِ علينا.

وانطلقت أقصدُ رسولَ الله ﷺ، وتلقاني الناسُ فوجاً فوجاً، يهنؤوني بتوبة الله حتىٰ دخلتُ المسجدَ فسلَّمتُ علىٰ النبيِّ ﷺ، والناسُ حولَه. فقال وهو يبرق وجهُه من السرور: «أبشر بخيرِ يومٍ مرَّ عليكَ منذ ولدتك أمي» قلت: أمن عندك يا رسولَ الله، أم مِن عند الله؟ قال: «من عند الله» فقلت: يا رسولَ الله، إنما نجاني اللهُ بالصدق، وإن مِن توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيتُ، قال كعب: والله ما تعمدت كذبةً منذ قلتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ، إلىٰ يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني اللهُ فيما بقي(١).

هذا أيها المؤمنون هو الإيمان، وهذه هي الغبطةُ العُظمىٰ، والفضل والامتنان. لقد أنزلَ اللهُ تعالىٰ في كعبٍ وصاحبيه، آيةً تتلىٰ ما بقي القرآن.

---

(١) قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة العسرة، أخرجها البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الكذب

الحمدُ لله مستحقّ الحمد وأهله، يجزي الصادقين بصدقِهم من رحمتِه وفضلِه، ويُجازي الكاذبين، فيعاقبهم إن شاءَ بحكمتِه وعدله. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له في حُكمه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ خلقه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وصحبِه ومن تبعهم في هديه، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وكونوا مع الصادقين في عبادةِ الله، ومع الصادقين في عباد الله. اصدقوا اللهَ تعالىٰ في عبادتِه، اعبدوه مخلصين له غيرَ مرائين في عبادتِه، ولا مُسمعين، امتثلوا أمرَه طلباً للقربِ منه، والحصول علىٰ ثوابِه، اجتنبوا نهيَه خوفاً من البعدِ عنه، والوقوعِ في عقابِه، لا تبتغوا في عبادتِه أن يَراكُم الناسُ، أو يسمعوكم، فيمدحوكم عليها. فإنَّ اللهَ أغنىٰ الشركاء عن الشركِ، من عَمِلَ عملاً أشركَ فيه معه غيرَه تركه وشِركه.

اصدقوا النبيَّ ﷺ في اتباعِه ظاهراً وباطناً، غيرَ مقصرين في سُنته، ولا زائدين عليها. اصدقوا الناسَ في معاملتهم، أخبروهم بالواقع فيما تخبرونهم به، وبينوا لهم الحقيقةَ فيما تعاملونهم به.

ذلك هو الصدقُ الذي أمرَكم اللهُ به ورسولُه. يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

ويقول النبيُّ ﷺ: «عليكم بالصدقِ، فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ،

وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عند الله صديقاً»(١).

لقد بيَّن الرسولُ ﷺ في هذا الحديث أن للصدقِ غايةً، وللصادِق مرتبةً أما غايةُ الصدق، فهي البرُّ والخيرُ، ثم الجنة. وأما مرتبةُ الصادق، فهي الصديقية، وهي المرتبةُ التي تلي مرتبةَ النبوة. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وإن الصادق لمعتبرٌ بين الناسِ في حياتِه ومماتِه، فهو موضعَ ثقةٍ فيهم في أخبارِه ومعاملته، وموضع ثناءٍ حسن، وترحم عليه بعد وفاته.

واحذروا أيها المسلمون من الكذب، احذروا الكذب في عبادةِ الله، ولا تعبدوا اللهَ رياءً وسمعةً، وخداعاً، ونفاقاً. واحذروا من الكذبِ في اتباعِ رسولِ الله، لا تبتدعوا في شريعتِه، ولا تخالفوه في هديَه. واحذروا من الكذب مع الناس، لا تخبروهم بخلافِ الواقعِ ولا تعاملوهم بخلافِ الحقيقة.

إن المؤمنَ لا يمكن أن يكذبَ، لأن الكذبَ من خِصال المنافقين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[البقرة: ١٠] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

إن المؤمنَ لا يمكن أن يكذبَ، لأنه يؤمنُ بآياتِ الله، ويؤمنُ برسوله. يؤمن بقول النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلىٰ النار، ولا يزال الرجلُ يكذبُ ويتحرّىٰ الكذبَ، حتّىٰ يُكتبَ عند الله كذاباً**»(١).

ما أقبحَ غاية الكذب، وما أسفلَ مرتبةَ الكاذِب. الكذبُ يُفضي إلىٰ الفجورِ، وهو الميلُ والانحرافُ عن الصراط السَّويِّ، ثم إلىٰ النار، والكاذِبُ سافِلٌ، لأنه مكتوبٌ عندَ الله كذاباً، بئس هذا الوصفُ، لمن اتصفَ به.

إن الإنسان لينفر أن يُقال له بين الناس: يا كذاب، فكيف يُصرُّ أن يكتب عند خالقه كذاباً؟ وإن الكاذب لمحذور في حياته، لا يوثق به في خبرٍ ولا معاملةٍ. وإنه لموضع الثناء القبيح بعد وفاتِه.

ولقد قرَنَ اللهُ تعالىٰ الكذبَ بعبادةِ الأوثان. فقال تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[الحج: ٣٠] فهل بعد ذلك سبيل إلىٰ أن يتخذَ المؤمنُ الكذبَ مطيةً لسلوكه، أو منهجاً لحياتِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

لقد كان الكفارُ في كفرِهم، وأهل الجاهلية في جاهليتهم لا يمتطون الكذبَ، ولا يتخذونَه منهجاً لحياتهم، أو بلوغ مآربهم. هذا أبو سفيان ذهب قبل أن يُسلِم في ركبٍ من قريش، تجار إلىٰ الشام، فلما سمع بهم هرقل ملك الروم بعث إليهم ليسألهم عن النبيِّ ﷺ، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت[(١)].

هكذا أيها المؤمنون: الكفارُ في كفرِهم، وأهلُ الجاهلية في جاهليتهم، يترفَّعون عن الكذب، ويستحيون من أن يُؤثَر عليهم ويُنسب إليهم. فكيف بكم أنتم أيها المؤمنون؟ وقد حباكُم الله بهذا الدِّين الكامل الذي يأمرُكم بالصدقِ، ويرغِّبكم فيه، وبيّن لكم نتائجَه، وثمراته الطيبة. وينهاكم عن الكذب، ويحذركم منه، وبين لكم نتائجه وثمراته الخبيثة.

إن أبا سفيان في حالِ كفرِه، تنزه أن يوصفَ بالكذبِ، ولو مرّةً واحدة، مع أنه كان يرىٰ أن له مصلحةً في كذبه عما يخبر به عن رسولِ الله ﷺ. وإن بعضَ المنخدعين من هذه الأمة ليستمرىء الكذب، ويفتي نفسَه بحلِّه. إما لتهاونٍ بالكذب، وإما لاعتقادٍ فاسدٍ، يظن أن الكذبَ لا يحرم إلا إذا تضمَّنَ أكلَ مالٍ، وإما لطمعٍ ماديٍّ يتمتعُ به في دنياه، وإما لتقليدٍ أعمىٰ لا هدايةَ فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وكل ذلك خداعٌ لنفسِه، وتضليلٌ لفكرِه، فالتهاونُ بالكذبِ عنوانُ الرذيلةِ. فالكذبةُ الواحدة تخرق السياج الحائل بينك وبين الكذب، حتىٰ لا يبقىٰ دونه حائل. فالكذبُ كغيرِه من المعاصي، تستوحش منه النفسُ المطمئنةُ الراضيةُ المرضيّة. فإذا وقعَت فيه مرّة هان عليها شأنه، ثم تقعُ فيه ثانيةً، فيهونُ عليها أكثر، حتىٰ يصبحَ كأنه سجيةٌ وطبيعةٌ. فيكذب ويتحرىٰ الكذب، حتىٰ يُكتب عند الله كذاباً.

والكذبُ حرامٌ، وإن لم يكن فيه أكلٌ لمالِ الغيرِ بالباطل، إذ لم يكن في كتاب الله تعالىٰ، ولا في سُنة رسولِه ﷺ أن تحريمَه مشروطٌ بذلك، ولكنه إذا تضمنَ أكلُ مالٍ بالباطل، كان أعظمُ جُرماً، وأشدُّ عقوبةً. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ النبيَّ ﷺ عدَّ الكبائر، وفيها اليمين الغموس، قيل: وما اليمين الغموس؟ قال: «التي يقتطع بها مالَ امرىء مسلم، هو فيها كاذب»[(١)]. رواه مسلم وقال ﷺ: «من اقتطع حقَّ امرىءٍ مُسلم بيمينِه، فقد أوجبَ اللهُ له النارَ، وحرّم عليه الجنة» فقال رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: «وإنْ كان قضيباً من أراك»[(٢)] رواه أحمد.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
وله شاهد عند مسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣٩/ ٤٩٣ (٢٤٠٠٩/ ٥٧) طبعة مؤسسة الرسالة، ومسلم (١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

إنَّ بعضَ الناس يكذبُ ليُضحِكَ به القومَ، فيألف ذلك لما يرىٰ من ضحك الناس، ويستمر علىٰ عملِه، فيهون عليه. وقد جاء في الحديث: «**ويلٌ للذي يُحدِّث فيكذب ليُضحك به القوم، ويلٌ له، ثم ويل له**»[(١)] أخرجه الثلاثة، وإسناده قوي.

وإن بعضَ الناسِ يكذبُ علىٰ الصبيان، لأنهم لا يُوجهون إليه النقدَ، ولكنه في الحقيقةِ أوقعَ نفسَه في الكذبِ، وفتح لهم بابَ التهاون به، والتربي عليه. فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه: أن أمه دعتْه، فقالت: تعال أُعطك. فقال النبيُّ ﷺ: «**ما أردتِ أن تعطِيه؟**» قالت: تمراً. فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تُعطه شيئاً لكتبت عليك كذبة**»[(٢)] رواه أبو داود والبيهقي.

فاتق الله أيها المسلم، اتق الله في نفسك، واتق اللهَ في مجتمعك، واتق اللهَ في دينِك. ألم تعلَمْ أن الدِّين يظهرُ في أهلِه، فإذا كان مظهر الأمةِ الإسلامية مظهرُ كذب، وتقليد أعمىٰ، وأكلُ مالِ الغيرِ بغير حقٍّ. فأين المظهرُ الإسلامي؟ أرأيت إذا ظهرَ

(١) أخرجه أحمد ٥/٢، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥) من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤٤٧، وأبو داود (٤٩٩١)، وابن أبي شيبة ٢/٤١٧، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٥/١١، والبيهقي في «السنن» ١٠/١٩٨، وفي «الشعب» (٤٨٢٢) من حديث عبد الله بن عامر رضي الله عنه.

المسلمون بهذا المَظهر المشين، أفلا يكونون سبباً للتنفير عن دين الإسلام؟ أفلا يكونون فريسةً لأراذل الأنام؟

إن أعداءهم ليسخرون بهم، ويضحكون إذا رأوهم علىٰ تلك الحال، كذبٌ في المقال، وخيانةٌ في الأمانة، وغدرٌ في العهدِ، وفجورٌ في الخصومة. وإن أعداءهم ليفخرون عليهم إذا رأوهم يقلدونَهم، حتىٰ في رذائل الأخلاق التي يُحذرهم الإسلامُ منها، فعجباً وأسفاً لأمثال هؤلاء القوم الذين ألبسوا أنفسَهم، ما تعرّوا به أمامَ أعدائِهم، واتبعوا سبيل الهالكين وابتعدوا عن سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

اللهم جنبنا مُنكراتِ الأخلاق والأعمالِ والأهواءِ والأدواء، واهدنا لأحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ وحبِّبْ إلينا الإيمانَ، وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان واجعلنا مِن الراشدين. اللهم صل وسلّم علىٰ عبدك، ونبيك محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

الحكمة

الحمدُ لله الملك الوهاب، الغنيّ الجواد، المتصرّف في خلقِه بما تقتضيه حِكمتُه البالغة، ورحمتُه الشاملة، فهو الحكيمُ الرحيمُ. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] الحكمةُ هي التصرّف الرشيد، الذي تُوضع فيه الأمورُ مواضعها اللائقة بها بإعطاءِ كل ذي حقٍّ حقَّه، والاعتراف لكلٍّ ذلك فضل بفضله.

وإنَّ أبلغَ الحكمةِ معرفةُ العبدِ حقّ فاطِره وخالقِه، سبحانه وتعالىٰ، فإنه سبحانه له الحقُّ الأكبرُ علىٰ عبادِه، وله الفضل العظيم عليهم. فعلىٰ العبد أن يعرفَ ذلك لربِّه، ثم يقومُ بما تقتضيه هذه المعرفةُ، مِن شكرِه وطاعتِه، خوفاً من عِقابه وطمعاً في ثوابِه.

وإنَّ من الحِكمة أنْ يعترفَ الإنسانُ للرسولِ الكريم ﷺ بما له من الحقوق. بأن يشهدَ بقلبِه ولسانِه أنه عبدُ الله، ورسولُه الصادق المصدوق، فيكون مُتبعاً له، مقدّماً لشريعتِه وهديه علىٰ كلِّ شريعةٍ وهدي، معتقداً أن شريعتَه هي النظامُ الوحيدُ في إصلاحِ الدنيا والآخرة.

وإنَّ من الحِكمة أن يكونَ الإنسانُ رشيداً في تصرّفه، فيبدأ بالأهمِّ فالأهم، ويأخذ بالأصلح فالأصلح، فإذا كان أمامه مصلحتان، قدم أنفعهما، وإذا رأىٰ مصلحةً عامةً، ومصلحةً خاصةً قدّم العامةَ لأنها أنفعُ وأشملُ. وإذا دار الأمرُ بين أن يفعلَ واجباً أو تطوعاً، ولا يمكنه القيامُ بهما جميعاً. قدَّم الواجبَ علىٰ التطوع، لأنه آكد. وإذا نشأ من فِعله مصلحةٌ ومفسدةٌ، وتكافأتا، أخذ بدرءِ المفسدةِ، لأن درأ المفسدةِ، عند التكافؤ أولىٰ من جلبِ المصلحة.

ومن الحِكمة أنه إذا تعارضَ مفسدتان وكان لا بدَّ من فِعل أحدهما، أخذ بأخفّهما ضرراً، وأقلّهما مفسدةً.

ومن الحكمة أن يعترف الإنسانُ لكلِّ ذي فضلٍ بفضلِه، فيعترف لمن أسدىٰ إليه معروفاً دينياً أو دنيوياً بمعروفه، ويكافئه عليه إن أمكنه. فإن لم يجدْ ما يكافئه، دعا له حتّىٰ يظنَ أنه كافأه.

ومن الحِكمة أن ينظرَ الإنسانُ إلىٰ تصرفاتِ غيرِه، بمنظارِ الرحمةِ، والنصح، والعدل. فإن كلَّ أحدٍ لا بدّ أن يخطىء، إلا من عصمه الله تعالىٰ. ولكن ليس مِن الحكمة أن ينظرَ الإنسانُ إلىٰ جانب الخطأ فقط، ويدع جانبَ الصواب. بل ينظر إلىٰ الجانبين، ويوازن بينهما، ثم يسعىٰ في إصلاحِ الخطأ. فإن المؤمنَ للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقد أشار النبيُّ ﷺ، إلىٰ ملاحظةِ الأمرين، بقوله: **«لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً إن سخِطَ منها خُلقاً رضي منها خلقاً**

آخر»(١) وقد يكون صاحبك مرتكباً خطأً في نظرك أنت، عندما تناقشه يتبين لك أنه ليسَ علىٰ خطأ. فالتراجعُ في الأمورِ، والمناقشةُ فيها بإخلاصٍ وإرادةٍ صالحةٍ من أكبرِ الأسبابِ في إصلاحها.

ومن الحكمةِ إذا نُبِّه الإنسانُ علىٰ الخطأ، أن لا يركب رأسَه ويعبد هواه، فيمضي في خطئِه ورأيِه، فإن الرجوعَ إلىٰ الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل، والمُؤمن ضالتُه الحقُّ، حيث وجده أخذه. وكثير مِن الخلق يمنعه منصبُه أو جاهُه من الرجوعِ إلىٰ الحقِّ، بعد ما تبين له، وهذا من السفهِ. فنسألُ اللهَ أن يعيذنا من ذلك.

ومن الحِكمة إذا جاءك أخوك ناصحاً لك أن لا تعبسَ بوجهِه، أو تُظهر له الاستياء، فإن مِن حقِّ الناصِح أن يُقابلَ بالشكر، ولا مانع مِن أنْ تبين له الأسبابَ التي تبرّر ما نصحك مِن أجله. فإنَّ شكرَ الناصحِ فضيلةٌ للمنصوحِ، وتشجيعٌ علىٰ النصح.

أيها الناسُ: وإن مِن الحكمِ أن لا يكون الإنسانُ مُتسرعاً في الأمورِ يأخذها ارتجالاً، من غير تروٍّ ونظر. إنَّ الحكمةَ أن لا يدخلَ الإنسانُ في أمرٍ، حتىٰ يعرفَ الخلاصَ منه. فإن بعضَ الناسِ يغترُّ بظواهر الأمور، ومبادئها، حتىٰ إذا تورَّط فيها، لم يستطعْ الخلاصَ منها.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن مِن الحكمة أن مَن ابتدأ بعملٍ وارتاح له، فليستمر عليه، فمن بورك له في شيءٍ فليلزمه، وبعضُ الناس يبدأ الأعمالَ ولا يتممها، فيمضي عليه الوقت سبهللاً من غير فائدةٍ، فمثلاً يقرأ في هذا الكتاب، أو في هذا الفن، ثم يدعه من غير أن يكمله وينتقل إلىٰ غيره، ثم إلىٰ آخر من غير تكميل الأول، فيضيع عمله، ويقضي عمرَه بلا فائدةٍ. وكذلك في الأعمال الدنيوية.

فاتقوا الله تعالىٰ أيها المسلمون، واعرفوا الحكمةَ، واسلكوا طريقَها، واعطوا كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وكلَّ عملٍ ما يستحقّه. واعترفوا لكلِّ ذي فضلٍ بفضلِه، فإن ذلك هو الحِكمة. ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التحذيرُ من زلاتِ اللسان

الحمدُ للهِ الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علماً وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ أحاط علمه بالظاهرِ والخفي والقريب والبعيد، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له الملك وله الحمدُ فهو الوليُّ الحميد، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله وعبده أفضل العبيد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم في هديهم الرشيد وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحفظوا ألسنتكم فإن حصائد اللسان هلاك الإنسانِ فعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنة أو يباعدني من النار قال: «**لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه ليسيرٌ علىٰ من يسَّره اللهُ عليه، تعبد اللهَ ولا تشرك به شيئاً، وتُقيم الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيتَ**» ثم قال ﷺ: «**ألا أدلُّك علىٰ أبوابِ الخيرِ: الصومُ جنةٌ والصدقةُ تُطفىء الخطايا كما يُطفىء الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ في جوفِ الليل**» ـ يعني تطفىء الخطيئةَ كما يُطفىء الماءُ النارَ ـ، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ثم قال ﷺ: «**ألا أخبركَ برأسِ الأمرِ كُلِّه وعموده وذروة سنامه**» قلت: بلىٰ يا رسولَ الله قال: «**رأسُ الأمرِ الإسلام، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ في سبيل الله**» ثم

قال ﷺ: «**ألا أخبرك بملاكَ ذلك كلِّه**» قلت: بلىٰ يا رسول الله فأخذ بلسانِه وقال: «**كفَّ عليك هذا**» قلتُ: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلَّم به فقال: «**ثكلتك أمُّكَ يا مُعاذ وهل يَكُبّ الناسَ في النار علىٰ وجوهِهم ـ أو قال علىٰ مناخرهم ـ إلا حصائدُ ألسنتهم**»(١).

أيها الناسُ: إنَّ حصائدَ اللسان هي أقوالُه المحرمة وهي أنواعٌ كثيرةٌ منها ما يُوصل إلىٰ الكفرِ ومنها دون ذلك فالاستهزاء بالله ودينِه وكتابِه ورسلِه وآياتِه وعبادِه الصالحين فيما فعلوا من عبادةِ ربِّهم كلُّ هذا كفرٌ باللهِ ومخرِجٌ عن الإيمانِ وهو من حصائدِ اللسان. والكذبُ والغيبةُ والنميمةُ والفحشُ والسبُّ واللعنُ والقذفُ كلُّ هذا من حصائدِ اللسان. وفي الحديث إن الله ليبغض الفاحشَ البذيء.

أيها الناسُ: لقد شاعَ في كثيرٍ من الناس أخلاقٌ سيئةٌ من حصائدِ اللسان فكثيرٌ من الناسِ لا يُبالون بالكذبِ ولا يهتمون به ولم يحذروا من قول النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجورِ وإن الفجورَ يهدي إلىٰ النار ولا يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرَّىٰ الكذبَ حتىٰ يُكتب عند اللهِ كذاباً**»(٢). كثيرٌ من الناس يظنُّون ظنوناً كاذبةً فيشيعها في الناس من غيرِ مبالاةٍ بها وربما كانت تُسيء إلىٰ أحدٍ من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

المُسلمين وتشوّه سمعتَه وليس لها حقيقةٌ فيبوء بإثمِ الكذبِ وإثم العدوان علىٰ أخيه المُسلم ويخشىٰ أن يكون ممن قال فيهم النبيُّ ﷺ: **«أنَّ الرجلَ يتكلّم بالكلمةِ لا يرىٰ بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار»**[١]. وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جُندب في رؤيا النبيِّ ﷺ وأتاه ملكان فمروا علىٰ رجلٍ مُستلقٍ علىٰ قَفاه وآخرُ قائمٌ عليه بكلوب من حديدٍ فإذا هو يأتي أحدَ شقي وجهِه فيشرشر شدقَه ومنخرِه وعينيه إلىٰ قفاه ثم يفعل بالشق الآخر كذلك فما يفرغ منه حتىٰ يعود الجانب الأول صحيحاً فيرجع إليه فيشرشره كما فعل في المرة الأولىٰ فقال الملكان للنبيِّ ﷺ هذا كذابٌ يكذبُ الكذبةَ فتحمل عنه حتىٰ تبلغ الآفاقَ فيصنع به هكذا إلىٰ يوم القيامة[٢].

هؤلاء الذين ينقلون للناس ما يُفكرون به من أوهامٍ لا حقيقةَ لها ربما يكون في كلامهم إلقاءٌ للعداوة والبغضاء بين المسلمين فيتفكك المجتمع وتتفرّق الجماعةُ من أجلِ أمورٍ وهميةٍ وظنونٍ كاذبةٍ، كثيرٌ من الناسِ ينقلون الكلامَ عن غيرهم بمجرد الإشاعات وربما لو بحثت عن هذا النقل لوجدته كذباً لا أصلَ له أو محرفاً أو مَزيداً أو مَنقوصاً والمؤمنُ العاقلُ هو الذي يتثبتُ في الأخبارِ ويتحرّىٰ في نقلِها حتىٰ لا ينقلَ إثماً ولا كذباً وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ﷺ: **«أن الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ ما يتبيَّن فيها** ـ أي ما يتثبت ولا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مطولاً البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة رضي الله عنه.

يعلم هل هي خيرٌ أو شرٌّ صدقٌ أو كذبٌ ـ يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[١]. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «كفىٰ بالمرء إثماً» وفي رواية كذباً «أن يُحدِّث بكل ما سمع»[٢].

فيا أيها المسلمون: احفظوا ألسنتكم لا تُطلقوا عنانَها فتهلككم إذا أردتُم الكلامَ في شيءٍ فتذكروا قول الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قَ: ١٨] وقوله ﷺ: «من كان يُؤمنُ باللهِ واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٣]. واعلموا أنكم مُحاسبون علىٰ كلِّ كلمةٍ تخرجُ من أفواهِكم فما جوابكم يومَ القيامة إذا سُئلتم ألم تتكلَّم بكذا وكذا فمن أين وجدتَ ذلك وكيف تكلَّمتَ ولم تتبين الأمر.

أيها المسلم: لا تُطلق لسانَك بالقول لمجرّد ظنٍّ توهمته أو خبرٍ سمعته فلعلك أن يكون ظنُّك كاذباً ولعلَّ الخبرَ أن يكون كاذباً وحينئذ تكون خاسراً خائباً. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الحكمة

الحمدُ لله الذي أنزل الكتابَ بالحقِّ والميزان، ووهَب الآدميين عقولاً يميِّزون بها بين الحقِّ والباطل، والصدق والبهتان، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المؤيَّد بالبرهان صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحمدوه علىٰ ما وهبَكُم مِن العقولِ التي بها تعقلون الأمور وتُدركون، وبها تُميِّزون بين الحقِّ والباطل وتحكمون. والعقلُ من أكبرِ نِعم اللهِ علىٰ العبدِ إذا استعمله فيما هو له من التعقّل والنظر والتفكير، والتروي في الأمور، وعدم التسرّع في التصرف والتدبير. ولقد جاءَت الكتبُ السماويةُ مؤيدةً لذلك، فأتت بالموازنة بين الأشياءِ والحكم عليها بالعدلِ والمساواةِ بالأدلةِ والبينات. قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥].

أيها الناس: إذا أراد أحدُكم أن يقولَ شيئاً فليزن كلامَه، ولينظر ماذا يترتّب عليه، فإن ترتَّب عليه خيرٌ أقدَم ولم يتردّد، وإن ترتّب عليه شرٌّ أمسك عنه وأبعد. قال النبيُّ ﷺ: **«مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خَيراً أو ليصمت»**[1]. إذا أراد أحدُكم أن يفعلَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

شيئاً، فلينظر هل فِعلُه خَيرٌ أو الخيرُ في تركِه. فإن كان الخيرُ في ترْكِه ترَكَه، وإذا كان في فعلِه خيرٌ فلينظر هل يشغلُه عمّا هو أهمّ وأفضل أو لا، فإن كان يشغلُه عما هو أهمّ منه وأفضل تركَه، لأن العاقلَ لا يمكنه عقلُه أن يشتغلَ بالمفضولِ عن الفاضِل، لأن ذلك إضاعةٌ لفضل الفاضل.

وإذا رأيتَ من أخيك خطيئةً فاقرنها بصوابِه وحسناتِه واحكم عليه بالعدل. وإنَّ كثيراً مِن الناس في هذه النقطة بالذات يجورون جوراً كبيراً في حُكمهم، إذا رأوا مِن صاحبهم سيئةً واحدةً حكموا عليه بمقتضاها وعموا عما له من الحسناتِ الكثيرةِ سواها، وهذا نقصٌ في العقلِ وجورٌ في الحُكم، وهو من صِفات المرأةِ لو أحسنْتَ إليها الدهرَ كلَّه. ثم رأتْ منك سوءاً قالت: ما رأيت خيراً قط.

وإذا سمعت من يتبجح بالدِّين ونصرتِه وأنه سند له، فانظر إلىٰ أفعالِه، فإن كانت في نصرةِ الإسلام والمسلمين والدفاع عنهم وجمع كلمتهم وتحكيم كتاب الله وسنة رسولِه ﷺ، فدعواه حقٌّ وكلامُه صدقٌ، وإن كانت أفعالُه بخِلاف ذلك، يصادمُ الدينَ ويسعىٰ في التفريق بين المسلمين، ويُحكِّم القوانينَ الوضعية المُخالفة لكتابِ الله وسنة رسوله ﷺ، فاعلم أن دعواه باطلة، وأن قوله كذب مهما بهرَجَ، ومهما زخرَف. فإن العاقل لا ينخدع بزخارفَ القولِ وبهرجةِ الكلام.

فلقد حكىٰ الله تعالىٰ عن المنافقين أنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٣] وحكىٰ الله عن فرعون أنه قال لقومه: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فالعاقل أيها الناس لا ينخدع بالأقوال، ولا يحكم علىٰ القائل بمقتضاها إذا كان الفعل يخالف القول.

أيها الناسُ: وإن مِن العدلِ والميزان ما جاءَت به الشرائع من الأمر بالمساواة عند تساوي الأسبابِ والحقوقِ مثل الحُكم بين الناس. فإن الحاكم بينهم يجبُ عليه العدل في حكمِه وقولِه وفِعله فلا يُحابي قريباً ولا صديقاً ولا شريفاً، ولا يفضلهم علىٰ مَن سواهم فيما هو مُساوٍ لهم فيه. ومن ذلك العدل بين الأولاد، فلا يجوزُ أن يفضلَ بعضَهم علىٰ بعضٍ في العطايا والهبات. لقول النبيِّ ﷺ: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»(١).

وإذا كان بعضُ الأولاد يبرّه أكثر مِن الآخر، فلا يبرّه والده بالعطية ويفضله علىٰ غيرِه، بل برّه لوالده أجره علىٰ الله وأما الوالد فعليه التسوية بين أولاده، لأنه إذا فضَّل من يبره كان ذلك إغراء للآخر بالتمادي في عقوقه. وأيضاً فإنه لا يدري فقد تنقلب الحال، فيكون البار عاقاً والعاق باراً.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣) (١٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

ومن ذلك العدل بين الزوجات إذا كان للرجل زوجتان فأكثر، فإن من كان له زوجتان فمال إلىٰ إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل والعياذ بالله.

أيها الناسُ: إنَّ العدلَ في الأمور والموازنة بينها، والحكم للراجح منها، وتسويتها في الحكم عند التساوي لقاعدةٍ كبيرة ينبغي للعاقل أن يتمشىٰ عليها في سيره إلىٰ الله، وفي سيرِه مع عبادِ الله ليكونَ قائماً بالقسط، والله يحبُّ المُقسطين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

القناعة

الحمدُ لله الذي فطَر الخَلق علىٰ ما تستحسنه العقول، وأيّد ذلك بما أنزله علىٰ الرسول، ففطرة الله التي جبل الناس عليها خلقاً، أمرهم بها تعبداً وشرعاً، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، إله عجزت عن إدراك حكمته الألباب، وذلَّت لعزَّته وعظمته جميعُ الصعاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالحنيفية ملة إبراهيم الذي اجتباه ربُّه وهداه إلىٰ صراط مستقيم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن سار علىٰ نهجهم القويم وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، اتقوا الذي خلقكم ورزقَكم وعافاكم وأنعمَ عليكم بالنعم الظاهرةِ والباطنة وأولاكم. فإنَّ المؤمنَ لا يزالُ في نعمةِ الله، إن أصابته ضرّاء صبَر فكان خيراً له، وإن أصابته سرّاء شكَر فكان خيراً له، وعليكم بالقناعةِ فإنها كنزٌ لا ينفد، وذُخر لا يفنىٰ فهو غنىٰ بل مالٍ، وعزٌّ بلا جنود ولا رجال، فالقناعةُ أن يرضىٰ الإنسانُ بما قدَّر اللهُ له من الأمور، وأن ينظرَ إلىٰ مَن هو أدنىٰ منه في العافيةِ والمالِ والأهل، فإن ذلك أقربُ إلىٰ معرفةِ النعمةِ والشكور. ولا تنظروا إلىٰ مَن هو فوقَكم في هذه الأشياء. فإن ذلك يُؤدي إلىٰ القلق وكُفران النعماء. فالمُعافىٰ في بدنِه أو مالِه أو أهلِه ينظرُ إلىٰ مَن ابتليَ بشيءٍ منها، ليعرف قدر نعمةَ الله عليه.

وإذا كان هو مبتلىً في شيءٍ من ذلك، فلينظر إلىٰ مَن هو أعظم ابتلاءً منه، فإنه ما مِن مصيبةٍ تصيبُ العبدَ إلا وفي الوجودِ ما هو أعظمُ منها. فإذا كان غنياً فلينظر إلىٰ الفقير، وإذا كان فقيراً فلينظر إلىٰ مَن هو أفقر منه ممن لا يملك الفتيل ولا القطمير. ومهما أصيبَ المؤمنُ في شيءٍ من دنياه، فإن ذلك ليسَ بشيءٍ عند سلامةِ دينِه الذي هو عصمةُ أمرِه في دنياه وأخراه. فدينُ الإسلام ولله الحمد هو الكسبُ الذي نَعتزُّ به ونفاخر، وهو الذخر الذي نعدّه لليوم الآخر. الدِّين هو التجارةُ التي تُنجي من العذاب الأليم، وتقرّبُ العبدَ إلىٰ المولىٰ الرحيم.

فيا أيها المبتلىٰ: اصبر علىٰ البلوىٰ، واذكر مَن هو أعظمُ منك وأكثرُ ضرراً، ثم انظر إلىٰ ما أنعمَ اللهُ به عليك من الإيمان، واستعن به علىٰ مقاومةِ المصائبِ بالصبر، ومقابلةِ النعم بالشكران.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من مفاسدِ الزنا

الحمدُ لله الذي أوضحَ لعبادِه طرقَ الهداية، ويسَّرَ لهم أسبابَ النجاةِ والوقاية، وأنزل كتاباً يشتمل علىٰ العلمِ والدراية. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، في العبادةِ والولاية. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أيدَ اللهُ به الدين، ونصرَه بالحماية. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ القيامة، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتدبّروا كتابَه، وتفهموا لمعانيه، وصدّقوا أخبارَه، واعملوا بما فيه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩].

إن كتابَ الله لم ينزل للتبرّك بتلاوتِه، ولا لطلبِ الأجرِ بتلك التلاوة. بل هذا جزءٌ مما نزل مِن أجله، إنما الأهمُّ أنه نزل كما سمعتم كلام منزله سبحانه وتعالىٰ: ليدبَّروا آياته، بالتفهّم والتفكير والعلم. ثم تتذكروا بالموعظة بما فيها من أحكامٍ رشيدةٍ وحِكمٍ بالغةٍ، فكم من قارىء للقرآن، والقرآنُ خصمٌ له يومَ القيامة، يقول النبيُّ ﷺ: **«والقرآنُ حجةٌ لك أو حجة عليك»**[1] فهما أمران لا ثالث لهما، إما أن يكونَ القرآنُ حجّةً لك، يحاج دونك، حتىٰ تبلغَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

به الجنةَ، وذلك حين تعملَ به، تصديقاً وتطبيقاً، وإما أن يكونَ حجةً عليك، حينما تعرض عنه ولا تعمل به.

أيها المسلمونَ: إنَّ مِن أحكامِ القرآنِ وهدايته، الحثّ علىٰ التمسّكِ بالأخلاقِ الفاضلةِ، والآدابِ العاليةِ، والزجر عما يخلُّ بالشرف والعفاف، ومن أجلِ ذلك، حرَّم الزنا وأخبرَ أنه فاحشةً يستفحشه كلُّ ذي فطرةٍ قويمةٍ، وعقلٍ سليم.

وحذر منه بعقوبةِ الدنيا والآخرة، عقوبة الدنيا بالحدِّ، جلد مئة، وتغريبُ عام، أي تسفيرٌ عن البلدِ لمن كان غيرَ متزوّجٍ، والرجم بالحجارة إلىٰ الموت لمن كان قد تزوَّج.

إن جريمةً تؤدي إلىٰ القتل لجريمةٌ بالغةٌ، تُعبِّر عن كونِ مرتكبها غير صالحٍ للبقاء في المجتمع، فهو جرثومةٌ فاسدةٌ يجبُ القضاءُ عليها، حتىٰ لا تفسد المجتمع كله.

وأما عقوبةُ الزنا في الآخرة، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وفي صحيح البخاري أن النبيّ ﷺ رأىٰ في المنام ثقباً مثل التنور أعلاه ضَيّقٌ وأسفله واسعٌ، فيه لغط وأصواتٌ، فاطلع فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم. فسأل عنهم، فقيل

له: هم الزناة والزواني[1] وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[2] متفق عليه وقال: «**إذا زنىٰ الرجلُ خرج منه الإيمان، فكان عليه كالظلة فإذا أقلع ـ أي تاب ـ رجعَ إليه الإيمان**»[3] رواه أبو داود. وقال «**إذا ظهر الزنا والرِّبا في قرية أحلُّوا بأنفسِهم عذاب الله**»[4]. رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

أيها المسلمونَ: إنَّ الزنا بالإضافة إلىٰ هذه العقوبات، فيه مفاسدُ عظيمةٌ يُفسد القلبَ والفكر، ويوجبُ الذلَّ والعارَ، ويضيع النسلَ، ويخلط الأنساب، وينشر الأمراضَ التناسلية. فهو فسادٌ في الدِّين، والدنيا، والفرد والمجتمع، ومن ثم جاءت الآية الكريمة بالنهي عن قربانِه فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

والنهي عن قربانه نهيٌ عن جميعِ الأسبابِ الموصلةِ إليه، كاللمس، والنظر. فلا يحلُّ للمؤمن أَن يتمتع بنظرِ امرأة ليست

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦) من حديث سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي بإثر (٢٦٢٥)، وأبو داود (٤٦٩٠)، والحاكم ١/ ٢٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١/ ١٧٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

زوجة له، ولا بسماعِ صوتِها، أو مسِّ شيءٍ منها. سواء كان هذا التمتع تمتعاً نفسياً أو جنسياً، أعني سواء كان تمتعه بالنظر ونحوِه، مجرد راحة نفسية أو لأجل التمتع الجنسي والشهوة.

فكل ذلك حرامٌ، ولا يجوزُ في غيرِ الزوجة. قال الله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من ذوي النفوسِ السافلة والإرادات الضعيفةِ غلبتهم نفوسُهم حتىٰ أطلقوا لها العَنان في التمتعِ بالنظر إلىٰ النساء. فأصبحوا أسرىٰ لأهوائِهم المنحرفة، حتىٰ صدَّهم ذلك عن ذِكر الله، وعن مصالحهم.

فصار همّهم التجولُ في الأسواقِ لغير غرضٍ ولا حاجةٍ، سوىٰ مطاردةِ أهوائِهم التي لا ينالون من ورائِها إلا الهمَّ والأماني الكاذبة. لعبَ الشيطانُ بعقولِهم، حتىٰ أنزلَهم إلىٰ مشاركةِ البهائم. ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١٢٠].

أيها الناسُ: إنَّ علىٰ المجتمع أن يتتبع أمثالَ هؤلاء، وينتشلهم مما وقعوا فيه، بنصيحتِهم وزجرهم وعقوبتهم، ومنع الأسباب التي تغريهم، ومن أهمها: منعُ خروجِ النساء من البيوتِ إلا لحاجةٍ لا يمكن قضاؤُها من قِبل الرجال.

إنَّ علىٰ ولي كلِّ امرأةٍ من أبٍ أو أخٍ، أو عمٍّ أو أيِّ وليٍّ آخر، أن يرعىٰ حرمه من الفسادِ وأسبابِه، أن يمنعَها من الخروج في حالةِ تُوقع في الفتنةِ من التجمّل والتطيب. وأن يراعي حركاتها وسكناتها وسلوكها في المدرسة، وفي البيت وغير ذلك.

كما يراعي ذلك في أبنائه، لأن الجميعَ في ذمتِه مسؤولٌ عنهم. حيث حمّله الله مسؤوليتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وفقني الله وإياكم لصالح الأعمال، وحسن الآداب. وجنبنا أسبابَ الشرِّ والفساد، وأصلح الله لنا النيةَ والعمل والأهل والولد. إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التحذير من فتنة النساء

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومِن سيئات أعمالنا. من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: فإنه لا يخفىٰ ما وقع فيه كثيرٌ من الناسِ، من الانزلاق في هاوية الفتنة التي لا يخشى عليه وحدَه منها، بل يخشىٰ عليه وعلىٰ غيره، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

إنَّ الفتنةَ التي أعنيها فتنة النساء، التي قال فيها رسولُ الله ﷺ: **«ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ علىٰ الرجالِ من النساء»**[١].

إنها فتنةٌ وقعَ فيها من وقعَ من أراذِل الناس، حتىٰ استأسروا لهواهم، وعميت بصائرُهم، فانطمَست أبصارُهم، حتىٰ صاروا يتبعون النساء في الشوارع والأسواق، تغزّل وصفيرٌ وهمساتٌ، وربما لمسات، يتخبطون خبطَ عشواء، كأنهم لا يرون الناسَ حولَهم، أو كأن الناس حولَهم بهائم لا مِن البشر، لأنهم منغمسون في الشهوة، مستهترون بالأخلاق، مُتحدُّون للمجتمع غيرَ خائفين من الله عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٥)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وإن الواجبَ علينا ونحن أمةٌ مسلمةٌ أن ننكرَ هذه الأعمال من أولئك، نُنكرها لأنها تُنافي صفات المؤمنين بالله واليوم الآخر. نُنكرها لأنها وسيلةٌ إلىٰ الزنا الذي قال الله فيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

نُنكر هذه الأعمال، لأنها إخلالٌ بالأمن، ونشرٌ للخوف، والذعر، والفوضىٰ، ننكرها لأنها سببٌ للعقوبة العاجلة، والإثم في الدار الآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وقال الله حين ذكر ما يتجنبه عباد الرحمٰن الزنىٰ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

أيها المسلمونَ: إنَّ هذه الأخلاق السافلة، والأعمال السيئة التي انحطَّ إليها بعضُ الناس، لم توجدْ في مجتمعنا إلا حين ضَعُفَ الدين، وضعُفت الغيرةُ، وانتشرت أسبابُ الفتنة.

أما ضعف الدين، فإنه لو كان عند هؤلاء المتتبعين للنساء، المفتونين بهن، لو كان عندهم قوةٌ في الدين، ما تجرؤوا علىٰ فعلهم، ووقعوا في معصيةِ ربِّهم. وأشغلوا قلوبهم بذكر المخلوقِ عن ذكرِ الخالق. قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وأما ضعفُ الغيرة، فإنه لو كان عندَ هؤلاء المتتبعين للنساء المفتونين بهنَّ، لو كان عندهم قوةٌ في غيرتهم ما تجرؤوا علىٰ فِعل

هذا، وفتنوا نساء إخوانهم ومواطنيهم إن مقتضىٰ الأخوة أن يغارَ هؤلاء علىٰ نساءِ إخوانهم ومواطنيهم، كما يغارون علىٰ نسائهم أنفسهم.

وإني لسائلٌ هؤلاء: أيرضىٰ أحدٌ منهم أن تُتبعَ امرأته، أو ابنته، أو أخته، أو إحدىٰ نسائِه، أو تُغازل؟ فإذا كان لا يرضىٰ ذلك في أهله، فكيف تسوِّغ له نفسُه أن يفعله في أهلِ غيرِه؟ إنني أحذر هؤلاء المفتونين أن يسلَّط علىٰ أهليهم من يفعل بهم مثل ما فعلوه بأهل غيرهم، أو أن يُبتلىٰ أحدٌ من ذريتِه بهذا الداء.

وأما أسبابُ الفتنةِ فكثيرةٌ، منها: وسائلُ الإعلام، المسموعة، والمنظورةِ، والمقروءة. يقع بين أيدي الشباب من ذكور وإناث، صحفٌ ومجلاتٌ فيها الصورةُ والكلامُ، تثيرُ الشهوة، وتعصف بالعاطفةِ، وتلهب نارُ العِشق.

ومن أسباب الفتنة: ما أنعمَ اللهُ به علىٰ هذه البلاد، من الصحةِ والفراغ، لكثرةِ المال، وحُسن الغذاء، واستتباب الأمن والرخاء. فأصبحَ القلبُ فارغاً، والبدنُ عاطلاً، ولهذا لا تكادُ تجدُ مفتوناً بهذه الفتنة إلا أحد رجلين:

إما رجلٌ فاشلٌ ليس له عملٌ يشتغلُ به فيلهيه ويلحق بركب الرجال الشرفاء، فهو لا يعلم ولا يتعلم، ولا يعمل عملاً خاصاً ولا بوظيفةٍ لدىٰ الحكومة أو غيرِها، استولىٰ عليه الهوىٰ فهوىٰ به، واستعذب الملحَ فباء بعذابه.

وإما رجلٌ ذو عمل، لكنه مُضيِّع لعملِه، غيرُ مبالٍ بما يترتَّب علىٰ إضاعته من نتائجَ وخيمة، وعواقبَ سيئة.

أما الرجلُ المؤمن الشريف الحازم، فلن ينزل بنفسِه علىٰ سفاسِف الأمور وأراذلها.

ومن أسباب الفتنة: ما يقومُ به بعضُ النساء من سلوكٍ شاذ في الملبس والمظهر، وغير ذلك. سلوكٌ يحط بهن إلىٰ الفتنة وينأىٰ بهنَّ عن منهج السلف الصالح.

تجد بعضَ النساء تخرج إلىٰ السوق متبرجةً، بأجملِ ما عندها من لباسٍ، ثم تستره بعباءةٍ رهيفةٍ، أو قصيرةٍ، أو مرفوعةٍ، ليبرز ما تحتَها من الثياب الجميلة، فتكون كاسيةً عارية، لباسها لباسُ نساء النار. قال ﷺ: «**صِنفان من أهلِ النار، لم أرهما بعد ـ وذكر ـ نساءً كاسياتٍ عارياتٍ، مائلاتٍ مميلاتٍ، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلنَ الجنة، ولا يجدنَ ريحها، وإن ريحها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا**»(١).

ومن النساءِ من تخرج إلىٰ السوقِ متحلية بالذهب، والساعة الجميلة، وتمشي في السوق كاشفةً يديها، لتفتن من يراها. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[النور: ٣١].

ومن النساء من تخرج إلىٰ السوق متطيبةً، وربما تختار أقوىٰ الأطياب رائحةً، وألذها شماً، فلا تمرُّ بأحدٍ يشمّه إلا افتتن به، أو كاد. وقد قال النبيُّ ﷺ: «**أيما امرأةٍ أصابَت بخوراً فلا تشهد معنا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العِشاء الآخرة»[١] وفي الحديث عنه ﷺ: «**إنَّ المرأةَ إذا استعطَرَتْ فمرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية»**[٢].

ومن النساء من تخرج إلىٰ السوق شبه سافرةٍ، تُغطِّي وجهها بغطاءٍ رهيفٍ، لا يستُر وجهَها، وربما يكسوه جمالاً، ويستُر معايبه أو تغطي وجهها بغطاء ضيق يحجبُ الوجهَ، لكن تشدّه عليه شدّاً قوياً، بحيث يبرز مقاطع وجهها.

ومن النساء مَن تمشي في السوق تبختراً، وتأرجحاً. وتُمازح رفيقتها إن كانت معها، وربما تقف علىٰ صاحِب الدكان لحاجةٍ أو لغيرِ حاجةٍ، فتسترسل بالكلامَ معه، وربما تدعو بالشيءِ أعطني كذا أعطني كذا وهي لا تُريده، لكن لتزيد في الكلام وتستمر. وقد قال الله تعالىٰ لنساء النبي ﷺ أمهات المؤمنين، وأطهرُ النساء عِرضاً، وأبعدهن عن مواقع الفتن: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

أيها المسلمونَ: إننا قد وصفنا الداءَ فهل مِن دواء؟ نعم هناك دواء، فما أنزلَ اللهُ داءً إلا وأنزلَ له دواءً. إنَّ الدواءَ يكمن في أن نعرفَ أنفسنا، ونُنزلها منزلتها، حتىٰ نكونَ قد قدرناها قدرها فنحن أمةٌ مسلمةٌ، ندينُ لله تعالىٰ بدينِ الإسلام، دين العقيدةِ الصحيحةِ، والآداب العالية.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٠، وأبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي ٨/ ١٥٣ من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

فعلينا أن نحذر الفتنَ، ونسعىٰ في القضاءِ عليها، وإزالة أسبابها، علىٰ كلٍّ منا أن يربأ بنفسِه عن سفاسِف الأمور، وأراذلِ الأخلاق، علىٰ كلٍّ منا أن يكون عنده إيمانٌ يمنعه عن انتهاكِ حُرماتِ الله، علىٰ كلٍّ منا أن يكون له غيرة يحتمي بها، ويحمي أهلَه عن الفتنة، علىٰ كلٍّ منا أن يُقدِّر مسؤوليته الخاصة والعامة، ويُحاسب نفسَه، هل قام بهذه المسؤولية علىٰ وجهٍ يُرضي الله تعالىٰ، وتبرأ به الذمةُ.

علىٰ كلٍّ منا أن يتذكرَ دائماً قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وعلىٰ كلٍّ منا أن يتذكر قولَ النبيِّ ﷺ: «كلكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته. والرجل في أهلِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ في بيتِ زوجِها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيتها، والخادمُ في مالِ سيدِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، فكلكُم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيته»(١).

تذكروا أيها المسلمون ذلك، وأعدوا لهذه المسؤولية جواباً يكون صواباً تنجون به إذا وقفتم بين يدي الله عزَّ وجل.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

التحذير من الغيبة و النميمة

الحمدُ للهِ الذي أوجبَ علىٰ المؤمنين، أن يكونوا أخوةً، يتعاونون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، ويحمي بعضُهم بعضاً، في نفسِه، ومالِه، وعِرضه. ليصلوا بذلك إلىٰ الأخلاقِ العليا. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، إلـه الأرض والسماء. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه أهل البرّ والوفاء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما تتابع القطرُ والندىٰ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وعظِّموا حُرماته، واحترموا أعراض إخوانكم، وذبوا عنها كما تذبون عن أعراضِكم فإنَّ من ذبَّ عن عِرض أخيه، ذبَّ اللهُ عنه وجهِه النار يوم القيامة.

أيها المسلمونَ: لقد شاع بين الناس داءان عظيمان كبيران، وهما في نظر الكثير مِن الناس سهلان صغيران. أما أحدهما فالغيبةُ، يقوم الرجلُ بذكرِ أخاه بما يكره أن يذكر به، من عملٍ أو صفةٍ، فتجد أكبرَ همّه في المجالس أنْ يعترض عباد الله، كأنما وكل بنشر معائبهم، وتتبع عوراتهم. ومن تسلَّط علىٰ نشرِ عيوبِ الناس، وتتبع عوراتهم. سلّط اللهُ عليه من ينشر عيوبَه ويتتبع عورتَه، تجده يقول: فلان فيه كذا، وفلان فيه كذا. ولو فتش هذا القائل عن نفسِه لوجد نفسَه أكثرَ الناسِ عيوباً، وأسوأهم أخلاقاً، وأضعفَهم أمانة.

إنَّ هذا الرجل المُسلَّط علىٰ عبادِ الله، لمشؤومٌ علىٰ نفسِه، ومشؤومٌ علىٰ جلسائه. مشؤومٌ علىٰ نفسِه، حيث قادها إلىٰ الشرِّ والبغي. ومشؤومٌ علىٰ جلسائِه، لأن جليسه إذا لم ينكر عليه صارَ شريكاً في الإثمِ، وإن لم يقل شيئاً.

أيها المسلمونَ: احذروا من الغيبةِ، احذروا من سبِّ الناس في غيبتهم، احذروا من أكلِ لحومِ الناس. فلقد مثل اللهُ ذلك بأقبح مثالٍ، مَثَّله بمن يأكلُ لحمَ أخيه ميتاً. فهل تجدون أقبحَ أو أبشعَ مِنْ شخصٍ يجلس إلىٰ أخيه الميت، فيقطع جيفتَه قطعةً قطعةً ويأكلها؟ هل تجدونَ أحداً يمكن أن يطيقَ ذلك؟ ألا إن الذي يغتابُ الناسَ، هو الذي يطيقُ ذلك. اسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ﴾ [الحجرات: ١٢] وإنه لا يبعد أن يعذبَ الإنسانُ الذي يسبّ أخاه في غيبتِه أن تقرب إليه جيفتُه يومَ القيامة، فيقال: كله ميتاً كما أكلته حيّاً.

أيها المسلمونَ: إنَّ أمرَ الغيبةِ أمرٌ عظيمٌ، وخطرٌ جسيمٌ. إن كلمةً تقولها في أخيك تُعيبه بها، لو مزجت بماء البحر لأثرت به. فاتق اللهِ أيها المسلمُ. فلقد جاء في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون بها وجوهَهُم وصدورَهُم، فقال: «**مَنْ هؤلاء يا جبريل؟**» قال: «**هؤلاء الذي يأكلونَ لحومَ الناس**

ويقعون في أعراضهم»[١]. إنَّ بعضَ الناس الذين ابتلوا بالغيبة، إذا نصحَ قال: أنا لم أقل إلا ما هو فيه. ولقد سُئل النبيّ ﷺ عن ذلك. فقال: **«إنْ كان فيه ما تقولُ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»**[٢]. وأكثر الناس يقولون في إخوانهم ما لا يعلمون، لو سألتَه فقلت: تشهدُ عليه بما قلت؟ لقال: لا أشهدُ.

أفلا يتقي الله هذا؟! أفلا يعلم أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ، وسوف يُحاسَب عن كلِّ كلمةٍ قالها؟! ألم يكن لا يرضىٰ أن يقعَ أحدٌ في عرضه؟ فكيف يرضىٰ أن يقعَ في أعراضِ الناس؟ أما يخشىٰ أن يفضحه اللهُ في الدنيا قبل فضيحةِ الآخرة؟

أيها المسلمونَ: إنَّ غيبةَ إخوانكم إهداء أعمالكم الصالحة إليهم، فإنهم إذا لم ينتصروا في الدنيا، أو يحللوكم أخذوا من أعمالِكم الصالحةِ في الآخرة، فإن فنيَتْ أعمالُكم الصالحةُ أخذَ من أعمالكم السيئة، فطرحت عليكم ثم طرحتم في النار.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ، واشتغلوا بعيوبِكُم من عيوب الآخرين، وإذا كنتم صادقين في إخلاصكم ونصحكم، فأصلحوا عيوب إخوانكم ولا تشيعوها وتشهروها. إذا رأيتَ من أخيك ما يقدحُ فيه، فاذهب إليه وانصحه بينَك وبينَه، لتكون من الناصحين، لا من الفاضحين، يروىٰ أنَّ امرأتين صامتا في عهد النبيِّ ﷺ، فعطشتا عطشاً شديداً،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٤، وأبو داود (٤٨٧٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كادتا تموتان من العطش، فذكرتا لرسول الله ﷺ، فدعا بهما فأمرهما فقاءتا دماً وصديداً ولحماً عبيطاً فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ هاتين المرأتين صامتا ما أحلَّ الله لهما، وأفطرتا علىٰ ما حرَّم الله عليهما، جلسَتْ إحداهما إلىٰ الأخرىٰ فجعلتا تأكلانِ لحومَ الناس**»[1].

أيها المسلمونَ: هذا أحدُ الدائين، أما الداءُ الثاني فهو النميمةُ، وهي الإفسادُ بين الناس، بنقل كلامِ بعضِهم في بعضٍ، فيأتي إلىٰ الشخصِ فيقول: قال فيك فلانٌ كذا وكذا، حتىٰ يُفسدَ بين الناس، ويلقي العداوةَ بينهم والبغضاءُ، وربما كان كاذباً، فيجمع بين البهتان والنميمة.

وإن الواجبَ علىٰ مَن نقل إليه أحدٌ كلامَ أحدٍ فيه، أن ينكرَ عليه وينهاه عن ذلك، وليحذر منه فإنَّ مَنْ نقلَ كلامَ الناس إليك نقلَ إليهم كلامك، وربما ينقل عنك ما لم تتكلم به، قد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١٠-١١] وقال النبيُّ ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ نمام**»[2] ومر النبيُّ ﷺ بقبرين يعذبان، وقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ أحدهما لا يستنزهُ من البول، والآخر كان يمشي بالنميمة**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣١، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٤٤٠، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٧١)، وأبو يعلىٰ (١٥٧٦)، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ١٨٦ من حديث عبيد مولىٰ رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فاحذروا الغيبةَ والنميمة أيها المسلمون، فإنَّ بهما فسادُ الدِّين والدنيا، وتفكك المجتمع، وإلقاء العداوة والبغضاء، وحلولُ النقمِ والبلاءِ، وهما بضاعةُ كُلِّ بطّال، وإضاعةُ الوقت بالقيل والقال. ولكن إذا كان المقصودُ نصيحةِ الخلق وتحذيرهم من أهل السوء، فلا حرج في ذلك، فإذا رأيتَ شخصاً ينشرُ أفكاراً هدامةً، أو يبثُّ أخلاقاً سيئةً، أو يشيع تشكيكاً بين المسلمين في دينهم، فذكرته بما فيه تحذيراً من شره ونصحاً للأمة وحماية للدين، فلا حرَجَ في ذلك، بل ربما يكون واجباً عليك.

وهكذا إذا رأيت شخصاً متملقاً لشخص مصانعاً له يأخذ ما عنده ويفضح ما أسرَّه، وذكرت ذلك له ليحذر منه، فليس ذلك من النميمةِ، وإنما هو نصيحة. وهكذا إذا استشاركَ شخصٌ في إنسانٍ ليعامله أو يزوّجه، وأنتَ تعرف فيه نقصاً في دينِه، أو خُلقِه، أو أمانته، وجبَ عليك أن تُبيِّن ما فيه لمن استشارك، ولا يعدّ ذلك من الغيبةِ، بل هو من النصيحة.

اللهم احمِ ألسنتنا مِن القولِ الحرام، واحمِ أعراضَنا من دنسِ اللئام، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

التحذير من الغيبة والنميمة

الحمدُ لله الذي جعلَ المؤمنين إخوةً يتعاونون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، ويحترم كلٌّ واحدٍ منهم الآخرَ في نفسِه، ومالِه، وعِرضه فكلُّ المسلم علىٰ المُسلم حرامٌ، كما قال ذلك النبيُّ المصطفىٰ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ربّ الأرض والسماء أشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله المجتبىٰ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، أهل البر والوفاء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان ما تتابع القطر والندىٰ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحترموا حقوق إخوانكم المسلمين، وذبوا عن أعراضهم كما تذبون عن دمائهم وأموالهم.

أيها المسلمونَ: لقد شاع بين كثير من المسلمين داءان عظيمان، لكن السلامة منهما يسيرة علىٰ من يسرها الله عليه.

أيها المسلمونَ: فشا فينا داء الغيبة وداء النميمة، أما الغيبةُ فهي ذكر الإنسان الغائب بما يكره أن يذكر فيه من عمل أو صفة فإن كثيراً من الناس صار همه في المجالس أنْ يأكل لحم فلان وفلان. فلان فيه كذا وفيه كذا، ومع ذلك لو فتشت لرأيته هو أكثر الناس عيباً، وأسوأهم خلقاً، وأضعفهم أمانة. وإنَّ مثل هذا الرجلُ يكون مشؤوماً علىٰ نفسِه، ومشؤوماً علىٰ جلسائِه، لأن جلسائَه إذا لم ينكروا عليه صاروا شركاء له في الإثم، وإن لم يقولوا شيئاً.

أيها المسلمون: لقد صوّرَ اللهُ الإنسانَ الذي يغتاب إخوانه المسلمين بأبشع صورة، مثله بمن يأكل لحمَ أخيه ميتاً، ويكفي قُبحاً أنْ يجلسَ الإنسانُ علىٰ جيفةِ أخيه، يُقطع من لحمه ويأكله.

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ عليكم إذا سمعتُم مَن يغتابَ إخوانه المسلمين، أنْ تمنعوه وتذبوا عنه أعراض إخوانكم، ألستُم لو رأيتُم أحداً قائماً علىٰ جنازةِ رجلٍ من المسلمين، يأكل لحمه، ألستم تقومون عليه جميعاً وتنكرون عليه.

إنَّ الغيبة كذلك تماماً كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢] ولا يبعد أنْ يعاقب مَن يغتابُ إخوانَه يومَ القيامة، فيقربون إليه بصورة أمواتٍ، ويرغم علىٰ الأكل منهم كما روي في ذلك حديث عن النبيِّ ﷺ، ولقد مَرَّ النبيُّ ﷺ، ليلة المعراج بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقال: «**مَنْ هؤلاء يا جبريل**» قال: «**هؤلاء الذين يأكلونَ لحومَ الناس ويقعون في أعراضِهم**»[1]. وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**يا مَعْشَر مَن آمن بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا المُسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنْ مَن يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[2] يعني ولو كان في بيته.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٤، وأبو داود (٤٨٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أيها المسلمونَ: إنَّ كثيراً من أهل الغيبة إذا نصحوا قالوا: نحن لا نكذب عليه وهو يعمل كذا ولقد قيل للنبيِّ ﷺ: أرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته»**[١].

فبين لأمته ﷺ أن الغيبةَ أن تعيبَ أخاك بما فيه. أما إذا اغتبتَه بما ليس فيه، فإن ذلك جامعٌ لمفسدتين: البُهتان، والغيبة. ولقد نصَّ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ وفقهاءُ مذهبِه علىٰ أن الغيبةَ مِن كبائرِ الذنوب.

فاحذر أيها المُسلم منها، واشتغل بعيبِك عن عيبِ غيرِك، وفتش نفسك هل أنت سالم؟ فربما تعيب الناس وأنت أكثرهم عيباً، وإذا كُنتَ صادقاً في قولِك، مُخلصاً في نصحِك، فوجدتَ في أخيك عيباً، فإنَّ الواجبَ عليك أن تتصلَ به وتناصحه، هذا هو مُقتضىٰ الأخوة الإيمانية، والطريقةِ الإسلامية.

أما الداء الثاني، الذي انتشرَ بين بعضِ الناس، فهو داءُ النميمة: وهي أن الكلام بين الناس، فيذهب إلىٰ الشخص ويقول: قال فيك فلانٌ كذا وكذا. ينقل لقصد الإفساد، وإلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين.

وهذا هو النميمةُ، التي هي مِن كبائر الذنوب، ومِن أسباب عذاب القبر، وعذاب النار. قال النبيُّ ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ نمام»**[٢] ومرَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

بقبرين فقال: «إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان في كبيرٍ، أي في أمرٍ شاقٍّ تركه عليهما، أما أحدهما، فكان لا يستبرىء من البول، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»(١).

أيها المسلمون: وإنّ الواجبَ علىٰ من نقل إليه أحد أن فلاناً يقول فيه كذا، أن ينكرَ عليه، وينهاه عن ذلك، وليحذر منه، فإن مَن نقلَ إليك كلامَ الناس فيك، نقلَ عنك ما لم تقله. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ  ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١٠-١١].

وفقني اللهُ وإياكم لمحاسن الأخلاق وصالح الأعمال، وجنبنا مساوىء الأخلاق، ومنكرات الأعمال، وهدانا صراطه المستقيم إنه جواد كريم. وصلىٰ الله علىٰ نبنيا محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

التحذير من الظلم

الحمدُ للهِ الذي حَرَّم علىٰ عباده الظلمَ والطغيان، وأوعَدَ الظالمين بالعقوبة العاجلة والآجلة، والخسران، وجَعَل دعوةَ المظلوم مستجابةً لإقامة العدل والميزان، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الذي حرم الظلم علىٰ نفسه، فأفعاله وأحكامه دائرة بين العدل والإحسان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ من بني عدنان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا عبادَ الله إخواناً، المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يكذبه ولا يحقره، بحسبِ امرىءٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المُسلم، كلُّ المُسلم علىٰ المُسلم حرامٌ دمهُ، ومالُه، وعرضُه.

أيها المؤمنون: كونوا إخواناً كما جعلكم الله إخواناً لا يظلمُ بعضُكم بعضاً، ولا يُحدِّث أحدُكم الآخرَ حديثاً وهو فيه كاذب، ولا يحقرنَّ أحدُكم صغيراً ولا كبيراً وليس لأحدٍ علىٰ أحدٍ فضلٌ إلا بالتقوى. فمن كانَ للهِ أتقىٰ فهو عندَ الله أفضل وأكرم وأولىٰ، لا يظلمُ بعضُكم بعضاً لا في المال، ولا في العِرض، ولا في الدم، ألا وإن مِن الظلم أن تأخذَ مال أخيك بغيرِ حقٍّ، من الظلمِ أن تبيعَ علىٰ بيعِ أخيك المُسلم، مثل أن تقول لمن اشترىٰ سلعةً بثمنٍ: أنا أُعطيك مثلها بأقل منه، أو أُعطيك أطيبَ منها بقيمتها.

ومِن الظلم أنْ تسومَ علىٰ سومِ أخيك، مثل أنْ يسوم شخصٌ من إنسانٍ سلعة فيركن صاحبها إليه ويرضَىٰ بسومه فتزيد عليه. وأما بيعُ المزاد العلني الذي في الأسواق فلا بأس به، ومن الظلم أن تستأجر علىٰ إجارة أخيك مثل أنْ يكون في دارٍ أو دكان وقد رضي صاحبُه بالأجرة فتنقص عليه وتزيد في الأجرة، وأما إذا كان صاحِبُ الدار أو الدكان هو الذي يطلبُ الزيادةَ فلا بأسَ بالزيادة.

ومن الظلم أن يحلَّ لك طلبٌ علىٰ فقيرٍ معسر فتجبره علىٰ أن يتديَّنَ ويوفيك، أو تتحيل علىٰ قلب الدَّين عليه، فإنَّ اللهَ يقول: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أي فيجبُ إنظارُه حتىٰ يوسرَ اللهُ عليه.

ومِن الظلم أنْ تقرضَ إنساناً دراهمَ ثم تشترط عليه زيادةً في وفائها، أو تشترط عليه نفعاً تنتفعُ به ما دامت الدراهم، مثل أن تقول: أريدُ أن أقرضك ألفاً علىٰ أن أسكنَ في بيتِك حتىٰ توفيني أو تعملَ هذا العمل. حتىٰ قال العلماء رحِمَهم الله: لو أهدىٰ له المستقرض هديةً ما جرت بها العادةُ فإنه لا يجوزُ له أن يقبلها. إلا أن ينوي المقرض مكافأته عليها، أو يسقط ما يقابلها من دينِه.

ألا وإنَّ الغيبة والنميمةَ من الظلم. فأما الغيبةُ فهي: ذكرك أخاك بما يكره سواء كان فيه ما تقول أو لم يكن. فمن اغتاب أحداً فعليه أن يستغفرَ اللهَ ويتوبَ إليه، وأن لا يعودَ إلىٰ الغيبة، ثم إن كان صاحبُه قد علمَ فعليه أن يستحلّه. وإن كان لم يعلم فعليه أن يُثني عليه بما فيه مِن الخصال الحَميدةِ في مقابلةِ غيبته إياه.

وأما النميمةُ فهي: أنْ تنقلَ كلامَ الناسِ من بعضِهم في بعضٍ لتفسد بينَهم، وتلقي العداوةَ، مثل أن تقول: فلانٌ يقولُ فيك كذا وكذا تحرش بينهم. فإنَّ هذا لا يحلُّ ولا يجوزُ، وهو سببٌ للعقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة، وليحذر الإنسانُ مِن النمام، فإن مَن نقل كلامَ الناس فيك إليك، فإنه سينقل كلامك في الناس إليهم.

وقد مرَّ النبيُّ ﷺ، بقبرين فقال: **«إنهما ليعذبانَ وما يُعذبانِ في كبيرٍ أما أحدُهما فكان لا يستنزهُ من البول، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»**[(١)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

في أنواع الصبر

الحمدُ لله الذي وعَد الصابرين أجرهم بغيرِ حسابٍ وبشَّرَ الشاكرين لنعمتِه بالمزيد ووعد الكافرين بالعذاب، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، عليك توكلنا وإليه المتاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلِ من شكَر لربِّه وأناب، وأصبرهم علىٰ أحكام الله بلا ارتياب صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ كلَّ أحدٍ لا يخلو مِن إحدىٰ حالين: إما سراء، وإما ضرّاء. وإن علىٰ العبدِ في كليهما وظيفة يجب عليه أن يؤدّيها ليتمم بذلك إيمانه، فوظيفة العبدِ عند الضرّاء أن يكونَ مِن الصابرين الذين إذا أصابتهُم مصيبةٌ قالوا: إنا للهِ وإنا إليه راجعون، فإن اللهَ خالقُ العبدِ ومالكُه ومدبّره، والمقدّر عليه ما يشاء. يفعلُ ما يشاء، ويحكُم ما يُريد. فالعبدُ عبدُ الله عليه أن يستسلم له وأن لا يتسخّط مِن قضائِه وقدرِه، فإن المرجعَ إليه ولا مفرَّ منه إلا إليه. ومَن أُصيبَ بمصيبةٍ وأرادَ أن تسهلَ عليه، فليتذكّر ما في الصبر عليها من الأجرِ والثواب. فإن النبيَّ ﷺ قال: «لا يصيبُ المؤمنَ مِن همٍّ ولا غمٍّ ولا أذىٰ إلا كفّر الله به عنه حتىٰ الشوكة»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث ابن سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ومما يُهوِّن المصيبةَ أيضاً: أن يذكرَ نِعمَ اللهِ عليه التي لا تُحصىٰ، وأن يقرن تلك المصيبة بما هو أعظمُ منها مما ابتُلي به هو أو غيرُه. فإنه ما من مصيبةٍ إلا وفوقَها أعظمُ منها، وهناك صبرٌ آخر، وهو الصبرُ عن معاصي الله، فإن الصبرَ عن المعاصي يحتاجُ إلىٰ معاناةٍ ومجاهدةٍ، فإن النفسَ أمارةٌ بالسوء إلا ما رحِمَ ربي. وقد يصبرُ بعضُ الناس عن شيءٍ مِن المعاصي، ولكنك تراه منهمكاً في غيره، فتجدُ بعضَ الناس يمنعُ نفسَه مثلاً عن أكل أموالِ الناس والخيانة فيها، ولكنه لا يمنعُ نفسَه عن أكل لحومهم والوقوع في أعراضهم مع أن رسول الله ﷺ قرن الدماءَ والأموالَ والأعراض في حُكمٍ واحد، حيث قال في حجَّة الوداع: «**إن دماءَكم وأموالَكم وأعراضكم عليكم حَرامٌ**».

وهناك صبرٌ ثالثٌ: وهو الصبرُ علىٰ طاعةِ الله، فإن طاعةَ الله تعالىٰ بفعل أوامرِه تحتاجُ إلىٰ مُجاهدةِ النفس، وعمل الجسم، وكلُّ هذا يحتاجُ إلىٰ صبرٍ. فالصبرُ ثلاثةُ أنواع: صبرٌ علىٰ الأقدار، وصبرٌ علىٰ المعاصي، وصبرٌ علىٰ الطاعات.

وأما الحالُ الثانية: وهي حالُ السرّاء والرخاء والنِّعم، فإنَّ علىٰ العبد فيها وظيفةُ الشكرِ. وذلك بأن يعلمَ أن هذه النعمةَ مِن فضلِ الله عليه، وأنه لولا لُطفُ الله وتيسيرُه ما حصلت له تلك النعمةُ. ثم بعدَ ذلك يُثني بها علىٰ ربِّه بما أنعَم بها عليه من نِعمٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ دينيةٍ ودُنيويةٍ. ثم يقومُ بطاعةِ من أنعَمَ بها عليه. فالشكرُ لا بدَّ له

من اعترافٍ بالقلب واعترافٍ باللسان، وعملٍ بطاعةِ المُنعم في الجوارحِ والأركان.

فمن حقَّقَ مقامَ الصبرِ ومقامَ الشكرِ، كمُلَ بذلك إيمانُه ونجا، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: **«عجباً لأمرِ المُؤمن، إن أمرَه كلّه خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكَر، فكانَ خيراً له، إن أصابته ضرّاء صبرَ فكان خيراً له»**(١).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

الصبر

الحمدُ للهِ الرب الرحيم، الرحمٰن الحكيم لما يقتضيه في كلِّ زمان، اللطيف بعباده حين تُقلقهم الهمومُ والأحزانُ، الذي وعدَ الصابرينَ أجرَهم بغيرِ عدٍّ ولا حُسبان، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الديان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي صبر علىٰ أقدارِ الله، وعلىٰ طاعةِ الله، وعن معاصي الله، وعلىٰ إيذاء بني الإنسان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اتبعوا أثرهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ الصبرَ مِن الدين بمنزلة الرأسِ مِن الجسدِ، فلا إيمانَ لمن لا صبرَ له، ومن يَتصبّر يُصبِّره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع مِن الصبر، وبه يظهرُ الفرقُ بين ذوي العزائم والهِمم، وبين ذوي الجُبن والضعف والجور. وهو مقامُ الأنبياء والمُرسلين، وحُلية الأصفياء المُتقين، قال اللهُ تعالىٰ عن عباد الرحمٰن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقال عن أهل الجنة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

والصبرُ علىٰ ثلاثة وجوهٍ: صبرٌ علىٰ طاعةِ الله، وصبرٌ عن محارِمِ الله، وصبرٌ علىٰ أقدارِ الله التي يجريها، إما مما لا كسبَ

للعبادِ فيه، وإما مما يُجريه الله علىٰ أيدي بعض العباد من الإيذاءِ والاعتداء. فالصبرُ علىٰ طاعةِ الله أن يحبسَ الإنسان نفسَه علىٰ العبادةِ ويؤدّيها كما أمرَه تعالىٰ، وأن لا يتضجّر منها، أو يتهاوَن بها، أو يدعَها. فإن ذلك عنوان هلاكِه وشقائه، متىٰ علِمَ العبدُ ما في القيامِ بطاعةِ اللهِ من الثواب هانَ عليه أداؤُها وفعلها. فالحسنةُ ولله الحمد إذا أخلصَ الإنسانُ فيها لله، واتبعَ رسولَ الله، كانت بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعفٍ إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ واللهُ يُضاعِفُ لمن يشاء، وفضلُ اللهِ ليس له حَدٌّ ولا انحصار.

وأما الصبرُ عن معصيةِ الله: فأن يحبسَ الإنسانُ نفسَه عن الوقوعِ فيما حرَّم اللهُ عليه مما يتعلَّق بحقِّ الله أو بحقوقِ عبادِه، ومتىٰ علِمَ ما في الوقوع في المحرم من العقاب الدنيوي والأخروي والاجتماعي والفردي. وأن ذلك مما يضرّ بدينه ويضر بعاقبةِ أمرِه بل ويضرُّ بمجتمعِه، فإن الذنوبَ عقوباتها في الدنيا، ويُبعث الناسُ علىٰ أعمالِهم ونياتهم، متىٰ علم العاقل ما يقع من جراء الذنوب أوجبَ ذلك أن يدعَها خوفاً مِن علاّمِ الغُيوب.

وأما الصبرُ علىٰ أقدارِ الله فمعناه: أن يستسلم الإنسانُ لما يقعُ عليه مِن البلاء والهموم والأسقام، وأن لا يقابل ذلك بالتسخط والتضجر وفعل الجاهلية المُنكر في الإسلام، وأن يعلمَ أن هذا البلاءُ لنزوله أسبابَ وحِكم لا يعلمها إلا الله، وأن يعلم أن لدفعِه ولرفعِه أسباباً من أعظمها لجوؤه ودعاؤُه وتضرّعه إلىٰ مولاه، فهذه

الأمراضُ التي أرسلَها اللهُ تعالىٰ علىٰ عبادِه إنما هي رحمة ربهم ليرجعوا إليه، وليعرفوا أنه هو المُتصرِّف بعبادِه كما يشاء، فلا اعتراضَ عليه، له الملكُ وله الحمدُ، وله الخلقُ، وله الأمرُ، وبيده الخيرُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، ومع هذا فتلك الأمراضُ لم يحصل فيها ولله الحمد نقصٌ في النفوس ولا هلاكٌ، وإنما هي أمراضٌ يسيرةٌ خفيفةٌ قدّرَها المولىٰ، ولطفَ بعبادِه. فلله الحمد ربِّ الأرض والسمٰوات.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الصبر علىٰ أقدار الله

الحمدُ لله الذي وعَد الصابرين أجرَهم بغير حِسابٍ، وأثاب الشاكرين علىٰ النِّعم بدوامها والازدياد، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، من غيرِ شكٍّ ولا ارتياب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيد الرسل وخلاصةُ العباد، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا مع الصابرين، فإنما يُوفَّىٰ الصابرونَ أجرَهم بغيرِ حسابٍ، والصبرُ حبسُ النفس. حبسُ النفسِ علىٰ طاعةِ الله، وحبسها عن معصيةِ الله، وحبسُها عن التسخّط من أقدارِ الله، وما أعطي الإنسانُ عطاءً خيراً وأوسع مِن الصبر، فإذا صبّرَ الإنسانُ نفسَه علىٰ الطاعةِ وثابرَ عليها صارَت غريزةً له وطبيعةً يفرحُ بفعلها ويغتم لفقدها.

وإذا صبَّرَ نفسَه عن المعصيةِ تعوّدت تركَ المعاصي، وصارَت المعاصي مكروهةً لديه وبغيضةً عنده. يفرح بفقدها ويغتمّ لوجودها، حتىٰ يوفّق للتوبة منها. وإذا صبّر نفسَه عن التسخّط من أقدارِ الله صار راضياً مُطمئناً بما قدره الله عليه، إن أصابته ضرّاء صَبر فكان خيراً له، وإن أصابتَه سراء شكر فكان خيراً له، فالإنسانُ يُصاب بمصيبةٍ في نفسِه، ومصيبةٍ في أهلِه، ومصيبةٍ في ماله، ومصيبةٍ في أصحابه، ومصيبةٍ في نواحٍ أخرىٰ.

فإذا قابل هذه المصائب بالصبرِ وانتظارِ الفرَجِ من اللهِ صارت المصائبُ تكفيراً لسيئاتِه، ورفعةً في درجاتِه، وقد وردت الآياتُ والأحاديثُ الكثيرةُ في ذلك. فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال النبي ﷺ: «ما من مُسلم يُصيبه أذىً مِن مرضٍ فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاتِه كما تحطّ الشجرةُ ورقها»(١). وقال لامرأةٍ من الصحابيات: «أبشري فإنَّ مرضَ المُسلم يُذهبُ الله به خطاياه كما تُذهب النارُ خبثَ الحديد والفضة»(٢). وقال ﷺ: «ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن والمُؤمنةِ في نفسِه وولدِه وماله حتىٰ يلقىٰ اللهَ تعالىٰ وما عليه خطيئة»(٣). وقال ﷺ: «ما من مُسلم يُشاك بشوكةٍ فما فوقها إلا كُتبت له بها درجةٌ ومُحيت عنه بها خطيئة»(٤). وقال: «صداع

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٩٢) من حديث أم العلاء رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٨٧، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، والترمذي (٢٣٩٩)، وابن حبان (٢٩١٣)، والحاكم ١/ ٣٤٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٢) (٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

المؤمن أو شوكة يُشاكها أو شيء يؤذيه يرفعه اللهُ بها يومَ القيامة درجةً ويكفِّر عنه بها ذنوبه»[١]. الصداع وجعُ الرأس. وقال ﷺ: «إن الرجلَ ليكونُ له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزالُ الله يبتليه بما يكره حتىٰ يُبلِّغه إياها»[٢]. وقال: «ما من مسلمٍ يموتُ له ثلاثةٌ لم يبلغوا الحنثَ إلا أدخلَه اللهُ الجنةَ بفضلِ رحمتِه إياهم»[٣]. وقال للنساء: «ما منكن من امرأةٍ تقدّم ثلاثةً مِن الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين. فقال: واثنين»[٤].

فهذه الأحاديث وما ورد بمعناها بُشرىٰ للمؤمن يحتسبُ من أجلِها المصائبَ التي يُصيبُه اللهُ بها فيصبر عليها ويحتسب ثوابَها عندَ الله، ويعلم أن ذلك مِن عند الله تعالىٰ، وأن سببَه مِن نفسِه،

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٨٧٥)، والديلمي في «الفردوس» (٣٧٧٣)، وانظر «الترغيب والترهيب» ٤/١٥١ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٩٠٨)، وأبو يعلىٰ (٦٠٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٨) و(١٣٨١) من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٢٦٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٠١) و(١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممن إذا ابتليَ صبر، وإذا أنعمتَ عليه شكر، وإذا أذنبَ استغفر، واغفر لنا وارحمنا إنك أنتَ الغفور الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من تعرّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفه في الشدة

الحمدُ لله ذي الفضل العظيم، والخير الواسع العميم، أنعم علىٰ عبادِه بنعمٍ لا تُحصىٰ، ودفع عنهم مِن النقم ما لا يعدّ ولا يُستقصىٰ، وتفضّلَ عليهم بالعمل الصالح، وجازاهم عليه أفضلَ الجزاء. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، الملك العليّ الأعلىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي وصلَ بفضل ربِّه إلىٰ أعلىٰ مكانٍ يصله الورىٰ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن بهداهم اهتدىٰ، وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعرفوا إلىٰ ربِّكم في الرخاء، يعرفكم في الشدَّة. تعرفوا إليه بالقيام بطاعتِه رغبةً في ثوابه وبالابتعاد عن معصيته خوفاً من عقابه، إنَّ رخاءَ العيش، وطيبِ الحال، من النعمِ التي تستوجبُ الشكرَ علىٰ العباد، والقيام بطاعةِ المُنعم الجواد. وإن الإنسانَ في حال الرخاء، يستطيعُ أن يعملَ ما لا يمكنه القيامُ به في حال الشدّة، لأنه معافىٰ في بدنِه، وآمن في بلده، ومُترَفٌ في جسده، ولكن هذه الأحوالُ لا تدوم، فقد يعقبها شدّةٌ، فيصبح مريضاً بعد العافية، وخائفاً بعد الأمن، وجائعاً بعد الشبع والترف.

فإذا كان العبدُ متعرفاً إلىٰ ربّه في حال الرخاء، عرفه اللهُ في حالِ الشدّة، فلطَفَ به، وأعانَه علىٰ شدائدِه، ويسّر أمورَه، قال الله

تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

ولقد ضربَ النبيُّ ﷺ، لأمته مثلاً علىٰ ذلك، فيما قصَّه علينا من نبأ ثلاثة، ممن كانوا قبلنا: «**انطلقوا فآواهم المبيتُ إلىٰ غار، فانحدرت صخرةٌ من الجبل، فسدّت الغارَ عليهم، فقال بعضُهم لبعض: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال أحدُهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأىٰ بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما، حتىٰ ناما، فحلبت لهما غَبوقهما، فوجدتُهما نائمين، فكرهتُ أن أُوقظهما، وأن أغبق قبلهما أحداً، فلبثتُ والقدحُ علىٰ يدي أنتظر استيقاظهما حتىٰ طلعَ الفجرُ، والصبيةُ يتضاغون عند قدمي، حتىٰ استيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجَت الصخرةُ قليلاً. وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنةُ عم، وكنتُ أحبها كأشدّ ما يحبُّ الرجالُ النساءَ، فأردتُها علىٰ نفسِها، فامتنعَتْ مني حتّىٰ ألمَّتْ بها سنةٌ من السنين ـ احتاجت ـ فجاءتني فأعطيتُها عشرينَ ومئةَ دينار علىٰ أن تخلي بيني وبين نفسِها، ففعلَتْ حتّىٰ إذا قعدتُ بين رجليها، قالت: اتق الله تعالىٰ، ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه. فقمتُ وانصرفْتُ عنها، وهي أحبُّ الناس إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرّج عنا ما**

نحن فيه، فانرجَت الصخرةُ، إلا أنهم لا يستطيعون الخروجَ منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أجراء وأعطيتهم أجرَهم، غير رجلٍ واحدٍ تركَ أجره وذهب، فثمَّرت له أجرُه، حتىٰ كثرت منه الأموال، فجاءني بعدَ حينٍ، فقال: يا عبدَ الله أد إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترىٰ من الإبل والبقر والرقيق. فهو لك مِن أجرك، فقال: يا عبدَ الله، لا تستهزىء بي، فقلتُ: إني لا أستهزىء بك فأخذه كلَّه واستاقَه، ولم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنتَ فعلتَ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرّج عنا ما نحنُ فيه، فانفرجَت الصخرةُ وخرجوا يمشون»[1].

فالأول: من هؤلاء ضَرَبَ مثلاً عظيماً في البرِّ بوالديه، بقي طوالَ الليل والإناء علىٰ يده، لم تطب نفسُه أن يشربَ منه، ولا أن يسقي أولاده وأهله، ولا أن ينغص علىٰ والديه نومهما، حتىٰ طلعَ الفجرُ.

وأما الثاني: فضرب مثلاً بالغاً في العفة الكاملة، حيث تمكن من حصول مراده من هذه المرأة التي هي أحب الناس إليه. ولكن لما ذكَّرته بالله تركها، وهي أحبُّ الناس إليه ولم يأخذْ شيئاً مما أعطاها. وأما الثالث: فضَرَبَ مثلاً في غايةِ الأمانةِ والنصح، حيث نمّىٰ للأجير أجرَه، فبلغ ما بلغ، وسلمه إلىٰ صاحبِه، ولم يأخذْ علىٰ عملِه شيئاً، فكان مِن جزاء هذه الأعمال الصالحة، التي تعرّفوا بها إلىٰ اللهِ في حالِ الرخاء، أن اللهَ عرَفهم في حالِ الشدّة، فأنقذهم من الهلاك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذه سنةُ الله في خلقِه إلىٰ يوم القيامة، من تعرَّف إلىٰ ربِّه حالِ الرخاء، عرفه في حال الشدة، كما قال النبيُّ ﷺ: «**تعرَّف إلىٰ الله في الرخاء، يعرفك في الشدَّة**»(١).

أيها الناسُ: إنَّ الشدائدَ أنواعٌ منوعة، وإن أعظمَ شدّةٍ يقع فيها الإنسانُ ما يكون من شدّة الموت عند فراقِ المألوف، واستقبالِ المخوف. فإذا كان العبدُ ممن تعرَّف إلىٰ الله في حال صحّتِه وحياتِه، عرفَه سبحانَه في حالِ شدّتِه عند وفاتِه، فهوّنَ الأمرَ عليه، وأحسنَ له الخاتمة، وانتقلَ مِن الدنيا علىٰ أحسنِ حالٍ.

وأما إن كان معرضاً عن الله، لم يزده الرخاء إلا بطراً وبُعداً عن الله تعالىٰ، فحري بأن يكله اللهُ إلىٰ نفسِه، ويتخلّىٰ عنه حالِ شدائدِه فتحيط به سيئاتُه، ويموتُ علىٰ أسوأ حال، وأخبث مآل.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦١-٦٣].

اللهم وفقنا للتعرف إليك، والقيام بطاعتك، والطف بنا في الشدائد، ويَسِّر أمورنا، إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

---

(١) جزء من حديث لابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣، والترمذي (٢٥١٦).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة